

عمادة الدراسات العليا
جامعة القدس

أسباب صلاح الذرية في ضوء القرآن الكريم

دراسة موضوعية

منال عيسى فنون

رسالة ماجستير

القدس - فلسطين

1437هـ/2016م

أسباب صلاح الذرية في ضوء القرآن الكريم

دراسة موضوعية

إعداد

منال عيسى فنون

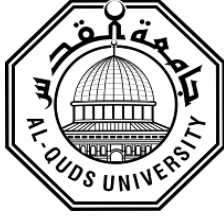
بكالوريوس علم قراءات ودراسات اسلامية من جامعة القدس/فلسطين

المشرف: د. محمد يوسف الديك

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدعوة واصول

الدين من كلية الدعوة واصول الدين/ جامعة القدس

1437هـ / 2016 م



جامعة القدس
عمادة الدراسات العليا
برنامج أصول الدين

إجازة الرسالة
أسباب صلاح الذرية في ضوء القرآن الكريم
دراسة موضوعية

اسم الطالبة: منال عيسى فنون

الرقم الجامعي: 21212675

المشرف: د. محمد يوسف الديك

نوقشت هذه الرسالة واجيزت بتاريخ: 2016 /11/5 من أعضاء لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم وتوقيعاتهم أدناه:

التوقيع: د. محمد يوسف الديك	د. محمد يوسف الديك	1- رئيس لجنة المناقشة :
التوقيع: د. حمزة ذيب	د. حمزة ذيب	2- ممتحناً داخلياً:
التوقيع: د. عودة عبد عودة	د. عودة عبد عودة	3- ممتحناً خارجياً:

القدس - فلسطين

1438 هـ / 2016 م

الإهداء

أهدي رسالتي هذه من بعد إخلاص النية لله عزوجل بدايةً إلى حبيبنا وشفيعنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

إلى من كلفه الله بالهيبه والوقار.. إلى من علمني العطاء دون انتظار.. إلى من دفعني إلى العلم ومن أحمل اسمه بكل افتخار والدي العزيز.

إلى روضة الحب التي تنبت أزكى الأزهار.. إلى الغالية رحمها الله أمي العزيزة.

إلى الروح التي سكنت روحي.. إلى من بوجوده أكتسب قوة ومحبة لا حدود لها زوجي الغالي.

إلى أزهار النرجس التي تفيض حباً وطفولة ونقاء وعطراً أبنائي الأعزاء.

إلى من كانوا ملاذي وملجأئي.. إلى من تذوقت معهم أجمل اللحظات إخوتي وأخواتي الأحباء.

ولكم أساتذتي الأفاضل لن أنسى خُلُقاً ولا علماً ولا عَطفاً منكم، لكم منِّي أصدق الدعوات، وجزاكم ربي الجنان.

إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل شكري الجزيل وامتناني.

إقرار:

أقر أنا معدة هذه الرسالة بأنها قدمت لجامعة القدس؛ لنيل درجة الماجستير وأنها نتيجة أبحاثي الخاصة، باستثناء ما تم الإشارة له حيثما ورد، وأن هذه الدراسة، أو أي جزء منها، لم يقدم لنيل أي درجة عليا لأي جامعة أو معهد آخر.

التوقيع:

الاسم:

التاريخ:

الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فإنني أبدأ شكري أولاً لله العزيز القدير الذي منّ علي بإنجاز هذه الرسالة، كما وأتقدم بالشكر الجزيل والعرفان وعظيم الامتنان لمشرفي على هذه الأطروحة فضيلة الدكتور محمد يوسف الديك، معلمي في جامعتي ومشرفي ومعيني وموجهي في كتابة رسالتي، لك مني فائق الاحترام والامتنان والمعزة، وجزاك الله الجنان وقرب الرحمن وصحبة خير الأنام وزادك الله علماً وإيماناً و يقيناً.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل من أستاذي الفاضلين اللذين تفضلاً بقبول مناقشة هذه الرسالة لإثرائها وتسديد ما فيها من خلل، وهما:

فضيلة الدكتور: حمزة ذيب حفظه الله، ورعاه ونفع بعلمه ورفع مقامه وسدد خطاه.

وفضيلة الدكتور: عودة عبد عودة حفظه الله، وجعل القرآن العظيم ضياء وجهه ونور قلبه وحجة له بين يدي ربه.

كما أشكر أساتذتي الأعزاء، عن كل علم وتربية وخلق ومبدأ غرسوه في قلبي، شكراً لهم على جهودهم معي طوال فترة دراستي، وعلى عونهم لي في إتمام تخريجي، فالشكر موصول لجميع من درّسني على كل ما قدموه لي من علم ومعرفة وعون في إكمال طريق الحياة، لهم مني كل احترام ومحبة، ودعائي بأن يحفظهم الله برعايته ويجزيهم خير الجزاء.

كما وأشكر والدي على مساعدته لي وتوجيهاته الكثيرة في هذه الرسالة.

ولزوجي الحبيب الذي أعانني كثيراً، وأخيراً أشكر كل من أعانني على إخراج هذه الرسالة في صورتها النهائية، وأدعوا الله لهم جميعاً بالخير.

المخلص

هذه الرسالة خطوة على درب الدراسات القرآنية التي لا تتقضي، بعنوان (أسباب صلاح الذرية في القرآن الكريم دراسة موضوعية)، فهي تعالج كيفية السعي في صلاح الذرية، وتبين أسباب الصلاح سواء الإيمانية (الوجدانية) أو الأسباب المادية (المعرفية).

وتم إتباع المنهج الاستقرائي في الرسالة، فتحدثت عن موضوع (صلاح الذرية) كما عرضته آيات القرآن الكريم، حيث قمت بجمع الآيات التي تناولت الموضوع بذكر الألفاظ الصريحة، والألفاظ ذات العلاقة، وقسمت الخطة بناءً عليها، حيث تم تصنيفها في ثلاثة فصول، وتقسيم الفصول إلى خمسة مباحث متناسبة. وقد بينت هذه الدراسة أن أسباب صلاح الذرية على نوعين هما: الأسباب الإيمانية، والأسباب المادية. أما الأسباب الإيمانية (الوجدانية) فمنها: حب الله عزوجل ، وحب الرسول صلى الله عليه وسلم، واليقين، وتقوى الله تعالى، وأما الأسباب المادية (المعرفية) فمنها: اختيار الزوج والزوجة، وصلاح الآباء، والدعاء، وتعليمهم الآداب الشرعية، وفي الختام عرضت الدراسة نماذج تطبيقية من القرآن في صلاح الذرية.

وأهم ما بينته هذه الدراسة، أن الذرية من نعم الله الكبيرة على الوالدين، والواجب أن يسعى الوالدان في صلاح هذه الذرية ، وصلاحها يكون بعد التوكل على الله تعالى ثم الأخذ بأسباب صلاح الذرية، ثم إن هذا السعي بحاجة إلى صبر ومصابرة على الذرية ليكونوا صالحين للإنسانية جمعاء وبحاجة أيضاً إلى إخلاص لله ويقين به.

Reasons for Well-Mannered Offspring in the Qur'an: A Thematic Perspective

Prepared by: Manal Isa Mohammad Fanoun

Supervised by: Mohammad Yousif id-Deik

Abstract

The present study is one of the many incessant Qur'anic studies. The study deals with ways to pursue in well-mannered offspring in the Qur'an and the reasons for good manners of the offspring (either faith-wise or materialistic-wise). The approach employed mainly impinges on induction. The study first explores the theme of well-mannered offspring as illustrated by the Qur'an whereby the verses addressing explicit and relevant words are carefully selected. Accordingly, the methodology is meticulously made- mainly comprising of three chapters, each of which is also divided into five units. The findings of the study show that the reasons for well-mannered offspring mainly fall into two types, namely, faith-wise reasons and materialistic-wise reasons. The former include love for Almighty Allah, Prophet Mohammad, certainty and piety. The latter, however, consist of choice of marriage partner, parents' good manners, pray and Shari'a law learning. Finally, the study shows examples of well-mannered offspring drawn from the Qur'an. The study also shows that offspring is Allah's blessing on parents, so they should seek well-mannered offspring, having first reliant on Allah before actually embarking on aggressively pursuing well-mannered offspring. Such pursue requires patience, and even testing patience for offspring to be well-mannered insofar as humanity as a whole is concerned, and also being faithful to Allah and pious as well.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمةً للعالمين اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً أما بعد:-

فإنَّ المجتمع الإسلامي يواجه مشكلات عظيمة في هذا العصر ومنها: التقصير والتفريط والإهمال في تربية الأولاد، وقد نتج عن ذلك الانحراف الشديد في الشباب والفتيات، وعقوق الوالدين، وقطع الأرحام، وغيرها من المفاسد، فلا بد من أن نبحث في حل هذه المشكلة، والوسائل الكفيلة بها.

لو تدبرنا القرآن لوجدنا فيه حل هذه المشكلة، ولوجدنا أساليب وطرقاً شتى لصالح الأولاد، ومن ثم صلاح المجتمع الإسلامي.

إن من نعم الله تعالى على عباده نعمة الذرية، ولهذا امتن الله تبارك وتعالى على عباده وذكرهم بهذه النعمة في كتابه الكريم فقال: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لَّعَلَّكُمْ تَكُونُونَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٦﴾﴾¹.

إنهم زينة الحياة الدنيا وزهرتها وبهجتها، قال الله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً ﴿٥١﴾﴾⁽²⁾، أي: المال والبنون زينة الحياة، والإسلام لا ينهى عن المتاع بالزينة في حدود الطيبات.⁽³⁾، ولن تكتمل هذه الزينة إلا إذا كانت صالحة وطاعة لله، ولهذا فإن الأنبياء عليهم السلام، والصالحين من عباد الله اجتهدوا في صلاح أبنائهم وهنالك أمثلة عديدة في القرآن الكريم تبين ذلك منها:

1. حرص سيدنا نوح على صلاح ابنه.

(1) سورة النحل، آية 72.

(2) سورة الكهف، الآية 46.

(3) سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي في ظلال القرآن 2272/4، دار الشروق - بيروت - القاهرة، ط 17، ت 1412 هـ

2. حرص سيدنا إبراهيم عليه السلام على صلاح ذريته فقد دعا لذريته بالإمامة في الدين وأن يكونوا على دين الإسلام.

3. حرص يعقوب عليه السلام على صلاح ذريته حيث جمع وَلَدَهُ وَوَلَدَ وَوَلَدِهِ وَأَوْصَاهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ.

4. حرص سيدنا زكريا عليه السلام على صلاح ذريته فهو عندما سأل الله أن يرزقه الذرية سأل أن تكون ذرية صالحة طيبة.

5. حرص سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على صلاح أبناء الصحابة رضي الله عنهم فدعا لهم بالصلاح وعلمهم أمور الدين، وأدبهم على الأخلاق الحسنة.

6_ حرص الصالحين على صلاح ذريتهم، فمن ذلك: حرص لقمان الحكيم⁽¹⁾ على صلاح ولده فوصاه بعدد من الوصايا لصلاحه.

لهذا فالأم والأب مسئولان أمام الله عن إصلاح ذريتهم، وتربيتهم، فإن أحسنوا تربيتهم سعد الوالدان، وسعد الأبناء في الدنيا والآخرة، وإن أهملوا تربيتهم شقي الأبناء، وكان الوزر في عنق الآباء، ولهذا جاء في الحديث: (كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)، فيما أخرجاه البخاري، ومسلم: عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى

(1) لقمان الحكيم : هُوَ لُقْمَانُ بْنُ عَنَقَاءَ بْنِ سَدُونَ وَيُقَالُ لُقْمَانُ بْنُ ثَارَانَ وَكَانَ نُوبِيًّا مِنْ أَهْلِ أُيْلَةَ (بيت المقدس)، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا ذَا عِبَادَةٍ وَعِبَارَةٍ وَحِكْمَةٍ عَظِيمَةٍ، وَيُقَالُ كَانَ قَاضِيًّا فِي زَمَنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَ لُقْمَانُ عَبْدًا حَبَشِيًّا لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَعْتَقَهُ وَأَعْطَاهُ مَالًا، كَانَ خِيَاطًا، وَالْمَشْهُورُ عَنِ الْجُمْهُورِ أَنَّهُ كَانَ حَكِيمًا وَلِيًّا وَلَمْ يَكُنْ نَبِيًّا، وَقَدْ ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ فَأَتْنَى عَلَيْهِ، قَالَ وَهَب: قرأت من حكمته نحو من عشرة آلاف باب، لم يسمع الناس كلاما أحسن منه، ثم نظرت فرأيت الناس قد أدخلوه في كلامهم، واستعانوا به في خطبهم ورسائلهم، ووصلوا به بلاغاتهم، انظر ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم، المعارف تحقيق: ثروت عكاشة، ص55، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، ت1992 م، وانظر ابن كثير القرشي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، 148_146/2، دار إحياء التراث العربي، ط1، ت1408 هـ - 1988 م

بَيَّتْ بَعْلَهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ). (1)

والراعي: هو الحافظ المؤتمن الملتزم في صلاح ما قام عليه، وما هو تحت نظره، والقيام بمصالحه في دينه ودنياه، ومن هنا نفهم أن المسؤولية ليست فقط في الإنفاق ولكن في غرس القيم والمبادئ الإسلامية، فعلى الأبوين الاهتمام بحسن تنشئة الأولاد، وصلاحهم ويسألان الله تعالى بما دعا به الأنبياء، وعباد الله الصالحين في صلاح أبنائهم، لذلك يجب على الآباء الأخذ بأسباب صلاح الذرية. (2)

مشكلة البحث:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:ـ

- 1_ ما هي أسباب صلاح الذرية في ضوء القرآن الكريم؟
- 2_ هل الأخذ بهذه الأسباب وحدها تكفي في صلاح الذرية؟
- 3_ هل المسلم مسئول عن ذريته أمام الله تعالى؟
- 4_ هل يجب على المسلم أن يأخذ بأسباب صلاح الذرية؟
- 5_ هل الأنبياء حرصوا على صلاح ذرياتهم؟

(1) رواه البخاري ومسلم، انظر البخاري، صحيح البخاري، باب: الْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا، حديث رقم 5200، 31/7، مرجع سابق، وانظر مسلم، صحيح مسلم، بابُ فَضِيلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ، حديث رقم 1829، 1459/3، مرجع سابق.

(2) انظر القحطاني، الهدي النبوي في تربية الأولاد، ص5_10، دطت 1431هـ، ابن العديم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين، الدراري في ذكر الدراري، تحقيق: علاء عبد الوهاب محمد، دار السلام، ص21_24، دار الهداية، ط1، ت1404 هـ - 1984 م، وانظر بن زينو، محمد بن جميل، مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع، 495/2، دار الصمعي للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط9، ت1417هـ، 1997م، وانظر <http://www.alukah.net/sharia/>

أهمية الموضوع :

1. إن صلاح الذرية من الموضوعات المهمة التي تعرض لها القرآن الكريم بالإيجاز والتفصيل وهي من النعم التي أنعم الله بها على عباده فهم زينة الحياة الدنيا، وزهرتها وبهجتها، وبهم تقر عين الإنسان في الدنيا، والآخرة .

2. إن صلاح الذرية أمنية الآباء والأمهات وهي مسؤولية عهد الله بها للآباء، والأمهات، ولهذا فإن الصالحين من عباد الله يجتهدون في صلاح ذريتهم ويعلمون أن الأمر كله بيد الله عزوجل، فيا لها من نعمة عظيمة ومنة كريمة حين تصبح وتمسي، وترى ذريتك، وقد منَّ الله عليهم بالصلاح، والهداية يخافون الله، ويلتزمون بأوامره فيقيمون الصلاة، ويؤدون الزكاة ويحافظون على الواجب، ويتخلقون بالأخلاق الكريمة .

3. إن الذرية الصالحة هم بهجة الدنيا وزينتها وفرحتها فهم ينفعون أنفسهم وإخوانهم، ومجتمعهم وأمتهم إذا كانوا كذلك.

4. هنالك أسباباً تكلم عنها القرآن لصلاح الذرية ولذلك كان من الواجب معرفة هذه الأسباب ليسعى الإنسان في صلاح ذريته فلأهمية هذا الموضوع أحببت أن أكتب فيه .

أسباب كتابة البحث:

لقد اخترت أن أكتب في هذا الموضوع :

1. لأن قضية صلاح الذرية قضية مهمة والحرص على صلاحها مشغلة للآباء والأمهات.
2. ما يعترض الآباء والأمهات من مشاكل في تربية الأبناء فيقف الوالدان أحياناً موقف الحائر بحثاً عن أنجح الأساليب التربوية التي تعينهم على تخطي هذه المشكلة.
3. الفهم الخاطئ لمسألة أسباب صلاح الذرية وما نجم عنها من سلوكيات خاطئة وخاصة في ظل هذا الانفتاح على العالم الخارجي اليوم.
4. التأثير بالفكر الغربي وتقليدهم في تربية الأولاد مما جعل هنالك الكثير ممن يدين بدين الإسلام ولكن أفكارهم وتصرفاتهم ولباسهم لا تمت للإسلام بصلة.

5. إثراء المكتبة الإسلامية بدراسة متكاملة عن أسباب صلاح الذرية في ضوء القرآن الكريم.

6_التأصيل الشرعي لتربية الأبناء حتى يغدون ذرية صالحة.

7_الحكم الشرعي في الأخذ بأسباب صلاح وإصلاح الذرية(هل تربيتهم واجبة ،أوسنة،أومندوبة،أو مباحة؟).

أهداف البحث:

1.تقديم تصور صحيح عن أسباب صلاح الذرية من خلال استعراض آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية وأقوال العلماء.

2.تصويب كثير من التصورات الخاطئة في مسألة أسباب صلاح الذرية .

3.توجيه هذه الدراسة لبناء هذه الأجيال ومن ثم بناء هذه الأمة الإسلامية ؛لأن الأسرة بما فيها الذرية نواة المجتمع فإذا صلحت الذرية صلح المجتمع وصلحت الأمة بأسرها.

4.إظهار تميز الإسلام بعقائده، وتشريعاته وآدابه الصالحة لكل زمان ومكان، وبيان الآثار الإيجابية التي تتركها هذه العقائد والتشريعات والآداب في سلوك الإنسان، لا سيما فيما يخص صلاح الذرية.

منهج البحث:

أولاً: اتبعت في هذا البحث طريقة التفسير الموضوعي التي تقوم على استقراء الآيات القرآنية والمنهج الاستقرائي، حيث قمت بجمع الآيات التي تناولت موضوع صلاح الذرية بذكر الألفاظ الصريحة والألفاظ ذات العلاقة، وقسمت الخطة بناءً عليها، حيث تم تصنيفها في فصول ومباحث متناسبة، ثم الحديث عنها حسب متطلبات البحث وطبيعة الدراسة.

ثانياً: الاعتماد على أمّهات المصادر القديمة، مع الاستفادة من المراجع الحديثة؛للجمع بين أصالة الماضي، وتحقيقات وإرشادات الحاضر .

ثالثاً: كتابة الآيات بالرسم العثماني، مع عزوها إلى سورها، وذكر أرقامها.

رابعاً: جمع الأحاديث الشريفة التي تعرضت لكل جوانب قضية صلاح الذرية.

خامساً: تخريج الأحاديث والآثار، وعزوها إلى مصادرها؛ فإذا كان الحديث في الصحيحين، أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإلا خرجته من مظانه وبينت درجته؛ حسب كلام أهل العلم.

سادساً: جمع أقوال المفسرين في الآيات الكريمة الذين فسروا القرآن تفسيراً تحليلياً حتى تتبين المعاني الدقيقة للآيات الكريمة، لأن حاجة المفسر الموضوعي للتفسير التحليلي كحاجة البناء للحجارة.

سابعاً: عزو الأقوال إلى قائلها، وتوثيقها من مصادرها.

ثامناً: عرضت اجتهادي ووجهة نظري من هذا الجانب مصحوباً بالدليل والحجة والبرهان.

تاسعاً: التعريف بالأعلام.

عاشراً: كنت أثناء بحثي أهتم بالنص أكثر من اهتمامي بصاحبه، فقلماً ذكرت اسمه في الموضوع وإنما كنت أشير إليه في الحاشية، إلا إذا كان صاحب القول تميز به تميزاً ملحوظاً.

_ أما في التوثيق:

أ_ بالنسبة للآيات الكريمة: فقد كتبت اسم السورة ورقم الآية مشيراً إلى ذلك في الحاشية.

ب_ أما بالنسبة للأحاديث المخرجه: فقد ذكرت الراوي ومكان الرواية من الكتاب، والباب إن وجد والجزء والصفحة ليسهل الرجوع إليه، والحكم على الحديث.

ج_ أما بالنسبة للكتب: فقد كنت أذكر المؤلف، واسم الكتاب، والتحقيق، والطبعة ومكانها، وتاريخها إن وجدت في أول مرة أستعين فيها بالكتاب، ثم أشير بعد ذلك إلى اسم المؤلف، واسم الكتاب، والجزء، والصفحة كما هي العادة.

د_ أما بالنسبة للفهارس فقد وضعت فهرساً للآيات، والأحاديث، والأعلام، وفهرساً تفصيلياً للموضوعات، وفهرساً للمصادر والمراجع.

الدراسات السابقة:

إن قضية أسباب صلاح الذرية في القرآن الكريم لم تفرد ببحث مستقل في حدود ما اطلعت عليه، فالمفسرون يتحدثون عن أسباب صلاح الذرية عند تفسيرهم للآيات التي تحدثت عنه كالحديث عن آيات القرآن الأخرى.

وكذلك العلماء الذين شرحوا الأحاديث أو كتبوا في الآداب الشرعية فإنهم تحدثوا عن قضية أسباب صلاح الذرية كبقية الأمور التي تحدثوا عنها، وكانت من الجانب التربوي، ولم تكن تفسيراً موضوعياً للقرآن الكريم بل كانت تتكلم عن تربية الأولاد ويغلب عليها الجانب التربوي، وكانت تحتوى على أقوال علماء التربية، ونظرياتهم بالإضافة إلى الأحاديث النبوية، والآيات القرآنية، ولم تكن دراساتهم دراسة قرآنية موضوعية بل كانت عامة، أو هي أقرب إلى الآداب الشرعية والتربية منها إلى عرض القيم والمبادئ التي جاء بها القرآن الكريم.

على ضوء دراستي وبحثي لم أجد دراسة تناولت الموضوع على شاکلة التفسير الموضوعي وإنما هناك دراسات فكرية تربوية تناولت الموضوع، ومن أهمها: _

أولاً: تربية الأولاد في الإسلام، علوان، عبد الله ناصح، دار السلام، ط31، ت1418هـ_1997م.

تناول هذا الكتاب أموراً تتعلق بتربية الأولاد من ناحية تربوية: (أي من كلام علماء التربية مستشهداً بآيات قرآنية، وأحاديث نبوية)، فتكلم عن مسؤولية التربية الإيمانية، والخلقية، والجسمية، والعقلية، والنفسية، والاجتماعية، والجنسية.

ثانياً: فقه تربية الأبناء وطائفة من نصائح الأطباء، العدوي، مصطفى، دار ماجد عسيري، ط1 ت1419_1198م.

تناول في هذا الكتاب ما يتعلق بتربية الأبناء من فقه وآداب وأخلاق وتعاملات معهم، وجمع هذه المادة من كتاب الله والسنة النبوية وأقوال الصحابة والتابعين، ثم ذكر أقوال ونصائح للأطباء حول الأبناء للأمهات، وكان على شكل سلسلة تضم عدة عناوين.

ثالثاً: الهدى النبوي في تربية الأولاد، القحطاني، سعيد بن علي بن وهف.

اشتمل هذا الكتاب على أربع وعشرين مبحثاً تكلم فيها عن كيفية تربية الأولاد وعن مراحل الطفل العمرية وحقوقه في كل مرحلة وأقوال العلماء وآرائهم في ذلك، وفصل المسائل في ذلك مثل الحضانة والنفقة والرضاعة وغير ذلك.

رابعاً: فن تربية الأولاد في الإسلام، مرسى، محمد سعيد.

وجه هذا الكتاب إلى المربين من آباء وأمهات ومعلمين، ومادة هذا الكتاب إلى عُمرٍ من 2_13 عاماً، وكان هذا الكتاب على جزأين، الجزء الأول بين فيه شخصية الطفل ثم ذكر أموراً تربوية من أساليب التربية، وكيف يكون الطفل في البيت، وصفات الطفل المسلم.

الجزء الثاني: تحدث فيه عن: مجالات التربية ثم ذكر كيفية تربية النبي صلى الله عليه وسلم لأولاد المسلمين، ثم ذكر طفولة العظماء لبعض أبناء الصحابة والتابعين والعلماء ثم ذكر نصائح للبنات فقط، وكيف يجب أن تكون شخصية المري ورسائل تربوية، وغير ذلك.

خامساً: من الهدى النبوي في تربية البنات، عفيفي، محمد بن يوسف الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة (34) - العدد (117)، ت1422هـ - 2002م.

تتأول هذا البَحْثُ الحَدِيثُ عَن جَوَانِبِ مَن هَدَى النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي تَرْبِيَّتِهِ لِبَنَاتِهِ مُنْذُ مَوْلَاهُنَّ إِلَى وَفَاتِهِنَّ عَلَى النَّحْوِ التَّالِي:

- جَوَانِبِ مَن رَعَايَتَهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِبَنَاتِهِ فِي مَرَحَلَةِ الطُّفُولَةِ.

- جَوَانِبِ مَن رَعَايَتَهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِبَنَاتِهِ فِي مَرَحَلَةِ الصَّبَا.

- جَوَانِبِ مَن هَدَيْهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي تَرْوِيحِ بَنَاتِهِ.

- جَوَانِبِ مَن هَدَيْهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي رَعَايَتِهِ لِبَنَاتِهِ بَعْدَ الزَّوْجِ.

سادساً: من أساليب التربية في القرآن، مكانسي، عثمان قذري.

بين في هذه الدراسة أساليب التربية من الأسوة الحسنة والصبر وحسن الأدب والالتزام بالوعد والنصيحة وغير ذلك من تلك النصائح ثم مثل على ذلك بقصص من القرآن الكريم.

سابعاً: تربية الطفل في الإسلام، أبو رموز، سيما راتب عدنان.

دراسة في ثلاثة فصول حيث تكلم فيه عن: تعريف التربية والطفل ثم حقوق الطفل قبل الميلاد، ثم ما بعد الميلاد ثم صفات المربي، ثم عن بناء شخصية الطفل ثم تربية الأبناء وتحديات العصر.

ثامناً: حوار الآباء مع الأبناء في القرآن الكريم وتطبيقاته التربوية، المطيري، سارة بنت هليل بن دخيل الله بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية، إشراف الأستاذ الدكتور: السعيد محمود السعيد عثمان، جامعة أم القرى، كلية التربية، ت1428هـ-1429هـ.

احتوت هذه الدراسة على حوار بين الآباء والأبناء، ودور الحوار القرآني، وأنواع الحوار، وغير ذلك فكانت دراسة تربوية.

دراستي: أسباب صلاح الذرية في ضوء القرآن الكريم، حيث كانت دراسة موضوعية على منهج التفسير الموضوعي.

خطة البحث:

لقد اشتملت الخطة على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وجاءت على النحو الآتي:-

أولاً مقدمة الموضوع مبيناً في المقدمة مشكلة البحث، وأهمية الموضوع وأهداف هذا البحث، والمنهج الذي اتبعته في هذا البحث، والخطة التي سرت عليها في هذا البحث، والدراسات السابقة في هذا الموضوع، ثم مهدت إلى بحثي هذا، ثم قسمته إلى ثلاثة فصول، وخمسة مباحث، وتسع وعشرون مطلباً، وهي كما يلي:

الفصل الأول: مفهوم أسباب صلاح الذرية وأهميته وفيه مبحثان.

المبحث الأول: معنى أسباب صلاح الذرية لغة واصطلاحاً، وفيه ثمانية مطالب.

المطلب الأول: معنى الأسباب لغةً

المطلب الثاني: معنى الأسباب اصطلاحاً

المطلب الثالث: معنى الصلاح لغة.

المطلب الرابع: معنى الصلاح اصطلاحاً.

المطلب الخامس: معنى الذرية لغةً.

المطلب السادس: معنى الذرية اصطلاحاً.

المطلب السابع: صلاح الذرية كمفهوم تربوي.

المطلب الثامن: الألفاظ ذات العلاقة ل كلمة أسباب وصلاح وذرية.

المبحث الثاني: أهمية صلاح الذرية وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: في المجال الأسري.

المطلب الثاني: في المجال الاجتماعي.

المطلب الثالث: في المجال الفردي.

الفصل الثاني: عوامل صلاح الذرية وفيه مبحثان.

المبحث الأول: العوامل الإيمانية(الوجدانية) لصلاح الذرية وفيه عشرة مطالب.

المطلب الأول: الإيمان بالله تعالى.

المسألة الأولى: حب الله تعالى

المسألة الثانية: اعتزال عبادة المشركين

المطلب الثاني: طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثالث: اليقين بالله

المطلب الرابع: التقوى

المطلب الخامس: العمل الصالح

المطلب السادس: صلاح الأبوة

المطلب السابع: الدعاء

المسألة الأولى: الدعاء قبل وجود الأولاد

أولاً: سؤال الله الذرية الصالحة.

ثانياً: النية.

ثالثاً: الدعاء قبل وضع البذرة.

المسألة الثانية: الاستعانة بالله على تربيتهم.

المسألة الثالثة: الدعاء لهم وتجنب الدعاء عليهم.

المطلب الثامن: طاعة الوالدين

المطلب التاسع: اجتناب الشيطان

المطلب العاشر: الحث على أكل الحلال

المبحث الثاني: العوامل المادية لصلاح الذرية وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول: اختيار الزوج والزوجة.

المسألة الأولى: كيفية اختيار الزوج والزوجة.

المسألة الثانية: بيان كيفية تأثير الأم في تربية أبنائها من خلال مقارنة بين زوجة سيدنا إبراهيم عليه

السلام وزوجة سيدنا نوح عليه السلام.

المطلب الثاني: النبات الحسن (البيئة الصالحة)

المطلب الثالث: تحصين الولد.

المسألة الأولى: التحصين بذكر الله تعالى.

المسألة الثانية: التحصين من الشيطان الرجيم.

المطلب الرابع: تعليم الولد الآداب الشرعية.

المسألة الأولى: آداب الاستئذان.

المسألة الثانية: الصدق.

المسألة الثالثة: الصبر

المسألة الرابعة: الخوف من الله

المسألة الخامسة: الوفاء بالعهد

المسألة السادسة: العدل

المسألة السابعة: أن نختار لهم الصحبة الصالحة الطيبة

المسألة الثامنة: الرفق في المعاملة

المطلب الخامس: اجتناب الشهوات

الفصل الثالث: نماذج من القرآن الكريم في صلاح الذرية وفيه أربعة مباحث.

المبحث الأول: قصة إبراهيم عليه السلام وشفقته على والده

المبحث الثاني: قصة نبي الله إسماعيل عليه السلام وطاعته لأبيه

المبحث الثالث: قصة نبي الله ورسوله يحيى مع والديه

المبحث الرابع: قصة نبي الله ورسوله عيسى وبره بأمه

ثم الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس:

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات.

الفصل الأول

مفهوم أسباب صلاح الذرية وأهميته

المبحث الأول: تعريف أسباب صلاح الذرية لغة واصطلاحاً وفيه ثمانية مطالب.

المطلب الأول: معنى الأسباب لغةً

الأسباب لغةً:

أولاً: معنى الأسباب عند كتاب العين للفراهيدي⁽¹⁾: _

يأتي السبب عنده على عدة معاني وهي:

1_ السَّبَبُ: وهو الحَبْلُ.

2_ السَّبَبُ: كُلُّ مَا تَسَبَّبَتْ بِهِ مِنْ رَجْمٍ أَوْ يَدٍ أَوْ دَيْنٍ.

(1) الفراهيدي: الخليل بن أحمد الأزدي الفراهيدي، ويقال الفرهودي نسبة إلى فراهيد بن مالك بن فهم بن عبد الله بن مالك بن مضر الأزدي البصري، ويقال الباهلي، أبو عبد الرحمن البصري النحوي صاحب العروض وصاحب كتاب العين، من كبار أتباع التابعين، وكانَ رَأساً فِي لِسَانِ الْعَرَبِ، دِينًا، وَرِعًا، قَانِعًا، مُتَوَاضِعًا، وهو صدوق عالم عابد كان مفرط الذكاء، حَدَّثَ عَنْ: أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ، وَعَاصِمِ الْأَحْوَلِ، وَغَيْرِهِمْ، أَخَذَ عَنْهُ: سَيِّوِيَةُ النَّحْوِ، وَالنَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ، وَأَخْرُؤَنَ تُوْفِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةً عَنْ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً، انظر الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، 430_429/7، مؤسسة الرسالة، ط3، ت1405هـ / 1985 م، وانظر الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم الأديباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، 1260/3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ت، 1414 هـ - 1993 م.

قال الله - عز وجل - ﴿فَلْيَرْتَفَعُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾⁽¹⁾: يقال: معناه إن كانوا يقدرون أن يصلوا بالسماء أسباباً فيرتفعوا إليها فليفعلوا.

3_ السَّبَبُ: سَبَبُ الأَمْرِ الَّذِي يُوصَلُ بِهِ، وَكُلُّ فَصْلٍ يُوَصَّلُ بِشَيْءٍ فَهُوَ سَبَبٌ.

4_ السَّبَبُ: الطَّرِيقُ لِأَنَّكَ تَصِلُ بِهِ إِلَى مَا تُرِيدُ.⁽²⁾

ثانياً: معنى الأسباب عند كتاب لسان العرب لابن منظور⁽³⁾:

السَّبَبُ: كُلُّ شَيْءٍ يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى غَيْرِهِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: المودَّةُ.

وَقَالَ مجاهدٌ: توأصلهم في الدنيا.

وَقَالَ أبو زيدٍ: الأسبابُ المنازلُ، وَقِيلَ المودَّةُ. وَأَسْبَابُ السَّمَاءِ: مَرَاقِبُهَا؛ قَالَ زُهَيْرٌ⁽⁴⁾:

(1) سورة ص الآية 10.

(2) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، باب السين والباء، 204/7، دار ومكتبة الهلال، دط، دت.

(3) ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، من نسل رويغ بن ثابت الأنصاري، ولد سنة ثلاثين وستمئة بمصر (وقيل: في طرابلس الغرب) وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة، ثم ولي القضاء في طرابلس، من كتبه: لسان العرب، ومختار الأغاني، ومختصر مفردات ابن البيطار، وغيرها، ومات في شعبان سنة إحدى عشرة وسبعمائة، انظر الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، 108/7، دار العلم للملايين، ط15، ت أيار/ مايو 2002 م، وانظر السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، 534/1، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، ط1، ت1387 هـ - 1967 م

(4) زهير بن أبي سلمى: هو زهير بن ربيعة الملقب بأبي سلمى، من قبيلة مزينة من مضر، كان يقيم وقومه في بلاد غطفان وهو من شعراء الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية وكانت أسرته أسرة شاعرة وجمع إلى الشعر الحكمة وجودة الرأي وكان زهير يتأله ويتعفف في شعره، ويدل شعره على إيمانه بالبعث، كانت قصائده تسمى (الحواليات) أشهر شعره معلقته التي مطلعها: (أمن أم أوفى دمنة لم تكلم) له ديوان ترجم كثير منه إلى الألمانية، انظر الأعلام الشنتمري، أبو الحجاج، يوسف بن سليمان بن عيسى، أشعار الشعراء الستة الجاهليين، 42/1، دط، دت، وانظر الزركلي، الأعلام، 52/3، مرجع سابق.

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنِيَّةِ يَلْقَهَا، ... وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بَسُلْمًا.⁽¹⁾

ورد في ديوانه: المنايا ينلنه.

وَقِيلَ: أَسْبَابُ السَّمَاءِ نَوَاجِيهَا؛ قَالَ الْأَعْشى⁽²⁾:

لئن كنت في جُبِّ ثمانينَ قامةً، ... ورُقِيتَ أسبابَ السماءِ بسُلْمٍ

لَيْسْتُدْرَجَنَّكَ الْأَمْرُ حَتَّى تَهْرَهُ، ... وَتَعَلَّمَ أَنِي لستُ عنكَ بِمُحْرَمٍ.³

ورد: كلمة القول بدل الأمر، وورد أيضاً: وتعلم أني عنك لست بملجم، بدل شطر البيت السابق.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٢٧﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ ﴿٢٨﴾﴾⁽⁴⁾ قَالَ: هِيَ أَبْوَابُهَا.⁽⁵⁾

(1) ابن أبي سلمى: زهير بن أبي سلمى، ديوان زهير بن أبي سلمى، ص111، قصيدة: أمن أم أوفى دمنة لم تكلم * بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُتَلَّمِ، البحر الطويل، رقم البيت 53، الروي ميم، غرض القصيدة مدح، شرحه وقدم له: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م.

(2) الأعشى: هو ميمون بن قيس بن جندل من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، ولقب بالأعشى لضعف بصره، وعمي في أواخر عمره، من شعراء الجاهلية الطبقة الأولى وكان كثير الوفود على الملوك من العرب، والفرس، غزير الشعر، وأحد أصحاب المعلقات ومطلع معلقته:

(ما بكاء الكبير بالأطلال ... وسؤالي وما ترد سؤالي)

جمع بعض شعره في ديوان سمي: الصبح المنير في شعر أبي بصير، له ديوان شعر يتضمن سائر الفنون الشعرية وفيه قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم نظمها ليتقرب منه ويسلم على يديه، وكان يُعْنَى بشعره فسَمِيَ (صناجة العرب)، عاش عمراً طويلاً وأدرك الإسلام ولم يسلم، وفاته عام 7هـ/ 629 م، في قرية (منفوحة) باليمامة قرب مدينة الرياض وفيها داره وبها قبره انظر الزركلي، الأعلام، 341_340/7، مرجع سابق، وانظر درنيقة، محمد أحمد، معجم أعلام شعراء المدح النبوي، ص424، دار ومكتبة الهلال، ط1، دت.

(3) الأعشى، ميمون بن قيس، ديوان الأعشى الكبير، 132، قصيدة رقم(15)، البيتان (32، 33)، الإسكندرية دط، 1950م.

(4) سورة غافر، الآية 36، 37.

(5) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، فصل السين المهملة، 459_458/1، دار صادر- بيروت،

ط3، ت1414 هـ

ثالثاً: معنى الأسباب عند كتاب جمهرة اللغة لابن دريد⁽¹⁾:

السَّبَب: الحَبْلُ أَوْ الخَيْطُ، وَالْجَمْعُ أَسْبَابٌ. (2)

رابعاً: معنى الأسباب عند كتاب مقاييس اللغة لابن فارس⁽³⁾:

السبب: يَدُلُّ عَلَى طُولٍ وَأَمْتِدَادٍ. (4)

نستنتج من هذه التعاريف : السبب: في اللغة اسم لما يتوصل به إلى المقصود.

(1) ابن دريد: أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدِ بْنِ عَنَاهِيَةَ الْأَزْدِيِّ، البَصْرِيُّ، إمام عصره في اللغة والآداب والشعر، من كتبه: كتاب الجمهرة، والاشتقاق، والسراج واللجام، وغير ذلك، تُوْفِيَ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ، وَلَهُ ثَمَانٌ وَتِسْعُونَ سَنَةً، انظر ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، 323/4، دار صادر - بيروت، ط1، ت، 1971 وانظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، 97_96/15، مرجع سابق.

(2) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، جمهرة اللغة تحقيق: رمزي منير بعلبكي، باب بطط، 1000/2، دار العلم للملايين - بيروت، ط1 ت1987م

(3) ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، ولد عام 329 هـ /941م من أئمة اللغة والأدب، قرأ عليه البديع الهمداني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان، أصله من قزوين، وأقام مدة في همدان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها، وإليها نسبته، من تصانيفه: مقاييس اللغة، وجامع التأويل، ومنتخب الألفاظ، وغير ذلك وتوفي عام 395 هـ /1004م، انظر الزركلي، الأعلام، 193/1، مرجع سابق، وانظر ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 118/1، مرجع سابق.

(4) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، باب سج، 64/3، دار الفكر، دطت1399هـ - 1979م.

المطلب الثاني: معنى الأسباب اصطلاحاً

أولاً: قال الراغب الأصفهاني⁽¹⁾: السَّبَبُ: هو المعرفة، والذريعة التي يتوصل بها.⁽²⁾

ثانياً: هو ما يكون طريقاً للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه.⁽³⁾

المطلب الثالث: معنى الصلاح لغة.

أولاً: معنى صلاح في كتاب العين للفراهيدي:

الصَلَاحُ: نقيض الطلاح.⁽⁴⁾

ثانياً: معنى صلاح في كتاب لسان العرب لابن منظور:

الصَّلَاح: ضِدُّ الْفُسَادِ.⁽⁵⁾

ثالثاً: معنى الصلاح في كتاب مجمل اللغة لابن فارس:

الصلاح: ضد الفساد.⁽⁶⁾

(1) الراغب الأصفهاني: هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم، المعروف بالراغب الأصفهاني، اشتهر بالتفسير واللغة، أصله من أصفهان، وعاش ببغداد، وهو من حكماء العلماء، من كتبه: محاضرات الأدباء، والذريعة إلى مكارم الشريعة، والمفردات في غريب القرآن وغير ذلك، توفي عام 502 هـ / 1108 م، انظر نويهض، عادل، معجم المفسرين، 158/1، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، ط3، ت1409 هـ - 1988 م، وانظر الزركلي، الأعلام، 255/2، مرجع سابق.

(2) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، 391/1، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط1، ت1412 هـ.

(3) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين، كتاب التعريفات، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، باب السين، ص117، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1، ت1403 هـ - 1983 م.

(4) الفراهيدي، كتاب العين، باب الحاء والصاد واللام، 117/3، مرجع سابق.

(5) ابن منظور، لسان العرب، فصل الصاد، 516/2، مرجع سابق.

(6) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، مجمل اللغة لابن فارس، باب الصاد واللام وما يتلثهما 539/1، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط2، ت1406 هـ - 1986 م.

المطلب الرابع: معنى الصلاح اصطلاحاً.

أولاً: الصَّلَاحُ: قول في القرآن تارة بالفساد، وتارة بالسيئة. قال تعالى: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾⁽¹⁾، وقوله تعالى ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾⁽²⁾ وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾⁽³⁾ وإصلاح الله تعالى الإنسان يكون تارة بخلقه إياه صالحاً، وتارة بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده، وتارة يكون بالحكم له بالصَّلَاح. قال تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَصْلِحْ بِالْهَمِّ﴾⁽⁴⁾، وقوله تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾⁽⁵⁾، وقوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾⁽⁶⁾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾⁽⁷⁾ أي: المفسد يصادد الله في فعله، فإنه يفسد والله تعالى يصلح. وصَالِحٌ: اسم للنبي عليه السلام. قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾⁽⁸⁾.⁽⁹⁾ ثانياً: "الصالح: هو الخالص من كل فساد."⁽¹⁰⁾

المطلب الخامس: معنى الذرية لغةً.

أولاً: معنى الذرية في كتاب العين:

من : ذر: الذَّرُّ: صِغَارُ النَّمْلِ. وَالذَّرِيَّةُ فُعْلِيَّةٌ مِنْ ذَرَرْتُ لِأَنَّ اللَّهَ ذَرَّهُمْ فِي الْأَرْضِ فَتَرَّهُمْ فِيهَا، وَالْجَمِيعُ الذَّرَارِيُّ.⁽¹¹⁾

(1) سورة التوبة الآية 102.

(2) سورة الأعراف، الآية 56.

(3) سورة البقرة، الآية 82.

(4) سورة محمد، الآية 2.

(5) سورة الأحزاب، الآية 71.

(6) سورة الأحقاف، الآية 15.

(7) سورة يونس، الآية 81.

(8) سورة هود، الآية 62.

(9) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، باب صلح، 489/1، مرجع سابق.

(10) الجرجاني، كتاب التعريفات، باب الصاد، ص131، مرجع سابق.

(11) الفراهيدي، كتاب العين، باب الذال والراء، 175/8، مرجع سابق.

ثانياً: معنى الذرية في كتاب لسان العرب لابن منظور:

من: ذَرَّ اللَّهُ الخلقَ فِي الأرض: نَشَرَهُمْ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ (1)،

وَذُرِّيَّةُ الرَّجُلِ: وَلَدُهُ، وَالْجَمْعُ الذَّرَارِيُّ وَالذَّرِّيَّاتُ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ﴾ (2). (3)

ثالثاً: معنى الذرية في كتاب معجم مقاييس اللغة لابن فارس:

من: ذَرَّ: يَدُلُّ عَلَى لَطَافَةٍ وَإِنْتِشَارٍ. (4)

(1) سورة الأعراف الآية 172.

(2) سورة آل عمران الآية 34.

(3) ابن منظور لسان العرب فصل الذال المعجمة 304/4، مرجع سابق.

(4) ابن فارس معجم مقاييس اللغة، باب ذر 343/2، مرجع سابق.

المطلب السادس: معنى الذرية اصطلاحاً.

أولاً: عرفها العسكري⁽¹⁾: "الذرية: أن الذرية يقع كل أولاد الرجل الذكور والإناث، وعلى أولاد بنيه وبناته من الذكور والإناث، والدليل على ذلك أن الله تعالى يقول: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾⁽²⁾ (3)، ثانياً: عرفها الراغب الأصفهاني: "الذرية أصلها: الصغار من الأولاد، وإن كان قد يقع على الصغار والكبار معاً، قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾⁽⁴⁾، وقال: ﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾⁽⁵⁾، وقال: ﴿وَأَيُّهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ﴾⁽⁶⁾، وقال: ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾⁽⁷⁾ (8).

ثالثاً: عرفها أبو البقاء⁽⁹⁾: "الذرية: قيل نسل الثقلين، وقيل: ولد الرجل، وقيل: من الأضداد، تجيء تارة بمعنى الأبناء، وتارة بمعنى الآباء، وتتناول أولاد البنات، واستدل بأن الله تعالى جعل سيدنا عيسى عليه

(1) العسكري: هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري أبو هلال، ولد عام 310 هـ / 922م، عالم بالأدب، له شعر نسبته إلى عسكر مكرم من كور الأهواز، وكان تاجراً، من كتبه: ديوان المعاني، و الفروق في اللغة، وغير ذلك، توفي عام 395 هـ / 1005م، انظر الزركلي، الأعلام، 2/196، مرجع سابق، وانظر القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النحاة تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، 4/189، دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ط1، ت1406هـ - 1982م.

(2) سورة الانعام، الآية 34

(3) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، الوجوه والنظائر، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، ص85، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، ت1428هـ - 2007م

(4) سورة آل عمران، آية 34.

(5) سورة الإسراء، آية 3.

(6) سورة يس، آية 41.

(7) سورة البقرة، آية 124.

(8) الراغب الأصفهاني المفردات في غريب القرآن، كتاب الذا، 1/326_327، مرجع سابق.

(9) أبو البقاء: هو أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء، له كتاب الكلبيات و تحفة الشاهان تركي في فروع الحنفيّة، كان من قضاة الحنفيّة، عاش وولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس، وبيغداد، وعاد إلى إستانبول وتوفي بها عام 1683 م، انظر الزركلي الأعلام 2/38، مرجع سابق، وانظر الباباني إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، 1/229، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول 1951، دط.

الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ مِنْ ذُرِّيَّةِ سَيِّدِنَا نُوحٍ وَسَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِجِهَةِ الْأُمِّ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ:
الْأَنْسَابَ تَتَعَدَّى بِالْأَبْنَاءِ وَالْآبَاءِ لَا بِالْبَنَاتِ وَالْأُمَّهَاتِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ: (ألفية ابن مالك):

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا ... بنوهن أبناء الرجال الأباة، (1) (2).

رابعاً: عرفها البغوي⁽³⁾: "يُسَمَّى الأولاد والآباء ذرية، فالأولاد ذرية، لِأَنَّهُ ذَرَاهُمْ، وَالْآبَاءُ ذُرِّيَّةٌ لِأَنَّهُ ذَرَأُ
الْأَبْنَاءِ مِنْهُمْ"⁽⁴⁾

خامساً: عرفها السمين الحلبي⁽⁵⁾: "الذُرِّيَّةُ: النَّسْلُ يَقَعُ عَلَى الذَّكَورِ وَالْإِنَاثِ وَالْجَمْعُ الذَّرَارِي." (6)

(1) البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (13_1)، تحقيق: محمد نبيل طريفي، وإميل بديع يعقوب، 423/1، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 1998م.

(2) أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، فصل الذال، 462، مؤسسة الرسالة - بيروت، دط، دت.

(3) البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد، المعروف بالفراء، البغوي الفقيه الشافعي المحدث المفسر، وكان بحراً في العلوم، وإماماً جليلاً ورعا زاهداً فقيهاً محدثاً مفسراً جامعاً بين العلم والعمل، من كتبه: التهذيب وشرح السنة توفي في شوال سنة عشر وخمسمائة بمروروذ، انظر السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، 75/7، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، ت1413هـ، وانظر ابن خلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 136/2، دط، ت1900.

(4) البغوي، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء معالم التنزيل في تفسير القرآن تحقيق: عبد الرزاق المهدي، 431/1، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، ت1420 هـ

(5) السمين الحلبي: أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين المعروف بالسمين: مفسر، نحوي، مقرئ شافعي، من أهل حلب، سكن القاهرة وناب في الحكم بها وولي نظر الأوقاف، ودرس القراءات والنحو بالجامع الطولوني، من كتبه: تفسير القرآن، و القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز وشرح الشاطبية، وغير ذلك توفي عام 756 هـ / 1355 م، انظر السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، 537_536/1، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، ط1، ت1387 هـ - 1967 م، وانظر الزركلي الأعلام، 274/1، مرجع سابق.

(6) السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، 103/2، دار القلم، دمشق، دط، دت.

سادساً: عرفها الفيروزآبادي⁽¹⁾: الذُرِّيَّةُ: هو اسم لنسل الثَّقَلَيْنِ. ويستعمل للواحد والجمع، قال الله تعالى: {ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ} (2).

سابعاً: عرفها الزحيلي⁽³⁾: "الذرية في الأصل: صغار الأولاد، ثم استعملت في الصغار والكبار، وللواحد والكثير." (4).

المطلب السابع: صلاح الذرية كمفهوم تربوي.

يوجد عدة تعريفات للتربية عند علماء التربية منها:

أولاً: التربية: هي التي تبني خلق الطفل على ما يليق بالمجتمع الفاضل وتنمي فيه الفضائل التي تصونه من الرذائل وتمكنه من مجاوزة ذاته بالتعاون مع أقرانه على فعل الخير.

(1) الفيروز آبادي: محمد بن يعقوب بن محمد أبو طاهر مجد الدين الشيرازي، ولد بكازرون من أعمال شيراز، عام 729 هـ / 1329 م، إمام في اللغة والأدب كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، تولى قضاء زبيد، من كتبه: القاموس المحيط، وتوتير المقباس في تفسير ابن عباس، و تحفة الأبيه فيمن نسب إلى غير أبيه، وغير ذلك، توفي سنة 817 هـ، انظر أبو زيد، بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد طبقات النسابين، ص150، دار الرشد، الرياض، ط1، ت1407 هـ - 1987 م، وانظر درنيقة، محمد أحمد معجم أعلام شعراء المدح النبوي، 406، دار ومكتبة الهلال، ط1، دت.

(2) الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، 7/3، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، دط، ت 1416 هـ - 1996 م.

(3) الزحيلي: هو وهبة بن مصطفى الزحيلي، ولد في بلدة دير عطية من نواحي دمشق عام 1932م، أحد أبرز علماء أهل السنة والجماعة من سوريا في العصر الحديث، عضو المجامع الفقهية بصفة خبير في مكة وجدة والهند وأمريكا والسودان، ورئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه بجامعة دمشق، كلية الشريعة. حصل على جائزة أفضل شخصية إسلامية في حفل استقبال السنة الهجرية التي أقامته الحكومة الماليزية سنة 2008 في مدينة بوتراجايا، حصل على شهادة الدكتوراة في الحقوق (الشريعة الإسلامية) عام 1963م، ثم أستاذاً عام 1975م، من كتبه: الفقه الإسلامي في أسلوبه الجديد، والوجيز في أصول الفقه، و القصة القرآنية، هداية وبيان، وغير ذلك، توفي وهبة الزحيلي يوم السبت 8 أغسطس 2015 الموافق 23 شوال 1436 هـ في دمشق بسوريا عن عمر يناهز 83 سنة انظر <http://www.odabasham.net>، انظر <http://www.alukah.net/culture>.

(4) الزحيلي، وهبة بن مصطفى التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 210/3، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط2، ت1418 هـ

ثانياً: التربية: عملية صوغ وتكوين لفعالية الأفراد ثم صب لها في قوالب معينة أي تحويلها إلى عمل اجتماعي مقبول لدى الجماعة.

ثالثاً: التربية: هي تنشئة وتكوين إنسانٍ سليمٍ مسلمٍ متكاملٍ من جميع نواحيه المختلفة، من الناحية الصحية والعقلية والاعتقادية، والروحية الاعتقادية، والإدارية والإبداعية.⁽¹⁾

التربية في الاصطلاح: يوجد عدة تعريفات للتربية في الاصطلاح وسأذكر بعض هذه التعريفات:

1_ هي تنشئة وتكوين إنسانٍ سليمٍ مسلمٍ متكاملٍ من جميع نواحيه المختلفة، من الناحية الصحية والعقلية والاعتقادية، والروحية الاعتقادية، والإدارية والإبداعية.⁽²⁾

2_ هي إيجاد الفرد المؤمن الذي يخشى الله ويتقيه ويحسن عبادته؛ ليفوز في الآخرة ويسعد في الدنيا.⁽³⁾

3_ هي إعداد الفرد أو الكائن الإنساني لحياته في الدنيا والآخرة.⁽⁴⁾

المطلب الثامن: الألفاظ ذات العلاقة لأسباب وصلاح وذرية.

أولاً: أسباب: مفردها سبب وهي على أربعة أوجه وهي: _

الباب، المنازل، العلم، الحبل.

⁽¹⁾ انظر سبتي عباس، النظام التربوي في الإسلام، من كتب التربية في التراث الإسلامي، http://tarba6.blogspot.com/2015/11/1_2.html، انظر فريد، أحمد التربية على منهج أهل السنة والجماعة، ص 17، المكتبة التوفيقية /مصر، دط، دت، وانظر سويد، محمد نور، منهج التربية النبوية للطفل، ص 20، دار ابن كثير/بيروت و دمشق، ط 10، ت 1997م، وانظر محب الدين أبو صالح، وزملاءه، دراسات في التربية الإسلامية، ص 13، د د، د ط 1979م، وانظر القرشي، باقر شريف النظام التربوي في الإسلام، ص 33، دار الكتاب الإسلامي، ط 1 ت 1378 هـ وانظر طمعة عبد المجيد التربية الإسلامية للأولاد منهاجاً وهدفاً وأسلوباً، ص 34، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط 1، 2001م، وانظر همشري، عمر أحمد، مدخل إلى التربية، ص 17، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، ت 2001م، وانظر يالجن، مقداد، أهداف التربية الإسلامية وغاياتها، ص 20، ط 1، 1406 هـ/1986م، وانظر <http://www.dfc.edunet.tn/Arab>

⁽²⁾ بنت الجريبة، ليلي بنت عبد الرحمن الجريبة، كيف تربي ولدك، ص 6، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، دط، دت.

⁽³⁾ إسحاق فرحان، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، ص 31-32.

⁽⁴⁾ الجنيدي، أنور التربية وبناء الأجيال في الإسلام، ص 153، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، ت 1975م.

الوجه الأول: الأسباب :الأبواب قال تعالى في سورة ص: ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾⁽¹⁾: يعني في الأبواب.

الوجه الثاني: الأسباب: المنازل، قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾⁽²⁾: يعني المنازل التي يجتمعون فيها على معصية الله تعالى.

الوجه الثالث: الأسباب: العلم، كقوله تعالى في سورة الكهف: ﴿وَأَيَّتَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾⁽³⁾: يعني علماً.

الوجه الرابع: السبب: الحبل، كقوله تعالى في سورة الحج: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾⁽⁴⁾: يعني بحبل إلى السقف.⁽⁵⁾

ثانياً:صلاح:

من صلح وهي على عشرة أوجه وهي :الإيمان،وحسن المنزلة، والرفق، وتسوية الخلق، والإحسان، والطاعة، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والحج.

الوجه الأول:الصلاح:الإيمان، كقوله تعالى في سورة الرعد: ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ﴾⁽⁶⁾: يعني ومن آمن من آبائهم.

الوجه الثاني:الصلاح :حسن المنزلة، كقوله تعالى في سورة يوسف : ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾⁽⁷⁾: يعني تصلح منزلتكم عند أبيكم .

(1) سورة ص، الآية 10.

(2) سورة البقرة الآية166.

(3) سورة الكهف الآية84.

(4) سورة الحج، الآية 15.

(5) الدامغاني، الحسين بن محمد، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، باب السنين، ص225، دار العلم للملايين بيروت لبنان، ط3، ت1980م.

(6) سورة الرعد الآية 23.

(7) سورة يوسف الآية9.

الوجه الثالث:الصلاح :الرفق،قال موسى لهارون: ﴿أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (1) يعني بأصلح :أرفق بهم .

الوجه الرابع:الصلاح:تسوية الخلق، كقوله تعالى في سورة الأعراف ﴿لَيْنٌ ءَاتَيْنَا صَالِحًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (189) فَلَمَّا ءَاتَهُمَا صَالِحًا ﴿(2) يعني سوي الخلق في أحسن صورة.

الوجه الخامس:الإصلاح:الإحسان، كقوله تعالى في سورة هود: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ (3) يعني الإحسان.

الوجه السادس:الصلاح:الطاعة،قال تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (4) يعني أطاعوا الله .

الوجه السابع:الصلاح :أداء الأمانة، كقوله تعالى في سورة الكهف : ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (5) هذه اللفظ عامة تعم كل ألوان الصلاح ومنها أداء الأمانة.

الوجه الثامن:الصلاح: برالوالدين كقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ (6) يعني بارزين بوالديكم.

الوجه التاسع:الصلاح :الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كقوله تعالى في سورة هود: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصَالِحُونَ﴾ (7) يعني فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

(1) سورة الأعراف الآية 142.

(2) سورة الأعراف الآية 189، 190.

(3) سورة هود الآية 88.

(4) سورة البقرة الآية 277.

(5) سورة الكهف الآية 82.

(6) سورة الإسراء الآية 25.

(7) سورة هود الآية 117.

الوجه العاشر:الصلاح:الحجّ، كقوله تعالى في سورة المؤمنين: ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾⁽¹⁾:أي أحج. (2)

ثالثا: الذرية:

من ذرأ، أو ذرر: وهي على خمسة أوجه:

الولد، والآباء، والخلق، والنفس، والنملة الصغيرة.

الوجه الأول:الذرية: بمعنى الولد، كقوله سبحانه وتعالى في سورة آل عمران ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾⁽³⁾:يعني الولد.

الوجه الثاني:الذرية:الآباء، كقوله تعالى في سورة يس: ﴿وَأَيُّ ذُرِّيَّتِهِمُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾⁽⁴⁾:يعني آباءهم.

الوجه الثالث:الذرية:الخلق، كقوله تعالى في سورة الأعراف ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾⁽⁵⁾:يقول خلقنا.

الوجه الرابع:الذرو:النفس، كقوله تعالى في سورة الكهف: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾⁽⁶⁾:أي تنسفه.

الوجه الخامس:الذرة:النملة الصغيرة، كقوله تعالى في سورة الزلزلة: ﴿مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾⁽⁷⁾:يعني وزن النملة. (8)

(1) سورة المؤمنون الآية 100.

(2) الدامغاني قاموس القرآن، باب الصاد، ص 282_284، مرجع سابق.

(3) سورة آل عمران الآية 38.

(4) سورة يس، الآية 41.

(5) سورة الأعراف الآية 179.

(6) سورة الكهف الآية 45.

(7) سورة الزلزلة الآية 7.

(8) الدامغاني، قاموس القرآن باب الذال ص 179_180، مرجع سابق.

المبحث الثاني: أهمية صلاح الذرية.

وفيه ثلاثة مطالب.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾. (1)

فمعنى قوله عزَّ وجلَّ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ﴾:

"مُرُوهُمْ بِالْخَيْرِ وَأَنْهَوْهُمْ عَنِ الشَّرِّ، وَعَلِّمُوهُمْ وَأَدِّبُوهُمْ تَقْوَهُمْ بِذَلِكَ نَارًا، {وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ}، يَعْنِي حَزَنَةَ النَّارِ، {غِلَظٌ}، فِظَاطٌ عَلَى أَهْلِ النَّارِ، {شِدَادٌ}، وَهُمْ الرِّبَانِيَّةُ لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ فِيهِمُ الرَّحْمَةَ، لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ". (2)

وبين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الوالدين مسئولان عن الأبناء وهم أمانة بين أيديهم وفي وصايا النبي صلى الله عليه وسلم العشر، لمعاد قال: أَوْصَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَشْرِ كَلِمَاتٍ قَالَ: (لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا وَإِنْ قُتِلْتَ وَحُرِّقْتَ، وَلَا تَعْفَنْ وَالِدَيْكَ، وَإِنْ أَمَرَكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ، وَلَا تَتْرُكَنَّ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا؛ فَإِنْ مِنْ تَرَكَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ، وَلَا تَشْرَبَنَّ حَمْرًا؛ فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ فَاحِشَةٍ، وَإِيَّاكَ وَالْمَعْصِيَةَ؛ فَإِنَّ بِالْمَعْصِيَةِ حَلَّ سَخَطُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِيَّاكَ وَالْفِرَارَ مِنَ الرَّحْفِ وَإِنْ هَلَكَ النَّاسُ، وَإِذَا أَصَابَ النَّاسَ مُوتَانٌ وَأَنْتَ فِيهِمْ فَانْتَبِتْ، وَأَنْفِقْ عَلَى عِيَالِكَ مِنْ طَوْلِكَ، وَلَا تَرْفَعْ عَنْهُمْ عَصَاكَ أَدْبًا وَأَخْفَهُمْ فِي اللَّهِ). (3)

(1) سورة التحريم، آية 6.

(2) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن ، 122/5، مرجع سابق.

(3) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، باب حديث معاذ بن جبل، حديث رقم 22075/36، مؤسسة الرسالة، ط1، ت1421 هـ - 2001 م، حكم عليه الألباني وقال صحيح الألباني محمد ناصر الدين إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، حديث رقم 89/7 2026، المكتب الإسلامي - بيروت، ط2، ت1405 هـ - 1985م

وقال المناوي⁽¹⁾: "لأن يؤدب الرجل ولده عندما يبلغ من السن والعقل مبلغاً يحتمل ذلك بأن ينشئه على أخلاق صلحاء المؤمنين، ويصونه عن مخالطة المفسدين، ويعلمه القرآن والأدب ولسان العرب، ويسمعه السنن وأقوال السلف، ويعلمه من أحكام الدين ما لا غنى عنه، ويهدده ثم يضره على نحو الصلاة وغير ذلك، خير له من أن يتصدق بصاع؛ لأنه إذا أدبه صارت أفعاله من صدقاته الجارية، وصدقة الصاع ينقطع ثوابها، وهذا يوم بدوام الولد والأدب غذاء النفوس وتربيتها للآخرة (فوقوا أنفسكم وأهلكم ناراً) فوقابتك نفسك وولدك منها أن تعظها وتزجرها بورودها النار وتقيم أودهم بأنواع التأديب فمن الأدب الموعظة والوعيد والتهديد والضرب والحبس والعطية والنوال والبر فتأديب النفس الزكية الكريمة غير تأديب النفس الكريهة اللئيمة، وفيه أن تأديب الولد أعظم أجراً من الصدقة".⁽²⁾

فالأولاد يقلدون آباءهم في الخير والشر، وفي ذلك يقول أحد الشعراء:

إذا كان رب البيت بالدف ضاربٍ ... فشيمة أهل البيت الرقص.³

ضارب: وورد أيضاً: ضاربا.

فشيمة أهل البيت الرقص: ورد أيضاً: فلا تلم الفتيان يوماً على الرقص.

قال أبو العلاء المعري :

مشى الطاووس يوماً باعوجاج... فقلد شكل مشيته بنوه

فقال: علام تختالون؟ فقالوا ... بدأت به ونحن مقلدوه

(1) المناوي: محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، زين الدين، ولد في القاهرة عام 952هـ/ 1545 م يعتبر المناوي من كبار العلماء بالدين والفنون، فقيه شافعي أخذ الفقه عن شمس الدين الرملي وغيره، والحديث والأدب وغيرها عن مشايخ عصره، وكان قليل الطعام كثير السهر، له نحو ثمانين مصنفًا، من كتبه: كنوز الحقائق والتيسير وغير ذلك، وتوفي بالقاهرة عام 1031 هـ / 1622 م، انظر الزركلي الأعلام، 204/6، مرجع سابق، وانظر نويهض معجم المفسرين 551/2، مرجع سابق.

(2) المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي فيض القدير شرح الجامع الصغير، 257/5، المكتبة التجارية الكبرى- مصر، ط1، ت1356

(3) الهاشمي، أحمد، السحر الحلال في الحكم والأمثال، ص73، دار الكتب العلمية بيروت، دط، دت، والعاملي، بهاء الدين الكشكول، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، 264/1، وفيه: بالدف مولعاً، "كلهم الرقص"، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ت1418هـ/1998م.

فغير سيرك المعوج واعدل ... فإن عدلت فنحن معدلوه

فغير:ورد أيضاً:فخالف.

أما تعرف أبانا كل فرع ... يجارى في الخطى من أدبوه؟

تعرف:ورد أيضاً:تدري.

وينشأ ناشئ الفتيان ... على ما كان عوده أبوه.¹

وتبدأ التربية منذ نعومة الأظفار، فإذا كبر الطفل يفلت الزمام، وفي ذلك يقول الإمام علي:

قد ينفع الأدب الأحداث في صغر... وليس ينفع عند الشيبة الأدب

أدب بنيك صغارا قبل كبرتهم... فليس ينفع بعد الكبرة الأدب

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ... ولا يلين إذا قومته الحشْبُ⁽²⁾.⁽³⁾

المطلب الأول: في المجال الأسري.

الأسرة هي أول وحدة اجتماعية تحيط بالطفل منذ ولادته، وهي الوحدة التي يبدأ فيه الطفل تكوين ذاته وتكوين اتجاهاته الفكرية والخلقية والاجتماعية عن طريق التنشئة الاجتماعية وتعليمه نماذج السلوك وأوجه التصرف المقبولة لدى المجتمع. ولا شك أن الوالدين يتحملان المسؤولية في عملية التنشئة هذه. ويؤكد الغزالي أن التنشئة الاجتماعية للطفل ليست عملية سهلة أو بسيطة، بل تتطلب كثيراً.

(1) قبش، أحمد، مجمع الحكم والأمثال، ص254، دار المعارف، القاهرة، ط1، ت1973م.

(2) الماوردي، أبو الحسن، أدب الدين والدنيا، شرح وتعليق:محمد كريم راجح، ص243، دار اقرأ، بيروت، ط4، ت1405هـ/1985م.

(3)انظر إمام محمد علي محمد صلاح البيوت في جهد الرسول - صلى الله عليه وسلم، ص186_189، مطبعة السلام - مبيت غمر، مصر، ط1، ت2009 م

إن الطفل قابل لكل ما يقال إليه من جهة الأبوين فهما المسؤولان عن تصرفاته وعن نمط شخصيته في المستقبل، ولهذا فإن الإمام الغزالي⁽¹⁾ يخاطب المربين وبخاصة الوالدين بقوله: "إن الطريق لتربية الأطفال وتهذيبهم وتحسين أخلاقهم وتعودهم الخصال الحميدة مسئولية كبرى تقع على عاتق الوالدين وكل من يوكل إليه أمر الطفل والاهتمام به وتربيته؛ لأن الطفل أمانة في عنق والديه، فالأم والأب مسئولان إلى حد كبير عن حسن تربيته أو سوءها، وعن انحرافاته الخلقية والاجتماعية أو عن تعاونه ومحبته للآخرين أو عن انحرافه أو إصلاحه، واعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها، والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة خالية عن كل نقشٍ وصورة، وهو قابل لكل نقش، ومائل إلى كل ما يُمال إليه، فإن عود الخير نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة أبواه، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم، شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه. وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملاً، وإنما يكمل ويقوى بالغذاء، فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال، وإنما تكمل بالتربية، وتهذيب الأخلاق، والتغذية بالعلم. وقد قال الله عز وجل ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ وَمَهْمَا كَانَ الْأَبُ يَصُونُهُ عَنِ نَارِ الدُّنْيَا فَبِأَن يَصُونَهُ عَنِ نَارِ الآخِرَةِ أَوْلَىٰ وَصِيَانَتُهُ بِأَن يُؤَدِّبَهُ وَيُهَدِّبَهُ وَيُعَلِّمَهُ".⁽²⁾

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾⁽³⁾ قَالَ الإمام عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ علموهم وأدبوهم وَقَالَ الحسن: مُرُوهُمْ بِطَاعَةِ اللهِ وَعَلْمُوهم الخَيْرِ.

(1) الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، الملقب حجة الإسلام زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي، نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غزّالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف، ولد سنة خمسين وأربعمائة، وقيل سنة إحدى وخمسين بالطابران، وهو فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف، من أشهر كتبه: إحياء علوم الدين و تهافت الفلاسفة، و المنقذ من الضلال وغير ذلك وتوفي يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة بالطابران، انظر السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، 191/6 هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، ت1413هـ وانظر ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، 4 / 217_218، دار صادر - بيروت، ط1، ت 1971، وانظر الزركلي، الأعلام 22/7، مرجع سابق.

(2) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، الملقب حجة الإسلام زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي، نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غزّالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف، ولد سنة خمسين وأربعمائة، وقيل سنة إحدى وخمسين بالطابران، وهو فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف، من أشهر كتبه: إحياء علوم الدين و تهافت الفلاسفة، و المنقذ من الضلال وغير ذلك وتوفي يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة بالطابران، انظر السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، 191/6 هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، ت1413هـ وانظر ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، 4 / 217_218، دار صادر - بيروت، ط1، ت 1971، وانظر الزركلي، الأعلام 22/7، مرجع سابق.

(3) سورة التحريم، آية 6.

إن من أعظم ما افترضه الله علينا تجاه نعمة الذرية أن نقوم على أمر تربيتهم، وتعاهدهم بما يصلح لهم أمور دنياهم وآخرتهم، والأولاد زينة الحياة الدنيا، كما ورد في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. (1)

إن الأبناء أمانة ومسئولية، يقول عليه الصلاة والسلام: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ).² ويقول الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ (3)، يعني بذلك تبارك وتعالى أن الذرية إذا كانت في درجة نازلة عن ذرية الآباء في الجنة فإنهم يلحقون بهم في الدرجات العليا، حتى يحصل الاجتماع في الآخرة كما حصل الاجتماع في الدنيا. (4)

وقد أشار سبحانه وتعالى إلى هذه الأهداف بكلمة جامعة هي كلمة { قرّة أعين } فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (5)، { قُرَّةَ أَعْيُنٍ } أي: أولادًا أبرارًا أتقياء، يقولون اجعلهم صالحين فنقر أعيننا بذلك، وليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله عز وجل. (6)

فمن يربي أولاده على الخير ويعلمهم إياه يكبرون على حبه والبر به والإحسان إليه، فيدعون له في حياته وبعد مماته قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا﴾ (7)، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي

(1) سورة الكهف آية 46.

² خرج هذا الحديث سابقاً في المقدمة.

(3) سورة الطور آية 21.

(4) انظر ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين تحفة المودود بأحكام المولود، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، 224، مكتبة دار البيان - دمشق، ط1، ت 1391 - 1971.

(5) سورة الفرقان، آية 74.

(6) انظر البغوي معالم التنزيل في تفسير القرآن 459/3، مرجع سابق، وانظر القرطبي الجامع لأحكام القرآن، 82/13، مرجع سابق.

(7) سورة الإسراء آية 24.

وَلَوْلَدَيَّ وَالْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿١١﴾⁽¹⁾، ويتحقق فيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أخرجه مسلم : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي بُرَيْدٍ، وَقُتَيْبَةُ يَعْنِي ابْنَ سَعِيدٍ، وَأَبْنُ حُجْرٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ هُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) (2). (3)

المطلب الثاني: في المجال الاجتماعي

إن صلاح الفرد له فوائد ايجابية على المجتمع فهو جزء من هذا المجتمع فصلاح الفرد يؤدي إلى صلاح المجتمع ويصبغه بالصبغة الإسلامية قال تعالى: {صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ} (4)، أي: الإيمان أودين الله الذي فطر الناس عليه، لظهور أثره على صاحبه، كالصبغ في الثوب. وإثماً سمأه صبغةً لآثمه يظهر أثر الدين على المُنْتَدِينِ، كما يظهر أثر الصبغ على الثوب صبغنا الله وفطرنا على الاستعداد للحق والإيمان بما جاء به الأنبياء، والإيمان أو الدين مطهر للمؤمنين من أدران الشرك، وهو حلية تزينهم بأثاره الجميلة، وهو متداخل ومنتشر في قلوب المؤمنين، كما يتداخل الصبغ، وبه يتبين أن الإيمان يشبه الصبغة في التطهير والحلية والتداخل.

وهل هناك صبغة أحسن من صبغة الله الحكيم الخبير؟! ومن صبغة الإسلام، فالله هو الذي يصبغ عباده بالإيمان، ويطهرهم به من أدران الشرك. (5)

كيف تتحقق معنى الصبغة من خلال التربية؟

(1) سورة إبراهيم آية 41.

(2) مسلم، صحيح مسلم، باب ما يلحق الإنسان من الثواب، حديث رقم 1631، 1255/3، مرجع سابق.

(3) مرسي، فن تربية الأولاد في الإسلام، 11/2، مرجع سابق.

(4) سورة البقرة آية 138.

(5) انظر البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، 173/1 دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 1420 هـ، وانظر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي مفاتيح الغيب 75/4، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط3، 1420 هـ، وانظر الزحيلي، وهبة بن مصطفى التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج 329/1، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط2، 1418 هـ

إن تربية الأولاد تساهم بشكل فعّال في إنشاء جيل صالح يصلح المجتمع بصلاحه وينشر الفضيلة فيه فعندما تصلح الذرية يخرج جيل صالح يفهم الإسلام الصحيح العالمي الشامل وينشره في مجتمعه يملأ المساجد، ويتبوأ أعلى المناصب فيؤدي هذا كله إلى أمن المجتمع وازدهاره وتطوره.⁽¹⁾

المطلب الثالث: في المجال الفردي

إن إهمال الطفل وعدم تربيته تربيةً سالحةً مستمدةً من الكتاب والسنة منذ نعومة أظفاره لها أثر سيئ على سلوكه، حيث إن الطفل الذي لم يتلق تربيةً سالحةً فإنه في الغالب عندما يكبر ويشب، يقع في المحرمات والموبقات، ويعق والديه ولا يبرهما، ويقطع الأرحام ولا يصلها، ويضر المجتمع كله، والكل يشتكون منه ويقولون: هذا لم يترب جيداً، قد غفل عن تربيته والداه، وأهملا في تنشئته وتركيبته، إما جهلاً أو انشغالاً بأمور أخرى، وعدم الجلوس مع الأولاد وعدم مصاحبتهم، وهما لم يفهما مقاصد الزواج، وما هي مسؤولية الوالدين؟.

قال ابن القيم⁽²⁾ رحمه الله: "وكم ممن أشقى ولده وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله، وترك تأديبه، وإعانتة على شهواته، وهو بذلك يزعم أنه يكرمه وقد أهانه، ويرحمه وقد ظلمه، ففاته انتفاعه بولده وفوت على ولده حظه في الدنيا والآخرة، ثم قال رحمه الله: فكم من والدٍ حرم والدّه خير الدُّنيا والآخرة وعرضه لهلاك الدُّنيا والآخرة وكل هذا عواقب تفریط الآباء في حقوق الله وإضاعتهم لها وإعراضهم

(1) انظر مرسي، محمد سيعد فن تربية الأولاد في الإسلام 11/2، دط، دت.

(2) ابن قيم الجوزية: محمّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حُرَيز الزَّرْعِيّ الدمشقيّ، شمس الدين أبو عبد الله ابن قيمّ الجوزية الحنبليّ، ولد عام 691م / 1292هـ بدمشق من كبار فقهاء الحنابلة، محدث، مفسر، متكلم جدلي، مشارك في بعض العلوم وأصوله وفي العربية، وتعلم الكلام والنحو وغير ذلك، وكان عالماً بعلم السلوك، وكلام أهل التصوف، وإشاراتهم، ودقائقهم، له في كل فن من هذه الفنون اليد الطولى، ولازم ابن تيمية وأخذ عنه واكتسب سمته وشرح مذهبه وتقلد مسائله، ودافع عنه، ورتب أقواله، وأكثر النقل عنه في كتبه ونُخرج به وكان حسن الخلق محبوباً عند الناس من كتبه: تفسير المعوذتين، تفسير الفاتحة، ولمحمد أوييس الندوي كتاب، التفسير القيم، للإمام ابن القيم، إعلام الموقعين و الطرق الحكمية في السياسة الشرعية وغير ذلك، توفي عام 751هـ/1350م بدمشق، انظر الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، 56/6، دار العلم للملايين، ط15، ت أيار / مايو 2002 م، وانظر ابن بَدَوِي، وليدُ بن حُسَني بن بَدَوِي بن مُحَمَّدِ الأمويّ، معجم أصحاب شيخ الإسلام ابن تيمية، ص136، دط، دت، وانظر نويهض، عادل معجم المفسرين 503/2، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيخ حسن خالد مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، ط3، ت1409 هـ - 1988 م

عَمَّا أَوْجِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَإِذَا اعْتَبِرْتَ الْفَسَادَ فِي الْأَوْلَادِ رَأَيْتَ عَامَتَهُ مِنْ قَبْلِ
الْآبَاءِ". (1)

والإهمال في التربية قد يؤدي إلى النار - أعاذنا الله منها- وقد حذر المولى عز وجل من ذلك فقال:
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ
شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } (2)

أما إذا اهتم الوالدان بتربية الطفل وإصلاحه، فإن هذا الطفل يفتح عينيه منذ نشأته على امتثال أوامر
الله وعلى اجتناب ما نهى الله عنه، والطفل يرتبط منذ صغره بأحكام الشريعة وبذلك فإنه لا يعرف سوى
الإسلام تشريعاً ومنهاجاً، ويحترم القيم والأخلاق فيتعاطف مع الآخرين ويكون ذكياً اجتماعياً، ويشعر
الطفل بالراحة تجاه نفسه ويقدرها ويطور مهاراته دائماً، ويكون الطفل شجاعاً وجريئاً وبالتالي يكون
الطفل سعيداً في الدنيا والآخرة، فإن صلاحه ينعكس عليه في الدنيا والآخرة. (3)

(1) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، 242، مرجع سابق.

(2) سورة التحريم آية 6.

(3) انظر المرسي من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي، ص 168_169، مرجع سابق.

الفصل الثاني

عوامل صلاح الذرية

هنالك عدة عوامل تؤدي إلى صلاح الذرية يجب على الآباء والأمهات أن يأخذوا بها حتى تكون ذرياتهم سالحة بإذن الله تعالى وهذه العوامل قسمتها إلى مبحثين، المبحث الأول: العوامل الإيمانية (الوجدانية) في صلاح الذرية، والمبحث الثاني: العوامل المادية في صلاح الذرية.

المبحث الأول: العوامل الإيمانية (الوجدانية) لصلاح الذرية وفيه عشرة مطالب.

والمقصود بها تربية الولد منذ نعومة أظفاره على أصول الإيمان، وتعيده منذ تفهمه أركان الإسلام وتعليمه من حين تمييزه مبادئ الشريعة الغراء، فيجب على الوالدين أن يحرصا كل الحرص، على هذا الأمر، وأن يعاهداه بالسقي والرعاية، وتقوم أصول الإيمان على:

الإيمان بالله سبحانه، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب، والإيمان بالرسول، والإيمان باليوم الآخر، والقضاء والقدر خيره وشره.

المطلب الأول: الإيمان بالله تعالى.

قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسَنُ مَا أَجْرُهُ} (1).

أخبر الله سبحانه وتعالى أن الذين آمنوا بقلوبهم بالله وملائكته، وكتبه ورسوله واليوم الآخر، وقاموا بأعمال القلوب كمحبة الله وخشيته ورجائه، وصدقوا هذا الإيمان بالأعمال الصالحة، وهي أعمال

(1) سورة الرعد آية 29.

الجوارح كالصلاة ونحوها لهم حياة طيبة فلم كمال الراحة وتمام الطمأنينة وفرح وكرامة، بما ينالون من رضوان الله وكرامته في الدنيا وحسن مرجع في الدار الآخرة، في جنة الله ورضوانه.⁽¹⁾

نستنتج من هذه الآية أن الإيمان بالله تعالى يؤدي إلى الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة ولن تكون الحياة طيبة إلا بصلاح الذرية؛ لأن بصلاحهم تطيب الحياة.

فالإيمان بالله تعالى يقود إلى صلاح البال والذرية كما بين ذلك في قوله تعالى ﴿وَرَكْرَكِيًّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ وَيَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ وَزَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَعَبًا وَرَهَبًا ۗ وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾﴾.²

وَأَذْكَرَ زَكَرِيَّا رَبًّا لَا تَذَرْنِي مُنْفَرِدًا لَا وِلْدَ لِي وَقَدْ نَفَدَمَ وَأَنْتَ خَيْرُ مَنْ يَبْقَىٰ بَعْدَ كُلِّ مَنْ يَمُوتُ، فأجبنا دعاءه: وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ قَالَ قَتَادَةُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ: إِنَّهَا كَانَتْ عَاقِرًا فَجُعِلَتْ وَلُودًا. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعَطَاءٌ: كَانَتْ سَيِّئَةَ الْخَلْقِ، طَوِيلَةَ اللِّسَانِ، فَأَصْلَحَهَا اللَّهُ تَعَالَىٰ فَجَعَلَهَا حَسَنَةَ الْخَلْقِ، وَيَخْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ جَمَعَتِ الْمَعْنَيْنِ فَجُعِلَتْ حَسَنَةَ الْخَلْقِ وَلُودًا.³

نستنتج أن الذرية عندما تكون مؤمنة بالله تعالى يصلح حالها وشأنها، ويعصمها من المعاصي ويهديها إلى العمل الصالح، وصلاح الأولاد يختلف من جيل إلى جيل وزمان إلى زمان؛ فإن تعقيدات الحياة فرضت ظروفًا استثنائية على المرابين من أجل تهيئة الأجواء المناسبة والصالحة للنشء، فالعالم أصبح

(1) انظر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي مفاتيح الغيب 41/19، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط3، ت1420 هـ، وانظر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص418، مرجع سابق، وانظر مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر التفسير الوسيط للقرآن الكريم، 438/5، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط1، ت1393 هـ = 1973 م، وانظر الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ص572، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط1، ت1415 هـ.

² سورة الأنبياء، آية 89، 90.

³ انظر الرازي، مفاتيح الغيب، 510/21، مرجع سابق، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 336/11، مرجع سابق، وانظر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 59/4، مرجع سابق.

تحت المجهر وتحديات التكنولوجيا لها تأثيرات مباشرة على سلوكيات الأبناء، فكان لزاماً أن نربي الأبناء على معاني الإسلام الصافية والنقية كي تتحقق الحياة الطيبة في هذا العصر.

وتحت هذا المطلب وهو الإيمان بالله تعالى مسائل متعددة وهي: _

المسألة الأولى: غرس حب الله تعالى

إن غرس حب الله تعالى من أسباب صلاح الذرية فمتى أحب العبد الله سبحانه وتعالى سعى في مرضاته وابتعد عما يغضبه سبحانه وتعالى فبهذا يكون عبداً صالحاً طائعاً لله تعالى وباراً بالديه.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣١). (1)

المحبة : ميل النفس إلى الشيء لكمال أدركته فيه، بحيث يحملها على ما يقربها إليه. والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا الله، وأن كل ما يراه كمالاً من نفسه أو غيره فهو من الله وبالله وإلى الله لم يكن حبه إلا الله وفي الله وذلك يقتضي إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه إليه، وعلامة الصدق في محبة الله: إتباع رسوله صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله، في أقواله وأفعاله، فمن اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم دل على صدقه في محبة الله تعالى، وأحبه الله وغفر له ذنبه، ورحمه وسدده في جميع حركاته وسكناته، ومن لم يتبع الرسول فليس محباً لله تعالى؛ لأن محبته لله توجب له إتباع رسوله، فما لم يجد ذلك دل على عدمها وأنه كاذب إن ادعاها. (2)

(1) سورة آل عمران آية 31.

(2) انظر البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، 13/2، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، ت1418 هـ، وانظر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص128، مرجع سابق، وانظر ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر تفسير القرآن العظيم تحقيق: محمد حسين شمس الدين، 27/2، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ط1، ت1419 هـ، وانظر أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 24/2، دار إحياء التراث العربي - بيروت، دط، دت، وانظر قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي في ظلال القرآن، 387/1، دار الشروق - بيروت - القاهرة، ط17، ت1412 هـ.

نستنتج من هذه الآية: وجوب محبة الله تعالى، وبهذه الآية يوزن جميع الخلق، فعلى حسب حظهم من إتباع الرسول يكون إيمانهم وحبهم لله، وحب الله ليس دعوى باللسان، ولكنه طاعة لله والرسول، وعمل بمنهج الله وتطبيق أوامره سبحانه وتعالى، واجتتاب نواهيه.

ومن الأمثلة على كيفية توظيف حب الله تعالى عند الأبناء وهم صغار حتى ينشئوا على حب الله:

- لفت نظر الطفل إلى نعم الله التي لا تعد ولا تحصى. فمثلاً: لو جلس الوالد مع ولده على الطعام فقال له: هل تعلم يا بني من أعطانا هذا الطعام؟

فيقول الولد: من يا أبتى؟ فيقول الأب: الله فيقول الولد: كيف؟ فيقول الأب: لأن الله هو الذي رزقنا ورزق الناس جميعاً أو ليس هذا الإله بأحق أن تحبه يا ولدي؟ سيجيب الولد: بلى.

-ولو مرض الولد مثلاً فيعوده الوالد على الدعاء.

يقول له: أدعو الله أن يشفيك؛ لأنه هو الذي يملك الشفاء، ثم يحضر له الطبيب ويقول له: هذا الطبيب سبب فقط ولكن الشفاء من عند الله، فإذا قدر الله له الشفاء يقول: أشكر الله يا ولدي، ثم يبين له فضل الله فيحبه؛ لأنه هو الذي أكرمه بالشفاء. وهكذا في كل مناسبة وعند كل نعمة يربطها بالمنعم حتى يغرس حب الله في قلب الولد الصغير.

وكلما كان أسلوب الأب بالإيحاء والإشارة دون التصريح والعبارة؛ فإنه أكد في التأثير وتَشْرِبِ الطفل للقيم الصحيحة دون تكلف أو تعسير أو تعثر في تحمل هذه المعاني السامية.

المسألة الثانية: اعتزال عبادة المشركين

إن من تمام محبة الله تعالى أفراد العبادة له سبحانه وتعالى، ويلزم ذلك الابتعاد عن عبادة المشركين ومفارقتهم ومفارقة آلهتهم التي يعبدونها من دون الله، والبراءة منها، وإخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى وهذه هي ملة إبراهيم عليه السلام. قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا

وَأَجْبَبْنِي وَيَنِي أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلَّلَنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي
وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ (1).

لقد تبرأ إبراهيم عليه السلام ممن عبد غير الله، فدعا الله وقال: أبعدني وأبنائي عن عبادة الأصنام فهو تبرأ ممن عبدها؛ لأن الأصنام تسببت في إضلال كثير من الناس بعبادتهم لها، وقال اجعل عبادتنا خالصة لك على منهج التوحيد، وقد استجاب الله دعاءه.

وإنه دعا لمكة بالأمن والاستقرار في ظلّ التوحيد، فقال الله سبحانه لسيدنا محمد مذكوره بسيدنا إبراهيم عليهما السلام واذكر يا محمد لقومك، ليعتبروا فيرجعوا عن إشراكهم، قول أبيهم إبراهيم بعد بناء الكعبة: يا رب اجعل هذا البلد الذي فيه الكعبة ذا أمن واستقرار، لا يسفك فيه دم، ولا يظلم فيه أحد، وقد أجاب الله دعاءه، فجعله آمناً للإنسان والطيور والنبات، فلا يقتل فيه أحد، ولا يصاد صيده، ولا يختلى خلاه، ولا يعضد شجره، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ (2)، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا﴾ (3).

فمن صدق إبراهيم عليه السلام في دينه واعتقاده وسار على منهجه في الإيمان بالله والتوحيد الخالص لله، فإنه على سنة إبراهيم وطريقته، ومن خالفه وعصاه بإقامته على الشرك فهو ليس على ملة إبراهيم، وأنت قادر على هدايته لأنك كثير المغفرة والرحمة. (4)

ثم بين الله سبحانه وتعالى كيف أن اعتزال عبادة المشركين تكون سبباً في الرزق، والذرية الصالحة، وفي كل الخير في الدنيا والآخرة، وأن الله كافأ إبراهيم عليه السلام على ذلك.

(1) سورة إبراهيم الآيات 35_36.

(2) سورة العنكبوت، آية 67.

(3) سورة آل عمران آية 97.

(4) انظر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 558/2، مرجع سابق، وانظر لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص369، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر، طبع مؤسسة الأهرام، ط18، ت1416 هـ - 1995 م، وانظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 441/4، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، د وهبة بن مصطفى التفسير الوسيط 1203/2، دار الفكر - دمشق، ط1، ت1422 هـ وانظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 42/3، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 262/13، مرجع سابق.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكَلَّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾
 وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ (1)

فلما فارق إبراهيم أباه وقومه وعبادتهم وآلهتهم وهجر أهله ودياره، لم يتركه الله وحيداً وعوضه خيراً، فأكرمهم الله تعالى بالذرية الصالحة على يأس منه، إذ بلغ هو وزوجه حد الكبر الذي لا ينجب، فوهب له إسحاق، ورزقه من إسحاق يعقوب، وجعلهما نبيين وأعطاهم الله فوق منزلة النبوة كثيراً من خيري الدين والدنيا ما بسط لهم في الدنيا من سعة الرزق وثناءً حسناً في الناس، وذكرى طيبة خالدة، فكل أهل الأديان يتولون إبراهيم وذريته، ويثنون عليهم، برحمته سبحانه وتعالى.

وجعل في ذريته النبوة، والكتاب، فلم يبعث الله نبياً بعد إبراهيم إلا من صلبه، وأنزل الكتب الأربعة المعروفة على أناس من ذريته، فالتوراة أنزلت على موسى من ولد إبراهيم، والإنجيل على عيسى من ولده، والزيور على داود من ولد إسحاق بن إبراهيم، والقرآن (أو الفرقان) على محمد صلى الله عليه وسلم من نسل إسماعيل بن إبراهيم، وآتاه أجره في الدنيا باجتماع أهل الملل عليه، وجعله في الآخرة في زمرة الصالحين. (2)

نستنتج من الآية: وجوب البراءة من المشركين ومما يعبدون، وإخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى، وإن الله سبحانه وتعالى يكرم المؤمن المخلص لله تعالى، ويجب الاقتداء بإبراهيم عليه السلام في الصبر على الدين الحق، ولتحقيق مبدأ إخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى، والبراءة من المشركين، فإنه يُغرس في نفس الطفل معنى التوكل الحقيقي على الله وأن الرزق والموت والحياة والعز والتمكين هو بيد الله سبحانه وتعالى وأن سلطان البشر مهما علا وتجبر فإنه سبحانه مالك الملك فلا يخضع الإنسان لجبروت البشر أو يضيع إيمانه ورسالته في الحياة من أجل منافع شخصية عاجلة.

(1) سورة مريم، 49، 50.

(2) انظر البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، 13/4، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، ت1418 هـ، وانظر الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، 186/3، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، ت1415 هـ - 1994 م، وانظر لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص448_449، مرجع سابق، وانظر قطب، في ظلال القرآن، 2312/4، مرجع سابق.

المطلب الثاني: محبة وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

إن من حب الله وطاعته: حب الرسول صلى الله عليه وسلم، وطاعته أيضاً، ولن يصلح الأبناء إلا بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وحبه، وذلك بتعليمهم مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم وشجاعته، ووفاءه، وحلمه، وكرمه، وصبره، وإخلاصه.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (٣٢). (1)

هذا أمر من الله تعالى لعباده بأعم الأوامر، وهو طاعته باتِّباع أوامره، واجتناب نواهيه، وطاعة الرسول التي يدخل بها الإيمان والتوحيد، وتكون باتِّباع سنَّته والاهتداء بهديه واقتفاء أثره فإن أعرضوا وخالفوا أمره، ولم يجيبوا دعوته غرورا منهم عن طاعة الله ورسوله فليس ثم أمر يرجعون إليه إلا الكفر وطاعة كل شيطان مريد، والله يبغضهم ويمقتهم ويعاقبهم أشد العقوبة فالاتباع الحقيقي للإسلام هو طاعة الله والرسول، والعمل بشريعته، واتِّباع أوامره واجتناب نواهيه. (2)

نستنتج من الآية:

إن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم، وطاعته واجبة، وأنها تكون فوق محبة الأهل، والنفس والولد، والله أمرنا بمحبته صلى الله عليه وسلم؛ لكونه رسولاً مرسلًا من عند الله إلى جميع الثقليين: الجن والإنس، ومحبته تكون في اتباع شرعه صلى الله عليه وسلم، وهو دليل الحب الصادق، كما قال الوراق³:

تَعْصِي الْإِلَهِ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ ... هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيْعٌ

(1) سورة آل عمران آية 32.

(2) انظر قطب، في ظلال القرآن، 378/1، مرجع سابق، وانظر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص128، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 207/3_208، مرجع سابق.
(3) الوراق: محمود بن الحسن الوراق؛ الشاعر المشهور، أكثر شعره في المواعظ والحكم، روى عنه: أبو بكر بن أبي الدنيا، وأبو العباس بن مسروق، وغيرهما، ويقال: إنه كان نخاسا يبيع الرقيق وتوفي في خلافة المعتصم في حدود الثلاثين والمائتين هجري، انظر ابن شاکر، محمد بن شاکر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاکر بن هارون فوات الوفيات تحقيق: إحسان عباس، 79/4، دار صادر - بيروت، ط1، 1974، وانظر الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 699/5، مرجع سابق.

لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ ... إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ¹

ثم بين الله سبحانه وتعالى إن من تمام طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم الاستجابة إلى حكم الرسول صلى الله عليه وسلم، والسمع والطاعة في المنشط والمكروه.

فإن الولد إذا غرست في قلبه محبة الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته بالافتداء بهديه والسير على سنته بما يتناسب والمرحلة العمرية التي يمر فيها فإنه سوف ينشأ شاباً صالحاً، وهذا يؤدي إلى صلاح الأجيال فتتسأ أجيال تعتر بهذا الدين، وبما فيه من قيم نبيلة، وفاضلة.

وطريق محبة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم تكون بقراءة سيرته والاجتماع الأسري المنظم على التذاكر لشخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وشمائله، ودعوة الأبناء تمثل هذه الشمائل حسب ما يوافق المرحلة العمرية لهم واعتباره صلى الله عليه وسلم القدوة الحقيقية وليس ما يعرض للجيل اليوم من تقليد أعمى للممثلين أو نجوم كرة القدم.

المطلب الثالث: اليقين بالله

هو أن يؤمن الإنسان بوجود الله تعالى، وأنه معه في حياته كافة في فرحه وحزنه في شدته ورخائه ويوقن حق اليقين بأن الله مدبر الأمور مسيرها كل شيء في الكون يمشي بحكمة الله وبأوامره واليقين سبب لهداية الإنسان، وفلاحه، فقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (٤) **أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴿٥﴾. (2) **بِأَنَّهُمْ آمَنُوا بِأَهَمَّ مَا يُوقِنُ بِهِ الْمُؤْمِنُ فَلَيْسَ التَّقْدِيمُ بِمُفِيدٍ حَصْرًا إِذْ لَا يَسْتَقِيمُ مَعْنَى الْحَصْرِ هُنَا بِأَنَّ يَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّهُمْ يُوقِنُونَ بِالْآخِرَةِ دُونَ غَيْرِهَا، يَسْتَقِيمُونَ أَنَّهَا كَائِنَةٌ، مِنَ الْإِيْقَانِ وَهُوَ الْعِلْمُ. وهؤلاء الموصوفون بما ذكر من الإيمان الحق بالغيب، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والاعتقاد باليوم الآخر، والإيمان بالقرآن وبالكتب المنزلة قبله (وهي التوراة والإنجيل والزيور والصحف) إِنَّ تِلْكَ الْأَوْصَافَ هِيَ سَبَبُ تَمَكُّنِهِمْ مِنْ هَدْيِ رَبِّهِمْ إِيَّاهُمْ. هم على نور وهداية من ربهم، وعلى منزلة عالية عند الله، فمن اتصف بأوصاف المؤمنين المذكورة،**

(1) الشافعي، محمد بن إدريس، ديوان الإمام الشافعي (المسمى الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس)،

إعداد وتعليق: محمد إبراهيم سليم قافية الفاء، ص96، مكتبة ابن سينا، القاهرة، دط، دت.

(2) سورة البقرة الآية 4_5.

كان القرآن هدى له، أي أنه إمامه في أعماله وأحواله، لا يحدد عن نهجه، وقد ضمن لنفسه النجاة في عالم الآخرة، والسعادة والطمأنينة في الدنيا.⁽¹⁾

فذلك يجب تعليم الأبناء اليقين، والثقة بالله تعالى وغرس ذلك في قلوبهم وهذا أسلوب فعال في ترسيخ العقيدة في نفوس الصغار، وقد استعمله الرسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس عندما ركب خلفه يوماً على حمار فقال له: (احفظ الله يحفظك).

أخرج الترمذي قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ مُوسَى قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ: أَخْبَرَنَا لَيْثُ بْنُ سَعْدٍ، وَأَبْنُ لَهَيْعَةَ، عَنْ قَيْسِ بْنِ الْحَجَّاجِ، وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْوَلِيدِ قَالَ: حَدَّثَنَا لَيْثُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي قَيْسُ بْنُ الْحَجَّاجِ، الْمَعْنَى وَاحِدٌ، عَنْ حَنْسِ الصَّنَعَانِيِّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: (يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ، أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ).⁽²⁾

وإن من الأمراض المستعصية اليوم ضعف الوازع الديني عند الناس وعدم اليقين بوعد الله سبحانه وتعالى، فأصبحت صورة الإيمان هشة وضعيفة في نفوس الناشئة ومشوشة وأكثر ما يرسخ هذا المفهوم القيمي هو القدوة ولا سيما لمن يتصدرون الخطاب الإسلامي من أهل العلم والثقافة.

المطلب الرابع: التقوى

إن التقوى خير ما يكتنزه المرء لذريته، فهي الخصلة التي تجمع خير الدنيا والآخرة، وهي سبب سعادة الدنيا والآخرة، والعاصم من كل شر، والباعث على كل فضيلة، وهي أساس النجاة في الدنيا والآخرة، وطريق التوصل إلى الطمأنينة والاستقرار والتوفيق، وصلاح الأمور والشعور بالرضا والارتياح، بل وإن سبب تيسر الرزق الحلال، والذرية الصالحة الالتزام بتقوى الله في السر والعلن.

يحثون على الزاد ... وما زاد سوى التقوى

(1) انظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 85/1، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور التحرير والتنوير، 240/1، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 75/1، مرجع سابق.

(2) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف حديث رقم 2516، 667/4، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط2، ت1395 هـ - 1975 م، حكم عليه الألباني وقال صحيح، الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، صحيح الجامع الصغير وزياداته، 1317/2، المكتب الإسلامي، دط، دت.

والتقوى هي: " حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور"⁽¹⁾

ومن أجود ما ورد في تعريف التقوى ما قاله التابعي طلق بن حبيب⁽²⁾، فإنه قال: "التَّقْوَى: عَمَلٌ بِطَاعَةِ اللَّهِ، عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ، رَجَاءَ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالتَّقْوَى تَرْكُ مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ، خِيفَةَ عِقَابِ اللَّهِ"³.

التَّقْوَى: امتثالُ المأموراتِ واجتنابُ المنهياتِ.

ومن التعريفات الجميلة للتقوى: "التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل"⁴.

قال أبو العتاهية⁵:

ألا إنما التقوى هو العز والكرم ... وحبك للعالم هو الذل والعدم

وليس على حر تقي نقيصة ... إذا أسس التقوى وإن حاك أو جحّم.⁶

حر: في الديوان عبد.

(1) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المفردات في غريب القرآن تحقيق: صفوان عدنان الداودي،

881/1 دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط1، ت1412 هـ

(2) طلق بن حبيب: طَلَّقُ بِنُ حَبِيبِ الْعَنْزِيِّ، بَصْرِيٌّ، زَاهِدٌ كَبِيرٌ، مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ، حَدَّثَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ الرُّبَيْرِ، وَجُنْدُبِ بْنِ سُفْيَانَ، وَغَيْرِهِمْ، رَوَى عَنْهُ: مَنْصُورٌ، وَالْأَعْمَشُ، وَسُلَيْمَانُ النَّيْمِيُّ، وَغَيْرِهِمْ، وَكَانَ صَالِحًا عَابِدًا شَدِيدَ الْبِرِّ بِأُمَّه، طَيِّبَ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ، مَاتَ طَلَّقُ: قَبْلَ الْمِائَةِ هَجْرِيَّةً، انظر الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 68/3، مرجع سابق، وانظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، 601/4، مرجع سابق.

(3) ابن المبارك أبو عبد الرحمن عبد الله الزهد والرفائق لابن المبارك، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، 473، دار الكتب العلمية - بيروت، دط، دت.

(4) انظر ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، 313/1، 459/1، دار الكتاب العربي - بيروت، ط3، ت1416 هـ - 1996م، وانظر الجيلاني، عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، 271/1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، ت1417 هـ - 1997 م، وانظر ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد شرح كلمة الإخلاص، ص150، شرح: فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، عناية: ياسر بن سعد بن بدر العسكر، دار ابن الجوزي، ط1، ت1435 هـ - 2014 م

(5) أبو العتاهية: أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزي بالولاء، العيني المعروف بأبي العتاهية الشاعر المشهور، ولقبوه بأبي العتاهية لاضطراب كان فيه، مولده بعين النمر، وهي بليدة بالحجاز قرب المدينة، وقد نسك بأخذه، وقال في الزهد والمواعظ، فأحسن وأبلغ، تُوفِّيَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ: فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ، سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ، وَلَهُ ثَلَاثٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً، بِيَعْدَادَ، انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 219/1، مرجع سابق، وانظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، 197/10، مرجع سابق.

(6) أبو العتاهية، ديوان أبي العتاهية، ص394، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، دط، ت1406هـ/1986م.

لقد أمر الله سبحانه عباده أن يتقوه حق التقوى، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسَامُونَ﴾ (1).

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله اتقاء حقا شاملا فيما استطعتم، أي بالغوا في التقوى، وأدوها كاملة حتى لا تتركوا شيئا من المستطاع، وذلك بالترام أوامر الله واجتناب نواهيه؛ بأن يطاع الله فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى، ودوموا على الإسلام حتى يوافقكم الموت وأنتم عليه.

ثم بيّن سبحانه في آية أخرى أن التقوى تكون بحسب الاستطاعة ومقدور الإنسان فقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾².

أي: فاتقوا الله حق تقاته ما استطعتم، وذلك بأن يؤديوا الواجبات، ويجتنبوا المنهيات، وذلك باجتناّب المعاصي كلها واتباع الأوامر قدر المستطاع.⁽³⁾

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ حَمَّشَادَ الْعَدَلِيُّ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ الْحَارِثِ، ثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، وَأَبُو نُعَيْمٍ قَالَا: ثنا مِسْعَرٌ، عَنْ زُبَيْدٍ، عَنْ مَرَّةَ بْنِ شَرَّاحِيلَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ " {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ} " (4) قَالَ: أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى وَيُذَكَّرَ فَلَا يُنْسَى.⁵

أخرج مسلم قال: حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التُّحَيْبِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ، قَالَا: كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ

(1) سورة آل عمران، الآية 2

(2) سورة التغابن آية 16.

(3) انظر الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ص225، دار القلم، دار الشامية - دمشق، بيروت، ط1، ت1415 هـ، وانظر القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين الجامع لأحكام القرآن تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش 157/4، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، ت1384 هـ - 1964 م، وانظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم، 164/8، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 27/4، مرجع سابق.

(4) آل عمران، 102

(5) الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، حديث رقم 3159، 323/2، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، ت1411 - 1990. «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرَجْهُ»

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَا تَهَيَّنُكُمْ عَنْهُ، فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاجْتِنَابُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ).¹

لقد تكفل الله سبحانه وتعالى لمن يتقي الله فيما أمره واجتنب ما نهاه عنه بأن ينجيه من كل كرب مما ضاق على الناس، ويرزقه من حيث لا يرجو ولا يخطر بباله، ويقنعه بما رزقه، ويبارك له في رزقه، وتمثل هذا بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۗ﴾.⁽²⁾

لقد ذكر الله المتقين في مطلع سورة البقرة، وذلك على أهمية التقوى وأهمية هذه الصفة في المؤمنين، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۖ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۖ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۖ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝﴾.⁽³⁾

خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى الْمُتَّقِينَ بِهِدَايَتِهِ وَإِنْ كَانَ هُدًى لِلْخَلْقِ أَجْمَعِينَ تَشْرِيفًا لَهُمْ وَإِجْلَالًا لَهُمْ وَكَرَامَةً لَهُمْ وَبَيَانًا لِفَضْلِهِمْ. لِأَنَّهُمْ آمَنُوا وَصَدَّقُوا بِمَا فِيهِ.⁽⁴⁾

وبعد أن عرّف الله تعالى بهم، حكم عليهم بأنهم على هدى من ربهم، وأنهم هم المفلحون ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝﴾.⁽⁵⁾

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أن الكتاب الذي أنزله هدى للمتقين؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بهداه دون بقية الخلق، وأخبرنا أن المتقين هم الذين يؤمنون بالغيب، والإيمان من عمل القلب، ويقومون الصلاة، وينفقون مما رزقهم ربهم، وهذان من الأعمال الظاهرة، ويؤمنون بما أنزل الله إلى رسوله.⁽⁶⁾

(1) مسلم، صحيح مسلم، باب تَوْقِيرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم 1337، 1830/4، مرجع سابق.

(2) سورة الطلاق، الآية 2_3.

(3) سورة البقرة الآية 1_4.

(4) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 162_161/1، مرجع سابق، وانظر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 36/1، مرجع سابق، وانظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 82/1، مرجع سابق، وانظر قطب، في ظلال القرآن، 39/1، مرجع سابق.

(5) سورة البقرة، آية 5.

(6) انظر العتيبي، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر، التقوى «تعريفها وفضلها ومحذوراتها وقصص من أحوالها»، ص16، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، ت1433 هـ - 2012 م، وانظر الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز تحقيق: محمد علي النجار، 258_257/5، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، دط، ت1412 هـ - 1992 م

* إن التقوى هي وصية الله تعالى للأولين والآخرين، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ (1).

أَنَّ الْأَمْرَ بِتَقْوَى اللَّهِ شَرِيعَةٌ عَامَّةٌ لِجَمِيعِ الْأَوْلِيَيْنِ وَالْآخِرِينَ لَمْ يَلْحَقْهَا نَسْخٌ وَلَا تَبْدِيلٌ، وَالْوَصِيَّةُ قَوْلٌ فِيهِ أَمْرٌ بِشَيْءٍ نَافِعٍ جَامِعٍ لِخَيْرٍ كَثِيرٍ، وَلِذَلِكَ وَصَى بِالتَّقْوَى، فَهِيَ وَصِيَّةٌ قَدِيمَةٌ مَا زَالَ يُوَصَّى اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ، وَلَيْسَتْ مَخْصُوصَةٌ بِالْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ لِأَنَّ التَّقْوَى سَبَبُ السَّعَادَةِ عِنْدَ اللَّهِ، وَبِهَا يَنَالُونَ النِّجَاةَ فِي الْعَاقِبَةِ، وَتَقْوَى اللَّهِ هِيَ الْكِفَايَةُ بِصَلَاحِ الْقُلُوبِ، وَحِرْصُهَا عَلَى مَنْهَجِهِ فِي كُلِّ جُزْئِيَّاتِهِ وَالتَّقْوَى تَجْمَعُ الْخَيْرَاتِ، لِأَنَّهَا امْتِنَالُ الْأَوَامِرِ وَاجْتِنَابُ الْمُنَاهِي، وَلِذَلِكَ مَا تَكَرَّرَ لَفْظُ فِي الْقُرْآنِ مِثْلَ مَا تَكَرَّرَ لَفْظُ التَّقْوَى. (2)

أَخْرَجَ أَحْمَدُ قَائِلًا: حَدَّثَنَا الضَّحَّاكُ بْنُ مَخْلَدٍ، عَنْ ثَوْرٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السُّلَمِيِّ، عَنْ عِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَجْرَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ لَهَا الْأَعْيُنُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فُلْنَا أَوْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودِعٌ، فَأَوْصِنَا. قَالَ: (أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى بَعْدِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِّبِينَ، وَعَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ) (3)

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ مَيْمُونِ بْنِ أَبِي شَيْبٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السُّنَّةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ). (4)

(1) سورة النساء، آية 131.

(2) انظر البيهقي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 711/1، مرجع سابق، وانظر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 574/1، مرجع سابق، وانظر الرازي، مفاتيح الغيب، 238/11، مرجع سابق، وانظر قطب في ظلال القرآن، 772/2، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 220/5، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 308/5، مرجع سابق.

(3) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، باب حديث العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، حديث رقم 17144، 373/28، مؤسسة الرسالة، ط1، ت1421 هـ - 2001 م، حكم عليه الألباني وقال حديث صحيح التبريزي، مشكاة المصابيح، حديث رقم 165، 58/1، مرجع سابق.

(4) الترمذي، سنن الترمذي، باب مَا جَاءَ فِي مُعَاشَرَةِ النَّاسِ، حديث رقم 1987، 423/3، مرجع سابق، حكم عليه الألباني وقال: حديث حسن صحيح، التبريزي، مشكاة المصابيح، حديث رقم 5083، 1409/3، مرجع سابق.

ثم بين الله سبحانه وتعالى أن أولياء الله هم المتقون، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٣﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٤﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٥﴾﴾ (1)

إن أولياء الله الذين يتولونه بالطاعة والعبادة، ويتولاهم بالكرامة هم الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وكانوا يتقون الله بامتنال أوامره واجتتاب نواهيه، فهم الذين جمعوا بين الإيمان الصحيح والتقوى، فلا خوف عليهم في الدنيا من مكروه يتوقع، ولهم الخير الكثير الذي لا يعلمه إلا الله تعالى مثل الأمن والسعادة والنصر والعز والثناء الحسن، والمودة في قلوب المؤمنين، والرؤيا الصالحة، وما يراه المتقي من تيسيره لأحسن الأعمال والأخلاق، وصرفه عن مساوئ الأخلاق، وفي الآخرة: الفوز والنجاة، والظفر بالجنة ونعيمها الأبدي الخالد، فهذه البشرى للمتقين جمعت لهم بين سعادتي الدنيا والآخرة. (2)

ثم إن معية الله سبحانه وتعالى بالنصر، والتأييد والتوفيق والسداد للمتقين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾. (3)

إن الله نصير المتقين الذين تركوا الفواحش والكبائر، ومؤيدهم ومعينهم، وهو معهم بالفضل والبر، والهداية، وهو أيضا نصير، ومعين المحسنين الذين فعلوا الطاعات. (4)

والتقوى هي خير ما يؤسس الإنسان بنيانه عليها.

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٢٩﴾﴾. (5)

(1) سورة يونس، آية 62، 63، 64.

(2) انظر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل 355/2، مرجع سابق وانظر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 368، مرجع سابق، وانظر قطب، في ظلال القرآن، 1804/3، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 211/11، مرجع سابق.

(3) سورة النحل آية 128.

(4) انظر القرطبي الجامع لأحكام القرآن 203/10، مرجع سابق، وانظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 104/3، مرجع سابق، وانظر الرازي، مفاتيح الغيب، 268/2، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 273_272/14، مرجع سابق.

(5) سورة التوبة آية 109.

أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خَيْرٌ، أم من أسسه على قاعدة هي أضعف القواعد وأرعاها وأقلها بقاء. وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جُرْفِ هارٍ في قلة الثبات والاستمساك. فَلَمَّا كَانَ مِنْ شَأْنِ الْأَسَاسِ أَنْ تُطْلَبَ لَهُ صَلَابَةُ الْأَرْضِ لِذَوَامِهِ جُعِلَتْ التَّقْوَى هي الأرض الصلبة الذي يركز عليه الأساس فَشُبِّهَتْ التَّقْوَى بِمَا يَرْتَكِزُ عَلَيْهِ الْأَسَاسُ فإنه لا يستوي من أسس بنيانه على أساس متين نافع في الدنيا والآخرة. ومن أسسه على الكفر والنفاق والمعصية. فإن ما ابتدئ بنية تقوى الله تعالى والقصد لوجهه الكريم، هو الذي يبقى، ويسعد به صاحبه، ويصعد إلى الله ويرفع إليه، وما أسس على غير التقوى لن يدوم وسينهار بأصحابه.⁽¹⁾

نستنتج من الآية السابقة :

ـ أن تقوى الله تعالى هي خير ما يؤسس عليها المؤمن بيته وهي خير ما يربي عليها ذريته، فمن يدخر لذريته التقوى يدخر لهم خير الدنيا والآخرة. ويحفظهم من كل شر، فالتقوى هي بمثابة الحصن المنيع لهم.

ـ وأنه ما من خير عاجل ولا أجل ظاهر ولا باطن، إلا وتقوى الله سبيلاً موصلً إليه ووسيلة مبلّغة له. وما من شرٍّ عاجل ولا أجل ظاهر ولا باطن، إلا وتقوى الله عز وجل حِرْزٌ متين وحصين للسلامة منه والنجاة من ضرره.

ـ وأن المتقين هم أولياء الله تعالى وأحباؤه والله سبحانه سيجزئهم الخير الكثير في الدنيا والآخرة.

وينتج عن تقوى الله لدى الطفل: أن مراقبة الطفل لربه تعودده على الخوف من الله تعالى فلا يخالف أمره. وهذا الزاجر أفضل من أي زاجراً آخر، والمهم هنا أن نعلم كيف نحقق التقوى عملياً لدى الأولاد؟ يكون بأن نعلم الأولاد أن كسب الحلال والصدق مع الناس واحترامهم والتعامل الحسن هي ترجمة عملية لمفهوم التقوى.

(1) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 217/4، مرجع سابق، وانظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 390/2، مرجع سابق، وانظر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 312/2، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور التحرير والتنوير، 34/11، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 50/11، مرجع سابق.

المطلب الخامس: العمل الصالح.

إن السعي إلى الحياة الطيبة هي محط الآمال عند كل البشر ولكن هل هنالك سببٌ في الحصول عليها؟ نعم إنه الإيمان بالله تعالى أولاً والعمل الصالح ثانياً وهذان سببان رئيسان للحياة الطيبة فالعمل الصالح، والإيمان بالله تعالى هما سببا السعادة والسكينة والطمأنينة التي يحس بها المؤمن.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۚ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾. (1)

هَذَا وَعَدُّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَىٰ لِمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ، وهي الأعمال المطابقة لكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأدى الفرائض، وكان قلبه مؤمناً بالله ورسوله، بِأَنْ يُحْيِيَهُ اللَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً تَشْمَلُ كل مناحي السعادة في الدنيا من الطمأنينة النفسية وراحة البال والرِّزْقِ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ، وَالْقَنَاعَةِ، والاطمئنان إلى رعاية الله. وستره ورضاه. وفيها أيضاً الصحة والهدوء والرضى والبركة، وسكن البيوت ومودات القلوب، والتوفيق إلى العمل بالطاعة والانشراح بها، كل هذا فِي الدُّنْيَا، ولهم الأجر الحسن في الآخرة فَإِنَّ الحَيٰوةَ الطَيِّبَةَ فِي الدُّنْيَا لَا تَنْقُصُ مِنَ الأَجْرِ الحَسَنِ فِي الآخِرَةِ. (2)

أخرج مسلم قال: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُفْرِيُّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي أَيُّوبَ، حَدَّثَنِي شُرْحُبِيلُ وَهُوَ ابْنُ شَرِيكٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبَلِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ). (3)

والأعمال الصالحة كثيرة منها: _

(1) سورة النحل آية 97.

(2) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 601/4، مرجع سابق، وانظر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 633/2، مرجع سابق، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 174/10، مرجع سابق، وانظر ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، تفسير القرآن الكريم، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، 376/1، دار ومكتبة الهلال - بيروت، ط1، 1410 هـ، وانظر قطب في ظلال القرآن، 2193/4، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 229_228/14، مرجع سابق.

(3) مسلم صحيح مسلم، باب في الكفاف والقناعة حديث رقم 1054، 730/2، مرجع سابق.

أولاً: إقامة الصلاة : الصَّلَاةُ عَمُودُ الدِّينِ وهي عماد الشريعة وأهم فرائض الملة وهي شعار المؤمنين وسنن الصالحين وسبيل المتقين، لذلك يجب المحافظة عليها، ومراعاة أوقاتها وإتمام ركوعها وسجودها والخشوع فيها.

قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (1).

أمر الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم بأن يأمر أهله بالصلاة ويمتنلها معهم، ويصطبر عليها ويلزمها وأهل بيته على التخصيص، ويدخل في هذا الخطاب جميع أمته.

فهذا أمر من الله وهو للوجوب بأن يقي المؤمنون أنفسهم النار بأفعالهم، وأهليهم بالنصح والوعظ والإرشاد، وهذا يتطلب الالتزام التام بأحكام الشرع أمراً ونهياً، وترك المعاصي وفعل الطاعات، ومتابعة القيام بالأعمال الصالحة، وحث الزوجة والأولاد على أداء الفرائض واجتناب النواهي، ومراقبتهم المستمرة في ذلك، ومن أهم هذه الفرائض التي يجب آداؤها، والمحافظة عليها الصلاة، فإن في المحافظة عليها كمال صلاح أمور الدنيا والآخرة وبها يصلح حال الإنسان مع أهله وتستدر البركة في الرزق، وتذل الأعداء. (2)

أخرج أبو داود قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ زَكْرِيَّا، عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الدُّوَلِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ، ابْنِ أَخِي حُدَيْفَةَ، عَنْ حُدَيْفَةَ، قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ³، صَلَّى).⁴

(1) سورة نوح آية 132.

(2) انظر الزمخشري الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 99/3، مرجع سابق، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 263/11، مرجع سابق، وانظر البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 362/3، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دط، دت، وانظر قطب، في ظلال القرآن، 2357/4، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 342/16، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 307/16، مرجع سابق.

(3) إذا حَزَبَهُ أَمْرٌ: أي إذا تَزَلَّ بِهِ مُهْمٌ أَوْ أَصَابَهُ غَمٌّ. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 377/1، دط، دت، 1399هـ - 1979م.

(4) ابو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بابُ وَقْتُ قِيَامِ النَّبِيِّ، حديث رقم 1319، 35/2، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، دط، دت، حكم عليه الألباني وقال حديث حسن، الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، صحيح أبي داود، باب وقت قيام النبي، حديث رقم 1192، 65/5، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، ت1423هـ - 2002م

لذلك فإن أول واجبات الرجل المسلم أن يحول بيته إلى بيت تقام فيه الصلاة ومجالس لذكر الله عزوجل وأن يوجه أهله إلى أداء الفريضة التي تصلهم معه بالله، والمحافظة على الصلاة ومراقبة الأبناء في كيفية أدائها وتعليمهم إتقانها، والخشوع فيها، وتحبيبهم في الصلاة وأخذهم إلى صلاة الجماعة والمساجد؛ لتشجيعهم عليها، والصبر عليهم في ذلك فيكون البيت مدرسة إيمانية يتعلم فيها الصغير والكبير.

أخرج أحمد بن حنبل قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الطُّفَاوِيُّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَكْرِ السَّهْمِيُّ، الْمَعْنَى وَاحِدٌ، قَالَا: حَدَّثَنَا سَوَّارٌ أَبُو حَمَزَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مُرُوا أَبْنَاءَكُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ، وَإِذَا أَنْكَحَ أَحَدُكُمْ عَبْدَهُ أَوْ أُجِيرَهُ، فَلَا يَنْظُرَنَّ إِلَى شَيْءٍ مِنْ عَوْرَتِهِ، فَإِنَّ مَا أَسْفَلَ مِنْ سُرَّتِهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ مِنْ عَوْرَتِهِ).⁽¹⁾

وقال تعالى: ﴿يَبْنَئِ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾⁽²⁾.

لقد وصى لقمان ابنه بعدم الشرك بالله وانتقل من تعليمه أصول العقيدة إلى تعليمه أصول الأعمال الصالحة فابتدأها بإقامة الصلاة، والصلاة التوجه إلى الله بالخضوع والتسبيح والدعاء في أوقات معينة في الشريعة التي يدين بها لقمان، والصلاة عماد الأعمال لاشتمالها على الاعتراف بطاعة الله وطلب الاهتداء للعمل الصالح، وطلب منه أن تكون هذه العبادة خالصة لوجه الله وهي أعظم الطاعات وبهذا يعلم أن الصلاة كانت في سائر الملل غير أن هينتها اختلفت.⁽³⁾

نستنتج مما سبق: فرضية الصلاة وهي عمود الدين ويجب المحافظة عليها بأدائها في أوقاتها وخشوعها، وأن الوالدين محاسبان أمام الله تعالى على تعليم أبنائهم الصلاة والواجب الصبر على ذلك،

(1) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم 6756، 369/11، مرجع سابق حكم عليه الألباني وقال صحيح، الألباني، محمد ناصر الدين إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، حديث رقم 298، 7/2، المكتب الإسلامي - بيروت، ط2، ت1405 هـ - 1985م

(2) سورة لقمان آية 17.

(3) انظر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 496/3، مرجع سابق، وانظر الرازي، مفاتيح الغيب، 121/25، مرجع سابق، وانظر القرطبي الجامع لأحكام القرآن، 69_68/14، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 164/21، مرجع سابق، وانظر البغوي معالم التنزيل في تفسير القرآن، 589/3، مرجع سابق.

ثم إن الصلاة سببٌ في صلاح الذرية والطمأنينة وراحة البال وهي سبب الخيرات، ومن أهمية الصلاة أنها كانت مفروضة في كل الشرائع ولكن اختلفت كيفيتها وهيئتها.

وهنا يجب أن نتجنب السلوكيات الخاطئة في الصلاة اليوم بحيث لا تكون مجرد مظهر أو هيكل إنما خشوع ومعنى وروح وحب وتواصل مع الله حتى يبقى الطفل متصالحاً مع نفسه غير متكلف بها.

وهناك دعوة لمدرس التربية الإسلامية لترسيخ وتطبيق ركن الصلاة في حصة التربية الإسلامية أو الفراغ. بالصلاة في المدرسة أو المسجد بشكل جماعي وتمارين الناشئة على هذا السلوك الهادف.

ثانياً: ذكر الله: الذكر يجلب الفرح والسرور والرزق والمهابة، ويوجب مراقبة الله وكثرة عبادته والإنابة إليه والقرب منه، وسبب للنجاة من عذابه، وبالذكر ترفع الدرجات، وتغفر السيئات، وتستدفع الآفات، وتستكشف الكربات، وبه انشراح الصدر وطمأنينة القلب، وحياته، وأن حياة الإنسان بحياة قلبه.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ (٢٩). (١) أي يهدي الله الذين صدقوا بالله ورسله، وسكنت قلوبهم إلى توحيد الله ووعدده، أنسا به، واعتمادا عليه، ورجاء منه، بذكر الله، وتأمل آياته، ومعرفة كمال قدرته عن بصيرة، فتطمئن قلوب المؤمنين، ويذهب القلق، والاضطراب عنهم، بما وقر في تلك القلوب من نور الإيمان، وَيَسْتَقِرُّ فِيهَا الْيَقِينُ، بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته ولهم العيش الطيب والنعمة والخير وحسن الثواب، وحسن المرجع. (٢)

أخرج البخاري، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ). (٣)

(١) سورة الرعد آية ٢٨، ٢٩.

(٢) انظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 20/3، مرجع سابق، وانظر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 528/2، مرجع سابق، وانظر ابن قيم الجوزية، تفسير القرآن الكريم، 336/1، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 382/23، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 165/13، مرجع سابق.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، باب فضل ذكر الله عز وجل، حديث رقم 6407، 86/8، مرجع سابق.

ويعد الذكر من أفضل الطاعات، إذ هو سرُّها وروحها، وهو أكبر من كل شيء، وأفضل من كل شيء، قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (1).

إِنَّ ذِكْرَ اللَّهِ أَمْرٌ عَظِيمٌ وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَذَكَرَ اللَّهُ يَكُونُ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا وَفِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ وَالْمُنَاسِبَاتِ، وَعِنْدَمَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِي الصَّلَاةِ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَذْكُرُهُمْ، وَلَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى إِيَاهُمْ أَكْبَرُ مِنْ ذِكْرِهِمْ إِيَاهُ (2).

أَخْرَجَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حُجَيْنُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي ابْنَ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ زِيَادِ بْنِ أَبِي زِيَادٍ، مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، أَنَّهُ بَلَغَهُ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا عَمِلَ آدَمِيُّ عَمَلًا قَطُّ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ) (3).
ولأهمية الذكر وفضله فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه، كما أخرج مسلم قائلًا: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، وَأَبِرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ خَالِدِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنِ الْبَهِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ) (4).

والذكر له أنواع وصيغ كثيرة فمنها: الاستغفار.

الاستغفار: طلب المغفرة، والمغفرة: هي محو الذنوب، وإزالة أثرها، ووقاية شرها، وسترها وفي عبادة الاستغفار فوائد كثيرة منها: رضا الله سبحانه وتعالى، وقرب العبد منه سبحانه، وبعد الشيطان عن الإنسان، واستجلاب الخيرات وحصول البركات، ودفع للشُرور والمكروهات، وغفران الذنوب، ودخول الجنات، ودفع البلاء، وزيادة الأموال والبنين، وبعد الاستغفار سبباً في صلاح الذرية، ونصوص القرآن الكريم ناطقة بهذا الكلام.

(1) سورة العنكبوت آية 45.

(2) انظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 250/20، مرجع سابق، وانظر ابن قيم الجوزية تفسير القرآن الكريم، 428/1، مرجع سابق، وانظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 559/3، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 20، 261، مرجع سابق.

(3) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، باب حديث معاذ بن جبل، حديث رقم 22079، 396/36، مرجع سابق، حكم عليه الألباني وقال صحيح الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزياداته باب حرف الميم حديث رقم 5644، 986/2 المكتب الإسلامي، دط، دت.

(4) مسلم صحيح مسلم، بابُ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي حَالِ الْجَنَابَةِ وَغَيْرِهَا، حديث رقم، 373، 282/1، مرجع سابق.

فالاستغفار سبب نزول المطر وصلاح الذرية، والرزق، والجنات، قال تعالى ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٢﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١٣﴾ وَيُمَدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ غَيْرِهَا وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٤﴾﴾ (1).

فَقَالَ لَهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اسْتَغْفَرْتُمْ رِبْكَم يَرْسِلُ الْمَطْرَ عَلَيْكُمْ مَتَابِعًا، كَثِيرَ الدَّرُورِ وَالْغَزَارَةِ، فَيَكْثُرُ الْخَيْرُ وَالْخَصْبُ وَالْغَلَالُ وَالثَّمَارُ، وَيَعْمُ الرِّخَاءُ وَالْإِطْمِنَانُ وَالسَّعَادَةُ وَالِاسْتِقْرَارُ، وَيَمُدِّدْكُمْ بِالْأَمْوَالِ الْكَثِيرَةِ وَيَعْطُكُمْ الْخَيْرَاتِ الْوَفِيرَةَ، وَيَكْثُرُ لَكُمْ الذَّرِيَّةُ وَالْأَوْلَادُ بِسَبَبِ الْأَمْنِ وَالرِّفَاهِ وَالشُّعُورِ بِالِاسْتِقْرَارِ وَالسَّعَادَةِ، وَيَجْعَلُ لَكُمْ الْبَسَاتِينَ النَّضْرَةَ الْخَضْرَاءَ الْعَامِرَةَ بِالْأَشْجَارِ وَالثَّمَارِ وَالْفَوَاكِهِ، وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا جَارِيَةً بِالْمَاءِ الْعَذْبِ، الَّتِي يَكْثُرُ بِهَا الزَّرْعُ وَالثَّمَرُ وَالغَلَّةُ، وَقَدَّمَ سَيِّدُنَا نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ الْمَوْعِدَ، لِأَنَّهُ أَوْقَعَ فِي نَفُوسِهِمْ وَأَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمَنَافِعِ الْحَاضِرَةِ وَالْفَوَائِدِ الْعَاجِلَةِ، تَرْغِيْبًا فِي الْإِيمَانِ وَبِرِكَاتِهِ وَالطَّاعَةِ وَنَتَائِجِهَا مِنْ خَيْرِ الدَّارَيْنِ.

عن الحسن البصري رحمه الله: أن رجلا شكى إليه الجذب، فقال: استغفر الله، وشكا إليه آخر الفقر، وآخر قلة النسل، وآخر قلة ريع أرضه، فأمرهم كلهم بالاستغفار، فقال له بعض القوم: أذاك رجال يشكون إليك أنواعا من الحاجة، فأمرتهم كلهم بالاستغفار، فتلا له الآية: فَقُلْتُ: اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ. (2)

وهذا دليل على أن الاستغفار من أعظم أسباب المطر وحصول الأرزاق، لذا كان مأمورا به في صلاة الاستسقاء.

أخرج البيهقي قال: أَخْبَرَنَا أَبُو نَصْرِ بْنِ قَتَادَةَ، أَنَّ أَبَا مَنصُورٍ النَّضْرَوِيَّ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ نَجْدَةَ، ثنا [ص:491] سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، ثنا سُفْيَانُ، وَهَشِيمٌ، عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: (حَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَسْتَسْقِي، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى الْإِسْتِغْفَارِ حَتَّى رَجَعَ، فَقِيلَ لَهُ: مَا رَأَيْتَكَ اسْتَسْقَيْتَ فَقَالَ:

(1) سورة نوح الآيات 10_12.

(2) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 302/18، مرجع سابق، وانظر البغوي معالم التنزيل في تفسير القرآن، 156/5، مرجع سابق، وانظر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 617/4، مرجع سابق، وانظر قطب، في ظلال القرآن، 3713/6، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 142/29، مرجع سابق.

لَقَدْ طَلَبْتُ الْمَطَرَ بِمَجَادِيحِ¹ السَّمَاءِ، الَّذِي يُسْتَنْزَلُ بِهِ الْمَطَرُ، ثُمَّ قَرَأْتُ ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا ﴿١١﴾﴾⁽²⁾، ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا ﴿٥٢﴾﴾⁽³⁾⁽⁴⁾

نستنتج من الآية: إن ثمرة الاستغفار على الإنسان المؤمن واسعة شاملة للدنيا والآخرة، فالاستغفار يوجب زيادة البركة والنماء، وافتتاح أبواب الخيرات، وإدراج الأمطار، وزيادة الغلال، ووفرة الثمار، وقد وعدهم الله على الاستغفار بخمسة أشياء: إنزال المطر، والإمداد بالأموال، والبنين، وحصول الجنات، وجعل الأنهار، ولذلك فالاستغفار هو سبب كل خير في الدنيا والآخرة ومن هذا الخير صلاح الذرية فمن يحرص على الذرية عليه باستغفار الله تعالى.

المطلب السادس: القدوة

يعد هذا السبب من أهم الأسباب، وأكثرها أثرًا في تربية الأبناء لا سيما وأن الأبناء يعتبرون آباءهم القدوة المطلقة لهم، ومصدر المعرفة والمواقف والأخلاق والآداب، وكل ما يتصل بأمر الحياة فينبغي للوالدين أن يكونا قدوة للأولاد في كل شيء مثل الصدق، والاستقامة، كظم الغيظ، وحسن استقبال الضيوف، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، وغير ذلك.

(1) بِمَجَادِيحٍ: "وقوله بمجاديح السماء" بجيم ثم دال مهملة ثم حاء مهملة أيضًا جمع مجدح كمنبر؛ قال في القاموس مجاديح السماء أنواعها، والمراد بالأنواء النجوم التي يحصل عنده المطر عادة فشبه الاستغفار بها، واستدل عمر بالآيتين على أن الاستغفار الذي ظن أن الاقتصار عليه لا يكون استسقاء من أعظم الأسباب التي يحصل عندها المطر والخصب، لأن الله جل جلاله قد وعد عباده بذلك وهو لا يخلف الوعد، ولكن إذا كان الاستغفار واقعًا من صميم القلب وتطابق عليه الظاهر والباطن، وذلك مما يقل وقوعه". الساعاتي، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البناء، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني، 243_242/6، دار إحياء التراث العربي، ط2، دت.

(2) سورة نوح، آية 10.

(3) سورة هود آية 52.

(4) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجْرِي الخراساني، السنن الكبرى تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بَابُ مَا يُسْتَحَبُّ مِنْ كَثْرَةِ الْإِسْتِغْفَارِ، رقم 6424، 490/3، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط3، ت1424 هـ - 2003 م، حكم عليه النووي وقال: إسناد صحيح، لكنه مُرْسَل، لم يدرك الشَّعْبِيُّ عمر، النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، تحقيق: حقه وخروج أحاديثه: حسين إسماعيل الجمل، بَاب من أدعية الاستِسْقَاءِ، رقم 3116، 880/2، مؤسسة الرسالة - لبنان - بيروت، ط1، ت1418 هـ - 1997 م

إن التقليد الفطري أن الابن يحاكي أباه، والبنات تحاكي أمها فقودة الآباء للأبناء هي غريزة سببها رابطة الأبوة والأمومة، وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، قال تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (1) وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٤﴾﴾ (2) إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ النَّاسَ عَلَى الْإِسْلَامِ فَخَلَقَهُمْ مُوحِدِينَ مُقْرِنِينَ بِوَجُودِ رَبِّهِمْ وَبِوَحْدَانِيَّتِهِ، يَوْمَ أَخْرَجَهُمْ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ كَالذَّرِّ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُ رَبُّهُمْ وَآمَنُوا بِهِ، فَمَنْ كَفَرَ فَقَدْ غَيَّرَ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، لِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِاتِّبَاعِ دِينِ الْفِطْرَةِ النَّقِيَّةِ لِأَنَّهُ دِينُ التَّوْحِيدِ. (3) فيجب على الآباء أن يكونوا قدوة لأبنائهم باتباع هذا الدين، وتربية الأبناء على الإسلام، ويكونوا موحدين مطيعين لله تعالى، ولا يجعلوهم ممن يغير خلق الله كما بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه البخاري: حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ (4) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(1) سورة الروم، آية 30.

(2) سورة الأعراف، الآية 172_174.

(3) أنظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 577/3، مرجع سابق، وانظر الرازي، مفاتيح الغيب، 223/11، مرجع سابق، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 144/2، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 85/21، مرجع سابق.

(4) أبو هريرة: بن عامر بن عبد ذي الشرى بن ظريف بن عتاب بن أبي صععب بن منبه بن سعد بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب الدوسي، اختلف في اسمه واسم أبيه اختلافا كثيرا، فقيل: اسمه عبد الرحمن بن صخر، وقيل: عبد الرحمن بن غنم، وقيل: عبد الله بن عائذ، وقيل غير ذلك، كَانَ اسْمُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَبْدَ شَمْسٍ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو الْأَسْوَدِ، فَسَمَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ، وَكَتَبَهُ بِأَبِي هُرَيْرَةَ، وَذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ وَجَدَ أَوْلَادَ هَرَّةٍ فَحَمَلَهَا فِي كَمَةِ فَقِيلَ لِي مَا هَذِهِ قَالَ هَرَّةٌ قِيلَ فَأَنْتَ أَبُو هَرِيرَةَ. وَكَانَ رَجُلًا آدَمَ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، ذَا ضَفِيرَتَيْنِ، أَفْرَقَ الثَّنْبَيْنِ، يَخْضِبُ شَبِيهَةً بِالْحُمْرَةِ، وَلَمَّا أَسْلَمَ كَانَ فَقِيرًا مِنْ أَصْحَابِ الصَّفَةِ، ذَاقَ جُوعًا وَفَاقَةً، ثُمَّ اسْتَعْمَلَهُ عُمَرُ وَغَيْرُهُ، وَوَلِيَ إِمْرَةَ الْمَدِينَةِ فِي زَمَنِ مُعَاوِيَةَ، وَكَانَ أَحَدَ الْحَفَاطِ الْمَعْدُودِينَ فِي الصَّحَابَةِ. رَوَى لَهُ نَحْوُ مِنْ خَمْسَةِ آلَافٍ حَدِيثٍ وَثَلَاثَ مِائَةِ وَسَبْعِينَ حَدِيثًا، فِي الصَّحِيحِينَ، حَدَّثَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَيْضًا عَنْ أَبِي بَكْرٍ، وَعَمْرٍ، وَالْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ، وَأَبِي بَنْدَةَ بْنِ كَعْبٍ، وَأَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَعَائِشَةَ، وَبَصْرَةَ الْغَفَارِيَّ، وَكَعْبَ الْأَحْبَارِ.

روى عنه ولده المحرر، ومن الصحابة ابن عمر، وابن عباس، وجابر، وأنس، ووائلة بن الأسقع. ومن كبار التابعين: مروان بن الحكم، وقبيصة بن ذؤيب، وغيرهم، قال البخاري: روى عنه نحو الثمانمائة من أهل العلم، وكان أحفظ من روى الحديث في عصره. عاش أبو هريرة ثمانيا وسبعين سنة، توفي أبو هريرة سنة سبع وخمسين انظر الحافظ المزي،

(مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ⁽¹⁾، فَأَبْوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ يُنصَرَانِهِ أَوْ يُمَجْسَانِهِ، كَمَا تَنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِبَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ)، ثُمَّ يَقُولُ: {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} (2). (3)

إن الآباء يجب أن يكونوا قدوة لأبنائهم في الخير فإن السلوك الصادق، والصحيح من الوالدين يؤثر في الأبناء أكثر من الكلام، فمثلاً نرى كيف يزاحم الطفل والده على سجادة الصلاة وهو يصلي في البيت ويركع ويسجد ويتشهد دون كلمة واحدة من توجيهاته!! إنه يفعل ما يفعل! ولعل هذا من الحكمة في صلاة النافلة في البيت حيث ينظر الأبناء إلى صلاة الأب فيكون قدوة له في ذلك وهذا ما أشار إليه الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه مسلم: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي نَافِعٌ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (اجْعَلُوا مِنْ صَلَاتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا). (4)

وعلى العكس من ذلك فإن السلوك السيئ من الأب يؤثر سلبياً في الابن ولا يكون الأب قدوة حسنة للابن فالأب تارك الصلاة لا يستطيع إقناع ابنه بأداء الصلاة والأب المدخن يعجز عن إقناع ابنه بترك التدخين إذا كان يدخن والأب الكاذب لا يستطيع أن يعلم ابنه الصدق والبعد عن الكذب!! لأنه ليس قدوة لابنه! وغير ذلك من الأمثلة.

=يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، 366/34، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، 1400 - 1980، وانظر أبو نعيم الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، 1885/4، دار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 1419 هـ - 1998 م، وانظر ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، 348/7، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415 هـ، وانظر الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، 560/2، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003 م

(1) معنى الفطرة: "الإسلام، وهي القابلية لدين الحق إذ لو تركوا وطبائعهم لما اختاروا ديناً آخر". العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 149/23، دار إحياء التراث العربي - بيروت، دط، دت.

(2) سورة الروم، آية 30.

(3) البخاري، صحيح البخاري، باب {لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} حديث رقم 4775، 114/6، مرجع سابق.

(4) مسلم المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب {سُئِلَ عَنْ صَلَاةِ النَّافِلَةِ فِي بَيْتِهِ} حديث رقم 777، 538/1، مرجع سابق.

والله سبحانه وتعالى نهى المؤمن أن يقول غير ما يفعل وأن يكون قدوة سيئة لأبنائه، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٩﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (1).

يا أيها المؤمنون بالله ورسوله، لا تقولوا قولاً وتخالفوه عملاً، وهذا إنكار على من يعد وعدا، أو يقول قولاً ولا يفى به، ويبين أن جرمه عظيم، ومبغوضاً عند الله أشد البغض، وعند الناس كذلك وخلف الوعد دليل على حب الذات (الأناية) وإهدار لمصلحة وكرامة ووقت الآخرين، وإخلال بالثقة بين الأفراد والجماعات، ولذلك وجب الوفاء بالوعد على كل حال إلا لعذر. (2)

ولذلك نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن أن يكون عمله خلاف قوله، سواء الوالدين مع أبنائهم، أو مع غيرهم لما يترتب عن ذلك من مفسد عظيمة، وإساءة للأبناء ولهذا الدين. وجعل خلف الوعد من صفات المنافقين كما أخرج البخاري، قال: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ أَبُو الرَّبِيعِ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ أَبُو سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ)³. وهذا النفاق هو: النفاق الأخلاقي؛ لأن النفاق نوعان وهما: أولاً: نفاق في العقيدة: وهو أن يظهر الإنسان خلاف ما يبطن وهذا كافر ومستقره يوم القيامة في الدرك الأسفل من النار.

ثانياً: نفاق في السلوك: وهو أنواع منها خلف الوعد، وهو ما جاء في الحديث، وهذا النوع أقل من النوع الأول فصاحبه لا يخلد في جهنم مثل الكافر.

(1) سورة الصف آية 2، 3.

(2) انظر الرازي، مفاتيح الغيب، 526/29، مرجع سابق، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 80_79/18، مرجع سابق، وانظر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 7_3/20، مرجع سابق، وانظر أبو السعود العمادي، تفسير أبي السعود، 242/8، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 174/28، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 164_161/28، مرجع سابق.

(3) البخاري، صحيح البخاري، باب علامة المنافق حديث رقم 33، 16/1 مرجع سابق.

إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا قدوة حسنة لأبنائهم وللمسلمين جميعاً والله سبحانه وتعالى أمرنا أن نقتدي بهم في كل شيء ومنها أن نكون قدوة حسنة لأبنائنا قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾. (1)

إن الأنبياء هم أهل الهدى الكامل من الله لا غيرهم. فالله جل جلاله يخاطب رسولنا صلى الله عليه وسلم ويقول له اقتد بهم، واتبع هداهم في الدعوة إلى توحيد الله وعبادته والأخلاق الحميدة، فهم القدوة الصالحة والأسوة الحسنة للبشرية في سلامة العقيدة، وكثرة العبادة، وصحة الدين، ونقاوة الأصل، وطهارة النسب والمعدن، واستقامة المنهج والطريق ورفعة الشأن والخلق، وإذا كان هذا أمر من الله جل جلاله للرسول صلى الله عليه وسلم، فالأمة تبعاً له صلى الله عليه وسلم في ذلك قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٢١) 2، فيجب علينا الاقتداء بالأنبياء والسعي في صلاح ذريتنا. (3)

وهذا يقودنا إلى دعوة الآباء إلى مراعاة أحوال أبنائهم بحيث يحرصون على أن يكونوا القدوة الحقيقية لهم، فعلى سبيل المثال: لا يمكن أن ينتهي الولد عن التدخين أو نطالبه بتركه والوالد مدمن عليه، ولا يمكن للأُم أن تقنع ابنتها بلبس الحجاب وهي متبرجة وهكذا.

نستنتج أن أعظم وسائل التربية: التربية بالقدوة لا بد للطفل من قدوة في أسرته ووالديه لأن الأسرة هي المحضن الذي يغرس في نفس الطفل أول الغرس، ويؤثر بتصرفاته في مشاعر الطفل وسلوكه فيتشرب منذ طفولته المبادئ الإسلامية وينهج على نهجها الرفيع، فالقدوة للأبناء هي التي تطبعهم بطابع الإسلام وأخلاقه ومعاملاته فمتى يخرج الولد محباً للصلاة؟ إذا رأى أباه يصلي، وإذا رأى أمه تصلي.

ومتى تخرج البنت الصغيرة محبة للحجاب والعفة؟ إذا رأت أمها محبة للحجاب ملتزمة به عفيفة.

(1) سورة الأنعام الآية 90.

(2) سورة الأحزاب، آية 21.

(3) انظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 282/7، مرجع سابق، وانظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 142/2، مرجع سابق.

وعلى العكس من ذلك إذا كانت القدوة سيئة ينشأ الولد على السوء لأن الولد الذي يرى والده يكذب لا يمكن أن يتعلم الصدق!

والولد الذي يرى أمه تغش لا يمكن أن يتعلم الأمانة!

والولد الذي يقسو عليه أبوه لا يمكن أن يتعلم الرحمة والتعاون.

ومتى يخرج الولد راقصاً؟ إذا رأى أباه راقصاً، وإذا رأى أمه غير ملتزمة

قال الشاعر سبط ابن التعاويذي¹:

إذا كان رب البيت للدف ضارباً فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

المطلب السادس: صلاح الأبوة

إن صلاح الأبناء مرتبط بصلاح الآباء، وإذا فسد الآباء فسد الأبناء (ولا يستقيم الظل والعود أعوج) وإن الناظر إلى حال البشرية على مر العصور يجد أن الصد عن دين الله إنما كان باتباع سنن الآباء واقتفاء أثرهم، فكان من الواجب بيان أهمية صلاح الآباء وأثرهم على أولادهم.

فإن لصلاح المؤمن بركة على حياته تمتد لذريته من بعده وتبقى فيهم دليلاً على فضل الاستقامة وكرامة أهل الإيمان عند الله فلا تكاد تجد عبداً صالحاً إلا وترى في ذريته لمسات الخير والهداية والإيمان والصلاح وقد قص الله علينا قصة الغلامين اليتيمين في سورة الكهف وكيف حفظهما الله وحفظ لهما كنزهما بصلاح والدهما قال تعالى ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (2).

(1) ابن التعاويذي: هو محمد بن عبيد الله بن عبد الله، أبو الفتح، المعروف بابن التعاويذي أو سبط ابن التعاويذي شاعر العراق في عصره، ولد في بغداد عام 519هـ / 1125م وتوفي فيها عام 583هـ / 1187م ولي فيها الكتابة في ديوان المقاطعات، له ديوان شعر، وله كتاب الحجة والحجاب، كان أبوه مولى اسمه (ثشكنين) فسمي عبيد الله. انظر الزركلي، الأعلام، 260/6، مرجع سابق، وانظر ابن خلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 466/4، مرجع سابق.
(2) سورة الكهف آية 82.

فيفيد النص القرآني أن الحائط الذي أصلحه الرجل الصالح، كان لولدين صغيرين يتيمين وكان اسمهما أصْرُمٌ وَصَرِيمٌ، في قرية هي أنطاكية¹، وكان تحته مال مدفون لهما وكان أبوهما وهو الأب السابع رجلا صالحا، فأراد الله إبقاء ذلك الكنز مدفونا حفظا لمالهما حتى يبلغ الغلامان كمالهما وتمام نموهما، ويستخرجا الكنز من ذلك الموضع الذي عليه الجدار، إذ لو سقط الحائط لبان للمارة، وأخذ هذا المال، وهذا رحمة من الله لهما، لصلاح أبيهما، إِنَّ اللَّهَ يَحْفَظُ بِصَلَاحِ الْعَبْدِ وِلْدَهُ وَوَلَدَ وِلْدِهِ، وَعَنْرَتَهُ وَعَشِيرَتَهُ وَأَهْلَ دُوَيْرَاتِ حَوْلِهِ، فَمَا يَزَالُونَ فِي حِفْظِ اللَّهِ مَا دَامَ فِيهِمْ.⁽²⁾

نستنتج أن صلاح الأب يحفظ الأبناء في حياته ومن بعده، حتى الجيل السابع لأن أب الغلامين كان هو الأب السابع، كما جاء في بعض الروايات؛ لأنه ورد في بعض التفاسير أنه الجد السابع.

فهذه الوسيلة أصمت الوسائل وأبقاها، وأرفعها وأعلاها؛ ولذلك كان السلف الصالح رضي الله عنهم يعلمون قيمة هذه الوسيلة وأهميتها في صلاح وحفظ أبنائهم فيعملون بها، ومنهم سعيد بن المسيب³ حيث كان يزيد في صلته الناقله رجاء حفظ ولده فقد قال: إِنِّي لِأَصْلِي فَأَذْكُرُ وَوَلَدِي فَأَزِيدُ فِي صَلَاتِي.

(1) أنطاكية: مدينة من الثغور الشامية وهي من أعيان المدن على طرف بحر الروم بالشام، بنتها انطاكية بنت الروم بن اليقن بن سام بن نوح، عليه السلام. انظر البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، 200/1، عالم الكتب، بيروت، ط3، ت1403 هـ، وانظر القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، ص150، دار صادر - بيروت، دط، دت.

(2) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 39/11، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 13_11/16، مرجع سابق، وانظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 211_210/3، مرجع سابق، وانظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 187/5، مرجع سابق، وانظر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 742/2، مرجع سابق.

(3) ابن المسيب: سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ بْنِ حَزْنِ الْقُرَشِيِّ الْمَخْرُومِيِّ، الْإِمَامُ، الْعَلَمُ، أَبُو مُحَمَّدٍ، عَالِمُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وُلِدَ: لِسِتْنَتَيْنِ مَضْتًا مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَأَى عُمَرَ، وَسَمِعَ: عُثْمَانَ، وَعَلِيًّا، وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَأَبَا مُوسَى، وَسَعْدًا، وَعَائِشَةَ، وَغَيْرَهُمْ، وَرَوَى عَنْ: بِلَالٍ، وَسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، وَأَبِي ذَرٍّ، وَغَيْرِهِمْ، رَوَى عَنْهُ: إِدْرِيسُ بْنُ صَبِيحٍ، وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ اللَّيْثِيُّ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ أُمَيَّةَ، وَغَيْرِهِمْ، كَانَ مِنْ سَادَاتِ التَّابِعِينَ فَقَهَا وَوَرَعًا وَعِبَادَةً وَفَضْلًا وَزُهَادَةً وَعِلْمًا، مَاتَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتَسْعِينَ. انظر ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق على ابراهيم، ص105، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة، ط1، ت1411 هـ - 1991 م، وانظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، 219_217/4، مرجع سابق.

إن صلاح الآباء ينفع الأبناء في الدار الآخرة فالرجل الصالح تشمل ذريته بركة عبادته في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم ورفع درجاتهم إلى أعلى درجة في الجنة لتقر عينه بهم.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٦١﴾﴾. (1)

أن الله سبحانه يرفع ذرية المؤمن إليه، في المنزلة فضلا منه، وكرما، وإن كانوا دونه في العمل، لتقر عينه، وتطيب نفسه، بشرط كونهم مؤمنين. ومن باب أولى يلحق الآباء بالأبناء إن كان هؤلاء أحسن حالا من آبائهم، فيرفع ناقص العمل إلى منزلة كامل العمل، ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته، للتساوي بينه وبين ذلك، وهذا من فضله تعالى على الأبناء ببركة عمل الآباء، ومن فضله على الآباء ببركة دعاء الأبناء. (2)

أخرج أحمد بن حنبل قال: حَدَّثَنَا يَزِيدُ، أَخْبَرَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ).³

وله شاهد في صحيح مسلم أخرج مسلم قال: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي بُرَيْدٍ، وَقُتَيْبَةُ يَعْنِي ابْنَ سَعِيدٍ، وَابْنُ حُجْرٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ هُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ).⁴

(1) سورة الطور آية 21.

(2) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 433/7، مرجع سابق، وانظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 292_291/4، مرجع سابق، وانظر ابن قيم الجوزية، تفسير القرآن الكريم، 492/1، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 131/13، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 71_67/27، مرجع سابق.

(3) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، باب مسند أو هريرة رضي الله عنه، حديث رقم 10610، 356/16، مرجع سابق.

(4) مسلم، صحيح مسلم، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، حديث رقم 1631، 1255/3، مرجع سابق.

أَي: "أَنَّ عَمَلَ الْمَيِّتِ يَنْقَطِعُ بِمَوْتِهِ وَيَنْقَطِعُ تَجَدُّدُ الثَّوَابِ لَهُ إِلَّا فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الثَّلَاثَةِ لِكَوْنِهِ كَانَ سَبَبَهَا فَإِنَّ الْوَلَدَ مِنْ كَسْبِ أَبِيهِ وَكَذَلِكَ الْعِلْمُ الَّذِي خَلَفَهُ مِنْ تَعْلِيمٍ أَوْ تَصْنِيفٍ وَكَذَلِكَ الصَّدَقَةُ الْجَارِيَةُ"¹.

المطلب السابع: المطلب الثاني: الدعاء

إن في القرآن آيات كثيرة في الحث على الدعاء لله تعالى وفي كل ظرف، ووعده رباني بالاستجابة لمن يدعو، وإيدان بأنه قريب إليه والله عز وجل يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾².

أمرهم بالدعاء ووعدهم بالإجابة، وليس بينهما شرط، فأمر تعالى بالدعاء وخص عليه وسماه عبادة، ووعده بأن يستجيب لهم.

فإنني قريب تمثيل لحاله في سهولة إجابته لمن دعاه وسرعة إنجازه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه، فإذا دعى أسرع تلبية، وأنه تعالى لا يخيب دعاء داع، ولا يشغله عنه شيء، بل هو سميع الدعاء. وفيه ترغيب في الدعاء، وأنه لا يصيب لدهي تعالى وعليهم أن يدعو ولا يستعجلوه. فهو يقدر الاستجابة في وقتها بتقديره الحكيم.³

أخرج البخاري: - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي عُمَانَ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ، هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ)⁽⁴⁾.

(1) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 85/11، مرجع سابق.

(2) سورة البقرة آية 186.

(3) انظر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 228/1_229، مرجع سابق، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 309/2، مرجع سابق، وانظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 506/1_507، مرجع سابق، وانظر قطب، في ظلال القرآن، 173/1، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور التحرير والتنوير، 179/2، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 153_151/2، مرجع سابق.

(4) البخاري، صحيح البخاري، باب ما يُكره من رفع الصوت في التكبير، حديث رقم 2992، 57/4، مرجع سابق.

فعلى المسلم أن يدعو الله أن يرزقه الولد الصالح الذي ينفعه في حياته وبعد مماته، فعباد الله يدعون الله ويسألونه الذرية الصالحة فقد قال سبحانه وتعالى في وصف عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا

هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٦﴾¹.

سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجا وأقبا عباداً لله، يسرون بمكانتهم وتقرّ عيونهم بهم فعن محمد بن كعب: ليس شيء أقرّ لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله، وتلك القرّة هي أن يشاهدوا أولادهم وأزواجهم مطيعين مؤمنين مؤظيين على العبودية، وذلك أنّ الإنسان إذا بُورك له في ماله وولده قرّت عينه بأهله وعياله، حتّى إذا كانت عنده زوجة اجتمعت له فيها أمانيه من جمالٍ وعفةٍ ونظرٍ وحوطةٍ أو كانت عنده ذريّة محافظون على الطاعة، معاونون له على وظائف الدين والدنيا، لم يلتفت إلى زوجٍ أحدٍ ولا إلى ولده، فنسكن عينه عن الملاحظة، ولا تمتدّ عينه إلى ما ترى، فذلك حين قرّة العين، وسكون النفس. فإنّ المؤمن إذا ساعده أهله في طاعة الله عزّ وجلّ وشاركوه فيها يسرّ بهم قلبه وتقرّ بهم عينه لما يشاهده من مشايعتهم له في مناهج الدين وتوقّع لحوقهم به في الجنة حسبما وعد بقوله تعالى ألحقنا بهم ذريّتهم، سألوا أن يلحق الله بهم أزواجهم وذريّتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم.² لذلك يجب الدعاء بصلاح الذرية وفيه عدة مسائل، ومنها: _

المسألة الأولى: الدعاء قبل وجود الأولاد

أولاً: سؤال الله الذرية الصالحة:

فهذا العمل دأب الأنبياء والمرسلين، وعباد الله الصالحين كما قال تعالى في زكريا عليه السلام: ﴿قَالَ

رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾⁽³⁾ وكما حكى عن الصالحين أن من صفاتهم

أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٦﴾﴾⁽⁴⁾.

(1) سورة الفرقان آية 74.

(2) انظر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 296/3، مرجع سابق، وانظر الرازي، مفاتيح الغيب، 337/5، مرجع سابق، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 82/13، مرجع سابق، وانظر أبو السعود العمادي، تفسير أبي السعود، 231/6، مرجع سابق.

(3) سورة آل عمران، آية 38.

(4) سورة الفرقان آية 74.

قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ^ط قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَادَاتُهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾. (1)

لَمَّا رَأَى زَكَرِيَّا، عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْزُقُ مَرْيَمَ، عَلَيْهَا السَّلَامُ، فَكِهَةَ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ، وَفَاكِهَةَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ، طَمِعَ حِينَئِذٍ فِي الْوَلَدِ، وَإِنْ كَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ ضَعُفَ وَوَهَنَ مِنْهُ الْعَظْمُ، وَاشْتَعَلَ رَأْسُهُ شَيْبًا، وَإِنْ كَانَتْ امْرَأَتُهُ مَعَ ذَلِكَ كَبِيرَةً وَعَاقِرًا، لَكِنَّهُ مَعَ هَذَا كُلِّهِ دَعَا رَبَّهُ، فَدَخَلَ الْمِحْرَابَ وَغَلَقَ الْأَبْوَابَ وَنَاجَى رَبَّهُ، قَالَ يَا رَبِّ، أَعْطِنِي مِنْ عِنْدِكَ وَلَدًا مُبَارَكًا تَقِيًّا صَالِحًا رَضِيًّا، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ وَرَزَقَهُ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. (2)

ثانياً: النية

والنية تبدأ والجنين في بطن أمه فينوي الوالدان أن يكون هذا الجنين صالحاً طائعاً لله تعالى وذلك مثل امرأة عمران، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ^ط إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾. (3)

واذكر وقت أن قالت امرأة عمران وهي أم مريم واسمها حنة بنت فاقود، وكانت عاقراً لم تلد، واشتاقتم للولد، فدعت الله تعالى أن يهبها ولداً، فاستجاب الله دعاءها، فلما تحققت الحمل قالت: رب إنني نذرت لك ما في بطني خالصاً لوجهك الكريم، متفرغاً للعبادة وخدمة بيت المقدس وكان ذلك جائزاً في شريعتهم، وكان على الولد الطاعة. ولم تكن تعلم ما في بطنها أذكراً أم أنثى، وكان المَحْرَرُ إِذَا حُرِّرَ جُعِلَ فِي الْكَنِيسَةِ يَقُومُ عَلَيْهَا يَكْنَسُهَا وَيَخْدُمُهَا وَلَا يَبْرَحُ مَقِيمًا عَلَيْهَا حَتَّى يَبْلُغَ الْحُلُمَ، ثُمَّ يُخَيَّرُ إِنْ أَحَبَّ أَقَامَ فِيهَا وَإِنْ أَحَبَّ ذَهَبَ حَيْثُ شَاءَ، وَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ بَعْدَ التَّخْيِيرِ لَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ

(1) سورة آل عمران، آية 38، 39.

(2) انظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم، 37/2، مرجع سابق، وانظر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 129، مرجع سابق، وانظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 435/1، مرجع سابق، وانظر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 359/1، مرجع سابق، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 73/4، مرجع سابق.

(3) سورة آل عمران، آية 35.

الأنبياء والعلماء إلا من نسله محرر لبيت المقدس، ولم يكن محرراً إلا الغلمان، وإطلاق المحرر على هذا المعنى إطلاق تشريف لأنه لما خلص لخدمة بيت المقدس فكأنه حرر من أسر الدنيا وقبورها إلى حرية عبادة الله تعالى، فحررت أم مريم ما في بطنها ودعت الله أن يتقبل منها هذا النذر، وهو السميع لكل قول ودعاء، العليم بنية صاحبه وإخلاصه.⁽¹⁾

فماذا كانت النتيجة هل تقبل الله سبحانه هذا النذر أم لا؟

قال تعالى ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُ أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾.²

فلما وضعت مريم قالت: "رب إني وضعتها أنثى" يعني أن الأنثى لا تصلح لخدمة الكنيسة فخافت أن لا يقبل الله عز وجل نذرها حيث أن البنت كما قالت ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ أي في القوة والجلد في العبادة، وخدمة المسجد الأقصى ولم تكن الأنثى عندهم محررة لخدمة البيت، وبعد ذلك لفتها أم مريم في خروقتها ثم خرجت بها إلى المسجد فسلمتها إلى العباد الذين هم مقيمون به، وكانت ابنة إمامهم وصاحب صلاتهم فتنازعو فيها، والظاهر أنها إنما سلمتها إليهم بعد رضاها وكفالة مثلها في صغرها ثم لما دفعتها إليهم تنازعو في أيهم يكفلها، وكان زكرياً نبياً في ذلك الوقت وكفلها.⁽³⁾

وكانت النتيجة أن الله سبحانه وتعالى قبل نذر أم مريم وتفرغ ابنتها لخدمة بيت المقدس وذلك بسبب نيتها الصالحة بل وأنشأ مريم إنشأً صالحاً وتعهدا بالعبادة والرعاية قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا

(1) انظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 431/1، مرجع سابق، وانظر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 355/1، مرجع سابق، وانظر الرازي، مفاتيح الغيب، 203/8، مرجع سابق، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 66/4، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 232/3، مرجع سابق.

(2) سورة آل عمران، آية 36، 37.

(3) انظر ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر قصص الأنبياء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، 371_368/2، مطبعة دار التأليف - القاهرة، ط1، 1388 هـ - 1968 م

وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۗ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي
 أُعِيدُهَا بِيَدِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا
 وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِؤُا أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ
 مِنِّي عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ فالنية الحسنة كانت سبباً لقبول نذر أم مريم

وسبب لعناية الله عز وجل العظمى في تربية مريم عليها السلام، وسبباً في صلاح مريم وذريتها.
 فلذلك يجب أن نصح النية في تربية أولادنا، فننوي أن يكون أولادنا أولياء الله، علماء عاملين ودعاة
 إلى الله مخلصين صالحين .

ثالثاً: الدعاء قبل وضع البذرة

وذلك أول تحصين لضمان صلاح الذرية، أما ثاني التحصينات فتكون عند معاشررة الزوجة ومباشرتها
 عند الجماع، فإذا أتى الرجل امرأته يُسْتَحَبُّ أن يبدأ باسم الله تعالى، ويقرأ قل هو الله أحد أولاً، ثم يكبر
 ويهلل، ويقول: باسم الله العلي العظيم، اللهم اجعلها ذرية طيبة إن كنت قدرت أن تخرج ذلك من
 صلبى، فإذا أدى ذلك الزوج فقد استبرأ لدينه وعرضه، وإذا رزقه الله مولوداً كان من الذرية الصالحة إن
 شاء الله تعالى. (1)

حدَّثنا عثمانُ بنُ أبي شيبةَ وعبدُ الله بن سعيد، قالوا: حدَّثنا أبو خالد - يعني سليمان بن حيان - عن
 ابن عجلان، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جدِّه، عن النبيِّ - صَلَّى اللهُ عليه وسلم - قال: (إذا
 تزوج أحدكم امرأةً أو اشترى خادماً، فليقل: اللهم إني أسألك خيرها، وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك
 من شرِّها، وشرِّ ما جبلتها عليه، وإذا اشترى بغيراً فليأخذُ بذُرَّةِ سَنَامِهِ، وليقل مثلَ ذلك). (2)

رابعاً: الدعاء للذرية عند الحمل والولادة: وتستمر هذه الوسيلة في عطاها ما استمر المربي الداعي
 بالدعاء لذريته عند الحمل والولادة وفي كل مرحلة من مراحل عمره وحياته، ومن أكثر من الدعاء

(1) المرسي، من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي، ص 103، مرجع سابق.

(2) بن الأشعث، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط
 - محمَّد كامل قره بللي، باب في جامع النكاح، حديث رقم 2160، 488/3، دار الرسالة العالمية، ط1، ت 1430 هـ
 - 2009 م، حكم عليه الألباني وقال حديث حسن، التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، مشكاة المصابيح،
 تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، باب الفصل الثاني، حديث رقم 2446، 755/2، المكتب الإسلامي - بيروت،
 ط3، ت 1985.

لأبنائه كثر الله له فيهم الصلاح والخير والبركة ففي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم
أو قطيعة رحم ما لم يعجل يقول: قد دعوت ودعوت فلم يستجب لي).⁽¹⁾

وفي القرآن دعت أم مريم لحملها بالخير والبركة والاستعاذة من الشيطان الرجيم فأنجبتها مباركة طيبة
صديقة فانتة عابدة من خيرة نساء الدنيا وأصلحهن وأكملهم خلقا وعقلا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا
مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ
مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ
الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٧﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا
بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا
قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾. ⁽²⁾

المسألة الثانية: الاستعانة بالله على تربيتهم

إذا أعان الله العبد على تربية أولاده، وسدده ووفقه أفلح وأنجح، وإن خذل ووكل إلى نفسه فإنه
سيخسر ويكون عمله وبالاً عليه، كما قيل:

إذا صح عون الخالق المرء لم يجد * * * عسيرا من الآمال إلا ميسرا

وكما قيل :

إذا لم يكن عون من الله للفتى * * * فأول ما يجني على اجتهاده

(1) الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزياداته حديث رقم 5637، 985/2،

المكتب الإسلامي، دطدت.تحكم عليه الألباني: حسن.

(2) سورة آل عمران الآية 33_37.

فإنه جل جلاله خير معين، وخير حافظ ووكيل، فليطلب العون منه، ويتوكل عليه ويسأل، فقد دلنا سبحانه على أخلص دعاء وأجمعه في صلاح الذرية فقال حاكياً عن عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (1).

{ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا } أي: قرنائنا من أصحاب وأقران وزوجات، { وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ } أي: تقر بهم أعيننا.

وإذا استقرأنا حالهم وصفاتهم عرفنا من همهم وعلو مرتبتهم أنهم لا تقر أعينهم حتى يروهم مطيعين لربهم عالمين عاملين وهذا كما أنه دعاء لأزواجهم وذرياتهم في صلاحهم فإنه دعاء لأنفسهم لأن نفعه يعود عليهم ولهذا جعلوا ذلك هبة لهم فقالوا: { هَبْ لَنَا } بل دعاؤهم يعود إلى نفع عموم المسلمين لأن بصلاح من ذكر يكون سبباً لصلاح كثير ممن يتعلق بهم وينتفع بهم. (2)

تعاهد الدعاء للأبناء بصلاح الدين والدنيا وليس الدعاء بالصلاح قاصراً على صلاح آخرتهم بل تعيين الدعاء بصلاحهم العام في الدنيا والآخرة وصلاح أمورهم في الكسب والعلم والعافية والخير كله فإن ذلك من الفقه الذي هدى الله إليه أنبياءه والصالحين من عباده كما كان إبراهيم عليه السلام في دعائه لأبنائه بل وذريته من نسله حين دعا بدعوات مباركة كثيرة منها: (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي) ودعاؤه أيضاً: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) فملاً الله المكان خيراً وبركة وأفاض فيه أعذب ماء وأطيبه وأبركه (بئر زمزم) لا يزال خيره يفيض على من حوله إلى اليوم..

المسألة الثالثة: الدعاء لهم وتجنب الدعاء عليهم

يجب الدعاء للأبناء بالخير والصلاح والتوفيق والسداد في أمر الدنيا والدين فإن كانوا صالحين دعى لهم بالثبات والمزيد، وإن كانوا طالحين دعى لهم بالهداية والتسديد، ويجب الحذر كل الحذر من الدعاء عليهم؛ فإنهم إذا فسدوا وانحرفوا فإن الوالدين أول من يكتوي بذلك وإن الدعاء على الأبناء مما نهى

(1) سورة الفرقان آية 74.

(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 587، مرجع سابق.

النبى صلى الله عليه وسلم عنه فقد أخرج مسلم عن جابر رضى الله عنه سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ بَطْنِ بُوَاطٍ، وَهُوَ يَطْلُبُ الْمَجْدِيَّ بْنَ عَمْرِو الْجُهَنِيِّ، وَكَانَ النَّاصِحُ يَعْتَقِبُهُ مِّنَ الْخَمْسَةِ وَالسَّنَةِ وَالسَّبْعَةِ، فَدَارَتْ عُقْبُهُ رَجُلٍ مِّنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاصِحٍ لَهُ، فَأَنَاحَهُ فَرَكِبَهُ، ثُمَّ بَعَثَهُ فَنَلَدَنَّ عَلَيْهِ بَعْضَ التَّلَدُّنِ، فَقَالَ لَهُ: شَأْنٌ لَعَنَكَ اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ هَذَا اللَّاعِنُ بَعِيرُهُ؟) قَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: (انزِلْ عَنْهُ، فَلَا تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ، لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُؤَافِقُوا مَنِ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءً، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ).⁽¹⁾

إن الوالدين قد يغضبان لإساءة بعض الأبناء أو عقوقهم ولكن لا ينبغي أن يلجأ الوالدان في هذا الحال إلى الدعاء على الأبناء؛ فإنهما أول من يكتوي ويتألم إن أصاب أبناءهما مكرهه وليتذكر الوالدان دائماً أن دعوة الوالد لولده، أو عليه هي مما يستجاب فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَهُنَّ، لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ).⁽²⁾

وقد تكون إجابة الدعوة على الولد سبباً في مزيد من العقوق والفساد لمن دعي عليه من الأولاد وقد جاء رجل على عبد الله بن المبارك رحمه الله يشكو إليه عقوق ولده فسأله ابن المبارك: أدعوت عليه؟ قال: نعم. قال: إذهب فقد أفسدته. وهذا الجواب منه يدل على سعة علمه رحمه الله فإن الدعاء على الأولاد لن يزيدهم إلا فساداً وعناداً وعقوقاً وأول من يشتكي هذا العقوق هو من تسرع بالدعاء على الأولاد.⁽³⁾

ولا يستقيم أن يبذل المسلم قصارى جهده في الدعاء لذريته وأبنائه بالخير والصلاح ثم في لحظة غضب واضطراب ينسف ما بناه بالدعاء عليهم بما لو استجيب له في ذلك لكانوا من الهالكين ! ولقد

(1) مسلم صحيح مسلم بَابُ حَدِيثِ جَابِرِ الطَّوِيلِ وَقِصَّةِ أَبِي الْيَسْرِ، حديث رقم 3009، 2340/4، مرجع سابق.

(2) البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني باب دعوة الوالدين رقم 32/24 ص43، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط4، ت1418 هـ - 1997 م، حكم عليه الألباني وقال حديث حسن.

(3) انظر، الربيعي، خالد بن سليمان بن علي الربيعي، مِنْ عَجَائِبِ الدُّعَاءِ، 9_11، دار القاسم للنشر، الرياض، ط1، ت1423 هـ - 2002 م، وانظر البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، كتاب الذكر والدعاء في ضوء الكتاب والسنة، 34، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط1، ت1422 هـ، وانظر، العدوي، فقه تربية الأبناء وطائفة من نصائح الأطباء، 19، 34، مرجع سابق.

وجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى عدم الدعاء على النفس والولد فيما أخرج مسلم : سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ بَطْنِ بُوَاتٍ، وَهُوَ يَطْلُبُ الْمَجْدِيَّ بْنَ عَمْرِو الْجُهَنِيِّ، وَكَانَ النَّاضِحُ يَعْتَقِبُهُ مِنَّا الْخُمْسَةُ وَالسَّنَّةُ وَالسَّبْعَةُ، فَدَارَتْ عَقْبُهُ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاضِحٍ لَهُ، فَأَنَاحَهُ فَرَكِبَهُ، ثُمَّ بَعَثَهُ فَنَلَدَنَّ عَلَيْهِ بَعْضُ النَّلْدَنِ، فَقَالَ لَهُ: شَأْ، لَعَنَكَ اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ هَذَا اللَّاعِنُ بَعِيرُهُ؟) قَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: (انزِلْ عَنْهُ، فَلَا تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ، لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُؤَافِقُوا مِنْ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءً، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ).⁽¹⁾

المطلب الثامن: طاعة الوالدين

إن بر الوالدين طريق السعادة في الدنيا والآخرة، فهو سبب تفريج الكربات وتنزل البركات وإجابة الدعوات، به ينشرح الصدر، وتطيب الحياة، وهو طريق إلى الجنة والوالدين مصدر العطف، والحنان، فحقهما عظيم، ومعروفهما لا يجازى، وجميلهما يفوق كل جميل، وليس في الناس أعظم إحساناً ولا أكثر فضلاً من الوالدين.

بر الوالدين خلق الأنبياء، ودأب الصالحين، قال الله سبحانه وتعالى في وصف نبيه يحيى عليه السلام: ﴿وَوَرَّأً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾⁽²⁾.

أي: هذا وصفٌ ليحيى عليه السلام بلين الجانبِ وخَفْضِ الْجَنَاحِ فكان بارًّا كثيرًا بوالديه ولطيفًا بهما مُحْسِنًا إِلَيْهِمَا متجنبًا عقوقهما قولاً وفعلاً، أمراً ونهياً، فهو مطيع لله ثم لأبويه، ولم يكن متكبراً ولم يكن عاصياً بالمرّة.³

وقال أيضاً عن سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿وَوَرَّأً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾⁽⁴⁾.

(1) مسلم المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي، حديث رقم 3009، 2304/4، مرجع سابق.

(2) سورة مريم آية 14.

(3) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 77/16، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 63/16، مرجع سابق، و انظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 227/3، مرجع سابق، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 88/11، مرجع سابق.

(4) سورة مريم، آية 32.

وَجَعَلَنِي بَرًّا بِوَالِدَتِي، مريم، فأمرني ربي ببرها وطاعتها والإحسان إليها بعد طاعة ربي، وَقَدْ خَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ بَيْنَ قَوْمِهِ، لِأَنَّ بَرَّ الْوَالِدَيْنِ كَانَ ضَعْفًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يَوْمَئِذٍ، وَبِخَاصَّةِ الْوَالِدَةِ لِأَنَّهَا تُسْتَضَعَفُ، لِأَنَّ فَرْطَ حَنَانِهَا وَمَشَقَّتَهَا قَدْ يُجَرِّئَانِ الْوَلَدَ عَلَى التَّسَاهُلِ فِي الْبَرِّ بِهَا، ولم يجعلني عاصياً مستكبراً عن عبادة ربي وطاعته وبر والدتي، ولا متكبراً غليظاً على الناس في معاملتهم فأشقى بذلك.¹

** بر الوالدين واجب، وحققهما بعد حق الله وهو من أحب الأعمال إلى الله سبحانه وتعالى ومقدم على الجهاد في أعمال البر بل هو أفضل من الجهاد في سبيل الله تعالى.

إذن بر الوالدين عمل محبوب إلى الله وأفضل من الجهاد في سبيل الله، أخرج البخاري: حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْعِزَّارِ: أَخْبَرَنِي قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَمْرٍو الشَّيْبَانِيَّ، يَقُولُ: حَدَّثَنَا صَاحِبُ - هَذِهِ الدَّارِ وَأَشَارَ إِلَى دَارِ - عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ؟ قَالَ: (الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا)، قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: (ثُمَّ بَرُّ الْوَالِدَيْنِ) قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: (الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ).²

قال تعالى: ﴿*وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.³

وَحَدُّوا اللَّهَ، وَأَطِيعُوهُ، وَأَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَبَرُّوا الْوَالِدَيْنِ وَأَعْطَفُوا عَلَيْهِمَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَرْنَ الْإِزَامَ بَرُّ الْوَالِدَيْنِ بِعِبَادَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ اهْتِمَامٌ بِشَأْنِ الْوَالِدَيْنِ إِذْ جَعَلَ الْأَمْرَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا عَقِبَ الْأَمْرِ بِالْعِبَادَةِ.⁴

من الأمثلة على فضل بر الوالدين: أن رجلاً يحمل أمه على كتفه يطوف بها حول الكعبة ثم يسأل ابن عمر رضي الله عنهما هل أنا جازيت أمي، قال له ابن عمر: ولا بزفرة من زفرتها.

(1) انظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 233/3، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير،

100/16، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 83/16، مرجع سابق.

(2) البخاري، صحيح البخاري، باب فضل الصلاة لوقتها، حديث رقم 527، 112/1، مرجع سابق.

(3) سورة النساء، آية 36.

(4) انظر الرازي، مفاتيح الغيب، 76/10، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور التحرير والتنوير، 49/5، مرجع سابق،

وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 66/5، مرجع سابق وانظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 615_614/1، مرجع سابق.

روى البخاري قال: "حَدَّثَنَا آدَمُ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ، أَنَّهُ شَهِدَ ابْنَ عُمَرَ وَرَجُلًا يَمَانِيًّا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، حَمَلَ أُمَّهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، يَقُولُ: إِنِّي لَهَا بَعِيرُهَا الْمُدَّلُّ ... إِنْ أُدْعِرْتَ رِكَابَهَا لَمْ أُدْعِرْ. ثُمَّ قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ أَتُرَانِي جَزَيْتُهَا؟ قَالَ: لَا، وَلَا بِزَفْرَةٍ وَاحِدَةٍ".⁽¹⁾

_ ومن فضائل بر الوالدين: استجابة الدعاء فالله سبحانه وتعالى يكرم بار الوالدين باستجابة دعائه وهذا ما حدث مع أويس القرني رضي الله عنه فقد استجاب الله دعائه بفضل بره بأمه.

أخرج مسلم قال: حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، حَدَّثَنِي سَعِيدُ الْجُرَيْرِيُّ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ، أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَقَدُوا إِلَى عُمَرَ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَسْخَرُ بِأُوَيْسٍ، فَقَالَ عُمَرُ: هَلْ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنَ الْقُرَنِيِّينَ؟ فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ: (إِنَّ رَجُلًا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ، لَا يَدْعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمَّ لَهُ، قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَدَعَا اللَّهُ فَأَذْهَبَهُ عَنْهُ، إِلَّا مَوْضِعَ الدِّيَارِ أَوْ الدَّرْهَمِ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَعْفِرْ لَكُمْ).⁽²⁾

أمر الله سبحانه وتعالى بالإحسان إلى الوالدين، ونهى عن عقوق الوالدين، وجعله من الكبائر المقاربة للشرك بالله، ولهذا ورد الأمر بالإحسان إليهما عقب الأمر بعبادة الله وحده، والنهي عن الإشراك به ثم النهي عن عقوق الوالدين، ولهذا يجيء الأمر بالإحسان إلى الوالدين في صورة قضاء من الله يحمل معنى الأمر المؤكّد بعد الأمر المؤكّد بعبادة الله، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِنَّمَا يُبِغِ اللَّهُ الْكِبْرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.⁽³⁾

لقد قرّن الله سبحانه وتعالى وجوب برّ الوالدين بعبادته وتوحيده كفى بهذا دلالة على تعظيم حقهما، وذلك لأنّ الوالدين هما الأصل والسبب في كون الولد ووجوده كما أنّهما منعمان عليه بالتربية، فنبت

(1) البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الأدب المفرد تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، باب جزاء الوالدين، رقم 11، 18/1، دار البشائر الإسلامية- بيروت، ط3، 1409 - 1989. قال الألباني: صحيح الإسناد، البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، ص36، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط4، 1418 هـ - 1997 م.

(2) مسلم، صحيح مسلم، باب من فضائل أويس القرني رضي الله عنه، حديث رقم 55، 1968/4، مرجع سابق.

(3) سورة الإسراء آية 23، 24.

أَنَّ إِنْعَامَهُمَا أَعْظَمُ وَجُوهِ الْإِنْعَامِ بَعْدَ إِنْعَامِ اللَّهِ تَعَالَى، لَأَنَّ النِّشْأَةَ الْأُولَى مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَالنِّشْءَ الثَّانِيَةَ وَهِيَ التَّرْبِيَةَ مِنْ جِهَةِ الْوَالِدَيْنِ، وَبِرَهُمَا يَكُونُ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ، وَنَهَى عَنِ عَقُوقِ الْوَالِدَيْنِ وَبَيْنَ أَنَّهُ يَأْتِي بَعْدَ الْإِشْرَاقِ بِاللَّهِ فَقَالَ لِلْوَلَدِ لَا تَسْمَعُهُمَا قَوْلًا سَيِّئًا فِيهِ أَدْنَى تَبْرِمَ، حَتَّى وَلَا التَّأْفُفَ وَهُوَ التَّضَجُّرُ وَالتَّأَلُّمُ الَّذِي هُوَ أَدْنَى مَرَاتِبِ الْقَوْلِ السَّيِّئِ، وَذَلِكَ فِي أَيِّ حَالٍ، وَلَا سِيَّمَا حَالَ الضَّعْفِ وَالْكِبَرِ وَالْعَجْزِ عَنِ الْكَسْبِ، لِأَنَّ الْحَاجَةَ إِلَى الْإِحْسَانِ حِينَئِذٍ أَشَدَّ وَأَوْلَى وَالزَّمُّ، لِذَا خَصَّ حَالَةَ الْكِبَرِ لِأَنَّهَا الْحَالَةُ الَّتِي يَحْتَاجَانِ فِيهَا إِلَى الْبِرِّ، لِلضَّعْفِ وَالْكِبَرِ، وَقَالَ لِهَمَّا قَوْلًا لَيْنَا طَيِّبًا حَسَنًا مَقْرُونًا بِالتَّوْقِيرِ وَالتَّعْظِيمِ وَالْحَيَاءِ وَالْأَدَبِ، وَاطْلُبْ لِهَمَّا الرَّحْمَةَ مِنْ اللَّهِ فِي حَالِ كِبَرِهِمَا وَعِنْدَ وَفَاتِهِمَا يَدْعُو لِهَمَّا بِالرَّحْمَةِ، فَيَقُولُ: رَبِّ ارْحَمَهُمَا وَلَفْظُ الرَّحْمَةِ جَامِعٌ لِكُلِّ الْخَيْرَاتِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا.⁽¹⁾

- نَأْخُذُ مِنَ النَّصِّ الْكَرِيمِ: {عِنْدَكَ} إِشَارَةً: وَهِيَ أَنَّ الْأَبَ وَالْجَدَّ يَعِيشَانِ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ مَعَ الْحَفِيدِ وَهَذَا غَيْرٌ مُوجُودٌ فِي الْعَالَمِ الْغَرْبِيِّ فَنَحْنُ الْمُسْلِمِينَ لَسْنَا بِحَاجَةٍ إِلَى بِيُوتِ الْعَجْزَةِ.

نَسْتَجِزُ أَنَّ عَقُوقَ الْوَالِدَيْنِ مِنَ الْكِبَائِرِ الَّتِي لَا يَغْفِرُهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَهِيَ فِي الْمَنْزِلَةِ الثَّانِيَةِ بَعْدَ الْإِشْرَاقِ بِاللَّهِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ نَهَى عَنِ الْإِسَاءَةِ لِلْوَالِدَيْنِ وَلَوْ بِأَقْلٍ شَيْءٍ فِي الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ مِثْلَ كَلِمَةِ أَفَ وَلَوْ كَانَ هُنَاكَ كَلِمَةٌ أَقْلٌ مِنْهَا لَنَهَى عَنْهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِسَاءَةَ لِلْوَالِدَيْنِ مِنَ الْكِبَائِرِ وَدَلِيلُ ذَلِكَ

فِيمَا أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، حَدَّثَنَا الْجُرَيْرِيُّ، ح وَحَدَّثَنِي قَيْسُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا [ص: 14] إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا سَعِيدُ الْجُرَيْرِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ: الْإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَعَقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ - ثَلَاثًا - أَوْ: قَوْلُ الزُّورِ) فَمَا زَالَ يُكْرَرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ.²

وَحَثُّ الْأَوْلَادِ عَلَى الصَّبْرِ عَلَى الْوَالِدَيْنِ عِنْدَ الْكِبَرِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ يَكُونُ فِي حَالَةِ ضَعْفٍ فِيمَا يَكُونُ مَرِيضًا، أَوْ يَصْدُرُ مِنْهُ أَقْوَالٌ فَيْسِيءُ إِلَى أَوْلَادِهِ، فَيَتَأْفَفُ الْأَوْلَادُ وَيَتَبَرَّمُوا مِنَ الْوَالِدَيْنِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَهَذَا مِنَ الْكِبَائِرِ لِأَنَّ الْوَاجِبَ احْتِمَالُ إِذَا هُمَا وَالصَّبْرُ عَلَيْهِمَا، وَالدَّعَاءُ لِهَمَّا بِالرَّحْمَةِ فِي الدُّنْيَا

⁽¹⁾ انظر الرازي، مفاتيح الغيب، 586/3، مرجع سابق، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 238/10، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 68/15، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 62_54/15، مرجع سابق، وانظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 126/3، مرجع سابق، وانظر الرمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 657/2، مرجع سابق.

⁽²⁾ البخاري، صحيح البخاري، بابُ إِيْمَنْ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ، حديث رقم 6919، 13/9، مرجع سابق.

والآخرة، وإن البر يكون عند كبر الوالدين لأنهما بحاجة إليه كثيراً في هذا السن وقد أخرج مسلم قال: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ) قِيلَ: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: (مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ).¹

فلذلك يجب بر الوالدين والتنافس في خدمتهم، بل والإحسان إليهم وتحمل أذاهم، لأنه من أعظم أسباب صلاح الأبناء وبرهم بأبائهم وذلك أن الولد عندما يرى والده باراً بوالديه محباً لهما وكثير الدعاء لهما وحريصاً على إدخال السرور عليهما فهذا يكون صورة إيجابية ومثلاً حياً، ويكون نعم المعين لأولاده على بره.

وهنا يجب أن ننوه أن بر الوالدين في مفهومه العام يجب أن يقابل من الآباء بتفهم حاجيات الأبناء ومتطلبات العصر وأن كل زمان له ظروف خاصة في العلاقات ومستوى يليق بحال الجيل الذي يعيش فيه دون شطط أو التخلي عن القيم والأصول التي جاء بها الإسلام العظيم.

المطلب التاسع: اجتناب الشيطان

إن الشيطان² يسعى، هو وجنده، إلى إفساد الإنسان، وسلوكه عن طريق العصيان وذلك بتزيين طرق المعاصي، والدعوة إليها، والنفس الإنسانية ميالة إلى السوء وأمارة به، ولذلك نهى المؤمنين عن إتباع خطوات الشيطان.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾.⁽³⁾

يا أيها المؤمنون المصدقون بالله ورسوله لا تسيروا في طرائق الشيطان ومسالكه، ولا تسمعوا لوساوسه وتأثيراته وما يأمر به، فإن من يتبع وساوس الشيطان ويقتفي آثاره خاب وخسر لأن الشيطان لا يأمر

(1) مسلم صحيح مسلم، باب رَغِمَ أَنْفُ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ، حديث رقم 2551، 1978/4، مرجع سابق.

(2) الشيطان: ورد في تعريفه عدة معاني وهي: 1_روح شرير مغوٍ 2_كل عاتٍ ومتمرد ومفسد من الإنس والجن. 3_يطلق على الحية الخبيثة فالعرب تسمي الحية شيطاناً. و قد ورد في التنزيل العزيز في وصف شجرة جهنم { طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ }. (سورة الصافات آية 64) لقد شبه طلوعها في قبحة برؤوس الشياطين؛ لأنها موصوفة بالقيح. انظر مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، باب شطن ص483، مرجع سابق، وانظر الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، ص338، دار الكتاب العربي بيروت _لبنان، ط1، ت1979م.

(3) سورة النور آية 21.

إلا بما تستفحشه العقول والشرائع، من الذنوب العظيمة، مع ميل بعض النفوس إليه، وما تنكره العقول ولا تعرفه فلا يصح لمؤمن طاعته، وهذا تنفير وتحذير صريح والله تعالى، وإن خص المؤمنين في هذه الآية بالنهي عن اتباع وساوس الشيطان، فهو نهى لكل المكلفين، وخطوات الشيطان، يدخل فيها سائر المعاصي المتعلقة بالقلب، واللسان والبدن، فمن إحسان الله على عباده، أنه نهاهم عن المعاصي، كما نهاهم عن أكل السموم القاتلة ونحوها، وهذا نعمة من الله على عباده عليهم أن يشكروه ويذكروه، لأن ذلك صيانة لهم عن التدنس بالردائل والقبائح، فلو خلي بين الإنسان وهذه الدواعي، ما زكى أحد بالتطهر من الذنوب والسيئات والنماء بفعل الحسنات؛ لِأَنَّ فِتْنَةَ الشَّيْطَانِ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ لَا يَكَادُ يَسْلَمُ مِنْهَا النَّاسُ لَوْلَا إِرْشَادُ الدِّينِ، وهداية الله، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو، ويطلب من الله تعالى زكاة نفسه فيما أخرج مسلم قال: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَاسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ - وَاللَّفْظُ لِابْنِ نُمَيْرٍ، قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا - أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، وَعَنْ أَبِي عَثْمَانَ النَّهْدِيِّ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: كَانَ يَقُولُ: (...اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّهَا أَنْتَ خَيْرٌ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا...).¹

ولولا تفضل الله عليكم بالنعمة، ورحمته السابغة، بالتوفيق للتوبة الماحية للذنوب، ما طهر أحدا من ذنبه، ولا خلصه من أمراض الشرك والفجور والأخلاق الرديئة، وإنما عاجله بالعقوبة، والله تعالى القدير الحكيم يطهر من يشاء من خلقه، بقبول توبتهم، وتوفيقهم إلى ما يرضيه، والله سميع لأقوال عباده، ولا سيما في حالي الوقوع في المعصية والإخلاص في التخلص منها، والبراءة من آثامها، عليم بمن يستحق الهدى والضلال، وبالأقوال والأفعال، وبمن أصر على إشاعة الفاحشة ومن تاب منها، ومجاز كل إنسان بما قدم.⁽²⁾

(1) مسلم صحيح مسلم، بَابُ النَّعْوِدِ مِنْ شَرِّ مَا عُمِلَ، حديث رقم 2722، 2088/4، مرجع سابق.

(2) انظر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 563، مرجع سابق. وانظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 394/3، مرجع سابق، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 206/12، مرجع سابق، وانظر أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى تفسير أبي السعود 164/6 دار إحياء التراث العربي - بيروت، دط، دت، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 187/18، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 184_183/18، مرجع سابق.

هنالك طرق يستطيع المؤمن أن يحصن نفسه من الشيطان الرجيم ويعتصم منه، فالعبد يتحصن من الشيطان بما ورد في القرآن والسنة النبوية بعدة أمور وهي:ـ

الاستعاذة بالله العظيم من الشيطان الرجيم، البسملة، قراءة المعوذتين، قراءة آية الكرسي، قراءة آخر آيتين من سورة البقرة، قراءة سورة البقرة، ذكر الله تعالى، دعاء الخروج من المنزل، الدعاء إذا نزل منزلاً، كظم الثناوب ووضع اليد على الفم، الأذان، دعاء دخول المسجد، الوضوء والصلاة، طاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم واجتتاب المعاصي، تطهير البيت من الصور والتماثيل والكلاب والأجراس.¹

المطلب العاشر: الحث على أكل الحلال

إن السعي في طلب الحلال له أثر كبير على صاحبه، وهذا ما كان يحرص عليه الصالحون فقد كانوا يحرصوا على طلب الحلال في المأكل والمشرب والملبس؛ لأن له أثراً كبيراً في صلاحهم وصلاح أبنائهم، لذلك فمن الواجب على الآباء السعي في طلب الحلال، والنفقة على أبنائهم من حلال؛ لأن أكل الحلال ينعكس على أبنائهم فينشئوا صالحين ويثمر فيهم التقوى والأخلاق الحسنة؛ لأن الحلال طيب ويثمر في الإنسان الخلق الطيب وهذا ما بينه الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، فقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالأكل الحلال، وأخبر أن الحلال هو الطيب قال تعالى: { فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُتُمَ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ }.⁽²⁾

يأمر تعالى عباده بأكل ما رزقهم الله من الحيوانات والحبوب والثمار وغيرها، حلالاً طيباً، حالة كونها متصفة بهذين الوصفين بحيث لا تكون مما حرم الله أو أثرا عن غضب ونحوه.

(1) انظر التويجري، محمد بن إبراهيم بن عبد الله، مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة ص 358_362،

دار أصدقاء المجتمع/المملكة العربية السعودية، ط13، ت1432هـ/2011م، بتصرف.

(2) سورة النحل، آية114.

وأمرهم أن يتمتعوا بما خلق الله لهم من غير إسراف¹ ولا تعدّ، وأن يشكروا نعمة الله بالاعتراف بها بالقلب والثناء على الله بها وصرفها في طاعة الله، إن كانوا مخلصين له العبادة، فلا يشكروا إلا إياه، ولا ينسوا المنعم.⁽²⁾

إِنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ لَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ مَسْبُوقًا بِأَكْلِ الْحَلَالِ، وهو سبب لاستجابة الدعاء حيث أخرج مسلم قال: حَدَّثَنِي أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا فَضِيلُ بْنُ مَرْزُوقٍ، حَدَّثَنِي عَدِيُّ بْنُ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ)⁽³⁾ وَقَالَ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ⁽⁴⁾ ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟).⁽⁵⁾

نستنتج مما سبق أن من وسائل التربية غير المباشرة تحري الحلال في المطعم والمشرب وفي كل نواحي الحياة فإنما البركة فيه والخير وتحري الحلال هو سبب من أسباب صلاح الأبناء؛ لأن الأكل الحلال ينبت في الأبناء الأخلاق الحسنة وطاعة الله وطاعة الآباء، وعكس ذلك نهى الإسلام عن الكسب الحرام؛ لأنه شؤم وبلاء على صاحبه، فبسببه يقسو القلب، وينطفئ نور الإيمان، ويحل غضب الجبار، ويمنع إجابة الدعاء، وهو وبال على الأمة كلها فبسببه نقسو مساوئ الأخلاق من سرقة وغصب ورشوة وريا وغش واحتكار وتطيف للكيل والميزان وأكل مال اليتيم وأكل أموال الناس بالباطل، وشيوع الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وكذلك؛ لأن أكل الحرام يورث في الأبناء الأخلاق السيئة والمعاصي، أخرج أحمد بن حنبل، قال: حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ خُنَيْمٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ أُعِيدُكَ بِاللَّهِ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ) قَالَ: وَمَا

(1) معنى الإسراف: مجاوزة القصد، والإسراف الذي نهى عنه الله تعالى هو ما أنفق في غير طاعة الله، قليلاً كان أو كثيراً. ابن منظور، لسان العرب، فصل السين المهملة، 148/9، مرجع سابق.

(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 451، مرجع سابق.

(3) سورة المؤمنون، الآية 51

(4) سورة البقرة، الآية 172

(5) مسلم صحيح مسلم، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب، حديث رقم 1015، 703/2، مرجع سابق.

ذَٰكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (أَمْرًا سَيَكُونُونَ مِنْ بَعْدِي مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ، فَصَدَّقَهُمْ بِحَدِيثِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسُوا مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَمْ يَرِدُوا عَلَيَّ الْحَوْضَ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِحَدِيثِهِمْ، وَلَمْ يُعْنَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَٰئِكَ مِنِّي، وَأَنَا مِنْهُمْ، وَأُولَٰئِكَ يَرِدُونَ عَلَيَّ الْحَوْضَ. يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، الصَّلَاةُ قُرْبَانٌ، وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ. يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنْ سُحْتِ النَّارِ أَوْلَى بِهِ». يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، النَّاسُ غَادِيَانِ، فَعَادِ بَائِعَ نَفْسِهِ، وَمُوبِقَ رَقَبَتِهِ، وَعَادِ مُبْتَاعَ نَفْسِهِ، وَمُعْتِقَ رَقَبَتِهِ. (1).

قوله صلى الله عليه وسلم: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتِ): "أَيُّ دُخُولًا أَوْلِيًّا مَعَ النَّاجِينَ؛ بَلْ بَعْدَ عَذَابٍ بِقَدْرِ أَكْلِهِ لِلْحَرَامِ مَا لَمْ يُغْفَ عَنْهُ، أَوْ لَا يَدْخُلُ مَنَازِلَهُ الْعَلِيَّةَ، أَوْ الْمُرَادُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَبَدًا إِنْ اعْتَقَدَ حِلَّ الْحَرَامِ، وَكَانَ مَعْلُومًا مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ، أَوْ الْمُرَادُ بِهِ الرَّجْرُ وَالْتِهَادُ وَالْوَعِيدُ الشَّدِيدُ، (لَحْمٌ): أَيُّ صَاحِبِ لَحْمٍ نَبَتَ مِنَ الْحَرَامِ؛ لِأَنَّهُ يُسْحِتُ الْبِرْكَةَ أَيُّ يُذْهِبُهَا، وَأُسْنَدٌ عَدَمُ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَى اللَّحْمِ لَا إِلَى صَاحِبِهِ إِشْعَارًا بِالْعَلِيَّةِ، وَأَنَّهُ حَبِيبٌ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَدْخُلَ الطَّيِّبُ؛ لِأَنَّ الْحَبِيبَ لِلْحَبِيبِ، فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ، مِنَ الْجَنَّةِ لِتُظْهِرَهُ النَّارُ عَنْ ذَلِكَ بِإِحْرَاقِهَا إِيَّاهُ، وَهَذَا عَلَى ظَاهِرِ الْإِسْتِحْقَاقِ، أَمَّا إِذَا تَابَ أَوْ غُفِرَ لَهُ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ وَأَرْضَى خُصُومَهُ، أَوْ نَالَ شَفَاعَةَ شَفِيعٍ، فَهُوَ خَارِجٌ مِنْ هَذَا الْوَعِيدِ". (2).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية⁽³⁾: "الطَّعَامُ يُخَالِطُ الْبَدَنَ وَيُمَارِجُهُ وَيَنْبُتُ مِنْهُ فَيَصِيرُ مَادَّةً وَعَنْصَرًا لَهُ فَإِذَا كَانَ حَبِيبًا صَارَ الْبَدَنُ حَبِيبًا فَيَسْتَوْجِبُ النَّارَ؛ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كُلُّ جِسْمٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتِ النَّارِ أَوْلَى بِهِ).

(1) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، باب مسند جابر رضي الله عنه، حديث رقم 15284، 425/23، مرجع سابق، حكم عليه الألباني: صحيح، الألباني التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، باب فضل الصلوات الخمس حديث رقم 1720، 257/3، مرجع سابق.

(2) القاري، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، 1899/5، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط1، ت1422 هـ - 2002 م

(3) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم واسمه الخضر بن محمد بن علي بن عبد الله الحراني ثم الدمشقي الشيخ تقي الدين أبو العباس ابن الشيخ شهاب الدين ابن الشيخ مجد الدين المعروف بابن تيمية، ولد عام 661 هـ / 1263 م كان واسع المعرفة بالتفسير والحديث والفقه والأصول والعربية وغير ذلك موصوفاً بالاجتهاد، بلغت تصانيفه أربعة آلاف كراسة، منها: السياسة الشرعية والفتاوى والإيمان ومنهاج السنة، وغير ذلك، توفي عام 728 هـ / 1328 م مسجوناً بقلعة دمشق، انظر الفاسي، محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي =

وَالْجَنَّةُ طَيِّبَةٌ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا طَيِّبٌ". (1)

إن من المؤسف جداً في هذه الأيام جرأة كثير من الناس على المال الحرام فهناك كثير منهم لم يعد يتورع عن المال الحرام كما كان السلف الصالح رضي الله عنهم فأصبح كثير من الناس همهم جمع المال فقط والحصول عليه، والظفر به بأي طريق أو بأي وسيلة سواء من حلال أم من حرام!! فإن حل المال أو حرمة لم يعد أمراً مهماً، وهذا الزمان أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه، قال: حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ الْمُقْبِرِيُّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ، أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ). (2)

وخلاصة القول أن مسئولية التربية الإيمانية لدى الآباء، والأمهات لهي مسئولية هامة، وخطيرة لكونها منبع الفضائل ومبعث الكمال، والصلاح بل هي الركيزة الأساسية لدخول الولد في الإيمان، وبدون هذه التربية لا ينهض الولد بمسؤولية، ولا يتصف بأمانة، ولا يعرف غاية، ولا يعرف معنى الإنسانية الفاضلة، ولا يعمل لمثل أعلى ولا هدف نبيل، بل يعيش عيشة البهائم ليس له هم سوى أن يسد جوعته، ويشبع غريزته، وينطلق وراء الشهوات والملذات، ويصاحب الأشقياء.

فعلى الأب والأم أن لا يتركا فرصة سانحة تمر إلا وقد زودا الولد بهذه الأسباب الإيمانية، ونشأ الولد عليها حتى ينشأ هذا الولد صالحاً كما يريدان.

=الحسني، ذيل التقييد في رواية السنن والأسانيد، تحقيق: كمال يوسف الحوت، 325/1_326، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ت1410هـ/1990م، وانظر الزركلي، الأعلام، ص144، مرجع سابق، وانظر نويهض عادل معجم المفسرين، 41/1، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، ط3، ت1409 هـ - 1988م

(1) ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، 541/21، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، دط، ت1416هـ/1995م

(2) البخاري، صحيح البخاري، بابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَيَأْتِيَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا..﴾، حديث رقم 2083، 59/3، مرجع سابق.

المبحث الثاني:العوامل المادية لصالح الذرية

وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول: اختيار الزوج والزوجة وفيه عدة مسائل وهي:ـ

المسألة الأولى: كيفية اختيار الزوج والزوجة.

تعتبر الأسرة هي اللبنة الأساسية لبناء مجتمع إسلامي صالح قوي اجتماعياً، وأخلاقياً، واقتصادياً، وغير ذلك؛ لذلك كان لابد من حسن الاختيار للزوج والزوجة لتتجح هذه الأسرة، وتمارس دورها في بناء المجتمع، وإمداده بالأفراد الناجحين .

ومن هنا فقد حث الإسلام على الزواج؛ لأنه لن تقوم أسرة بدونه وجعل بين الزوجين المودة والرحمة اللتين هما أساس العلاقة الزوجية. قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦١﴾﴾⁽¹⁾.

ومن آياته الدالة على قدرته، ورحمته أن خلق النساء لكم من جنس الرجال، وجعل بدء خلق المرأة من جسد الرجل، ليتحقق الوفاق ويكتمل الأُنس، وجعل بين الجنسين المحبة والشفقة، فيوجد بين القرينين الزوجين من التراحم ما لا يوجد بين نوي الأرحام. وليس ذلك بمجرد الشهوة، فإنها قد تنتفي وتزول أو يعصف بها الغضب الكثير الوقوع، وتبقى الرحمة التي هي من الله تعالى، وبها يدفع الإنسان المكاره عن حرمه، وكذلك ليتعاون الجنسان على أعباء الحياة، وتدوم الأسرة على أقوى أساس وأتم نظام ويتم السكن والاطمئنان والراحة والهدوء. فإن الرجل يمسك المرأة ويتعلق بها إما لمحبتة لها، أو لرحمته بها بأن يكون لها منه ولد، أو محتاجة إليه في الإنفاق، أو للألفة بينهما وغير ذلك.

إن في ذلك الخلق والإيجاد الأصلي من التراب، وجعل الأزواج من أنفس الرجال، وتقوية الروابط بينهما بالمودة والمحبة والرحمة والرأفة لدلالة على الخالق الموجد والمنعم المتفضل لمن تأمل، وفكر في أسباب الحياة، وتحقيق النتائج، وبناء الروابط على وفق الحكمة، والمصلحة، والنظام البديع.⁽²⁾

(1) سورة الروم آية 21.

(2) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 309/6، مرجع سابق، وانظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 575/3، مرجع سابق، وانظر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 472/3، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 71/21، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 69/21، مرجع سابق.

فهذا من عظيم صنعه وفائق قدرته، أنه خلق الزوجين من جنس واحد حيث يحتفظ كل جنس من هذه الأجناس الموجودة في هذا الكون على خصائصه وميزاته فلا يختلط في الأجناس الأخرى وهذا دليل على قدرة الله على الخلق والإبداع.

إن ارتباط الرجل بالمرأة عن طريق الزواج المشروع هو مما تدعو إليه الفطرة، ولا يمكن أن نتصور استمرارية الحياة بدونه، ولكن لا يكفي الاختيار العشوائي للزوج أو الزوجة حتى تنشأ أسرة مسلمة وثرية صالحة لذلك أمر الإسلام بحسن اختيار الزوجين؛ لأنه سبب لصلاح الأفراد والمجتمعات. وأرشد الإسلام إلى الطريق الأمثل في اختيار كلا الزوجين لصاحبه، وقد راعى جميع العوامل التي من شأنها أن تيسر ديمومة الحياة الزوجية، مما ينعكس على صلاح الأبناء فجعل هنالك معايير ينبغي مراعاتها عند اختيار الزوج والزوجة؛ لأنهما هما الأساس، ومن أهم هذه المعايير:

أولاً: الإسلام: فهذه الصفة يجب توافرها في الرجل والمرأة، فهي الأصل لكل صفة وخير؛ لأن الدين علاقة مع الله تعالى وهو يحمل على تقوى الله في المعاملة مع الخلق، وخاصة الزوج مع زوجته والعكس، وهو يلزم حسن الخلق، ومتابعة الرسول الله صلى الله عليه وسلم في صفاته وأخلاقه وآدابه. لذلك تقدم المسلمة على الكتابية لما لذلك من دواعي استمرار الحياة الزوجية حيث الدين الواحد، والعادات المتقاربة المكتسبة من الدين، يؤثر على الحياة الزوجية والأهم على صلاح الأولاد قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَىٰ النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ الْجَنَّةِ وَالْمَعْفَرَةِ بِإِذْنِهِ ۗ وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِّلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾¹.

ولا تتزوجوا أيها المؤمنون المشركات اللاتي لا كتاب لهن حتى يؤمن بالله واليوم الآخر، ويصدقن بمحمد صلى الله عليه وسلم ولأمة مؤمنة بالله ورسوله، أفضل من حرة مشركة، وإن أعجبتكم في الجمال والحسب والمال، إذ بالإيمان كمال الدين والحياة معاً، وبالمال والجاه كمال الدنيا فقط، ورعاية الدين وما يستتبعه من دنيا أولى من رعاية الدنيا.

ولا تزوجوا المشركين من نساتكم المؤمنات حتى يؤمنوا بالله ورسوله، ولأن تزوجهن من عبد مؤمن بالله ورسوله، مع ما به من مهانة، خير لكم من أن تزوجهن من حر مشرك، وإن أعجبتكم في الحسب

(1) سورة البقرة، آية 221.

والنسب والشرف، والله يدعو ويرشد بكتابه المنزل وأنبياؤه إلى ما يوصل إلى الجنة ونعيمها، وإلى المغفرة وستر الذنوب بإذنه وأمره وإرادته وبإعلامه السبيل الحق، ويوضح آياته وأحكامه وأدلته للناس، ليتذكروا فيميزوا بين الخير والشر، وليتعضوا فلا يخالفوا أمره، ولا يسيروا بأهوائهم أو وراء الشيطان، لأن ذكر الأحكام بعلمها وأدلتها يكون أدعى لقبولها والرضا بها والمبادرة إلى تنفيذها.¹

يجب أن يقوم اختيار المرأة على أساس الدين أولا؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه مسلم قال: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (تُنَكِّحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاطْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ).²

وإذا كان اختيار الزوجة الصالحة من أهم عناصر ديمومة الحياة الزوجية، كما أن على الزوجة أن تختار زوجها ممن يتوفر فيه الشروط المناسبة لها وأهمها الدين والخلق حتى يمكنه أن يقوم بواجبه، واجب الرعاية والقوامة والتربية وكذلك لما يترتب على سوء اختيار الرجل من معاناة للمرأة وهضم لحقوقها، فلذلك حث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولي المرأة أن يختار لابنته صاحب الدين فقد أخرج الترمذي قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو السَّوَّاقُ الْبَلْخِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هُرَيْرَةَ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَسَعِيدٍ، ابْنَيْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي حَاتِمِ الْمُرَزِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادًا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ؟ قَالَ: إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ).⁽³⁾

فإذا أراد الشاب أن يتزوج سأل عن صلاة الفتاة وصيامها ولباسها وخشوعها وبكائها وقيامها الليل وحفظها للقرآن وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، أخرج مسلم

(1) انظر الرازي، مفاتيح الغيب، 407/6، مرجع سابق، وانظر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 139/1، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 362_361/2، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 291/2، مرجع سابق.

(2) مسلم صحيح مسلم، بابُ اسْتِحْبَابِ نِكَاحِ ذَاتِ الدِّينِ، حديث رقم 1466، 1086/2، مرجع سابق.

(3) الترمذي محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الجامع الكبير - سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، بابُ مَا جَاءَ إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ فَرَّوْجُوهُ حديث رقم 1085، 386/2، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط2، 1998 م، حكم عليه الألباني حديث حسن الألباني، محمد ناصر الدين إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، حديث رقم 266/6 1868 إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، ط2، 1405 هـ -

قال: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ الْهَمْدَانِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ، حَدَّثَنَا حَيُّوَةُ، أَخْبَرَنِي شُرْحُبِيلُ بْنُ شَرِيكٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ، يُحَدِّثُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ).⁽¹⁾ "وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة: أي فإنها تكون له سكناً وأنيباً وحافضة زوجها من الحرام ومُعينة على دينه وغير ذلك".⁽²⁾

فالمال والحسب والجمال وإن كانت من متطلبات الزواج إلا أنه لا يصلح أن يكون أساساً لهذه العلاقة المتينة؛ إذ لا بد من شيء أقوى من شهوة المال والحسب والجمال وإلا انهارت هذه الصلة فالمرأة ذات الجمال من غير دين امرأة مغرورة، وذات المال من غير دين امرأة طاغية، وذات الجاه والحسب من غير دين امرأة متكبرة، أما ذات الدين فهي خلوقة متواضعة مطيعة فإذا استطاع الشاب أن يتزوج بذات الدين والجمال والمال والحسب فنور على نور.⁽³⁾

في هذا السياق يجهل كثير من الناس حقيقة الصفة اللازمة للفتاة أو الشاب وهي الخلق وتتمثل في الطبع والعادة والنضج الفكري والمستوى التعليمي المناسب أما الإقتصار على مظاهر التدين دون الخوض في تفاصيل الطبع أي أن هذا التدين يكون شكلاً فقط فهذا يؤدي إلى فشل استمرار الزواج كما هو مشاهد في كثير من الأحيان.

ثانياً: حفظ أوامر الله واجتناب نواهيه، أي أن يكونا على خلق ودين سواء المرأة أو الرجل، قال الله تعالى في وصف الزوجة الصالحة: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾.⁽⁴⁾

وهن القانتات الطائعات ربهن وأزواجهن، الحافظات لواجب الغيب إذا كان الأزواج غير شاهدين لهنّ حفظهن ما يجب عليهنّ حفظه من الفروج والبيوت والأموال فهن يحفظن أنفسهن وعفتن ومال أزواجهن وأولادهن وحال الخلوة مع الزوج، وفي حضور الزوج أحفظ، فهن يتميزن بالشفقة على الرجال والنصيحة لهم، ودوام الطاعة لهم فهنّ قيّماتٌ بحقوق أزواجهن بسبب أمر الله بحفظه، فالله أمرهن أن

(1) مسلم صحيح مسلم بابُ خَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، حديث رقم 1467، 1090/2، مرجع سابق.

(2) ابن مَلَكِ الْكِرْمَانِيِّ، مُحَمَّدُ بْنُ عَرِّ الدِّينِ عَبْدِ اللطيفِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَمِينِ الدِّينِ بْنِ فَرِشْتَا، شرح مصابيح السنة للإمام البغوي، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، 539/3، إدارة الثقافة الإسلامية، ط1، 1433 هـ - 2012 م

(3) إمام محمد علي محمد، صلاح البيوت في جهد الرسول - صلى الله عليه وسلم، ص186_189، مطبعة السلام -

ميت غمر، مصر، ط1، ت2009 م

(4) سورة النساء، آية 34.

يطعن أزواجهن ويحفظنهم في مقابلة ما حفظه الله لهن من حقوق قبل الأزواج من مهر ونفقة ومعاشرة بالمعروف، أي أن هذا بذاك، وقد وعدهن الله الثواب العظيم على حفظ الغيب، وأوعدهن بالعقاب الشديد على التفريط به.⁽¹⁾

وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنات من نساء قريش؛ لأنهن كن يتصفن بحفظ الزوج ورعايته ورعاية الأولاد حيث أخرج البخاري قال: حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ صَالِحُ نِسَاءٍ قُرَيْشٍ، أَحْنَاهُ عَلَى وُلْدٍ فِي صِغَرِهِ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ).⁽²⁾

أي: "الحنو على الأولاد والشفقة عليهم وحسن تربيتهم ومراعاة حق الزوج في ماله وحفظه والأمانة فيه وحسن تدبيره في النفقة".⁽³⁾

وهذه الصفات يجب أن تتصف بها كل زوجة مؤمنة بالله مطيعة له، ولرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم؛ لأن فيها سعادة الدنيا والآخرة وصلاح البيوت والأبناء والمجتمعات.

وهنالك آية جمعت الصفات المطلوبة في كل زوجة مؤمنة تريد الصلاح لبيتها، قال تعالى: ﴿أَنْ يُبَدِّلَهُ

أَرْوَجًا خَيْرًا مِمَّا مَكَنَّ مُسَلِّمَتٍ مُؤْمِنَةٍ فَلْيَنْتِ تَلْبِيتِ عِبْدَاتٍ سَلِيحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾.⁽⁴⁾

خَاضِعَاتٍ لِلَّهِ بِالطَّاعَةِ، مُؤْمِنَاتٍ، مُصَدِّقَاتٍ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ، قَانِتَاتٍ، طَائِعَاتٍ، قَائِمَاتٍ بِفُرُوضِ الْإِسْلَامِ، كَامِلَاتٍ الْإِيمَانَ وَالتَّصَدِيقَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرَسُولِهِ، مَطِيعَاتٍ لِلَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَائِبَاتٍ مِنَ الذُّنُوبِ، مُوَظَّابَاتٍ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ مُتَذَلَّلَاتٍ لَهُ، صَائِمَاتٍ، بَعْضُهُنَّ ثَيِّبَاتٍ، وَبَعْضُهُنَّ أَبْكَارًا.⁽⁵⁾

⁽¹⁾ انظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 55/5، مرجع سابق، وانظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 612/1، مرجع سابق، وانظر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 506/1، مرجع سابق، وانظر الرازي، مفاتيح الغيب، 71/10، مرجع سابق.

⁽²⁾ البخاري، صحيح البخاري، بابُ إِلَى مَنْ يَنْكُحُ، حديث رقم 5082، 6/7، مرجع سابق.

⁽³⁾ بدر الدين العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 26/16، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط، دت.

⁽⁴⁾ سورة التحريم آية 5.

⁽⁵⁾ انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 193/18، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 310/28، مرجع سابق، وانظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 122/5، مرجع سابق.

لذلك يجب الاهتمام بصلاح الأبوين ويجب أن يكونا على خلق؛ لأن ذلك ينعكس على الأبناء ولذلك حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من التهاون في الاختيار وترك الصفات الإسلامية المطلوبة من أصالة وصلاح وشرف لأن ذلك سينعكس سلباً على الأبناء، ولقد أثبت العلماء أن الصفات الخلقية والخلقية تنتقل عن طريق الوراثة كما تنتقل الصفات المادية وإلى هذا أشار القرآن الكريم في استنكار المستنكرين على مريم حيث قالوا: ﴿يَأْخُذَتَّ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعِيًّا﴾ (1).

أي يا شبيهة هارون في العبادة، أو يا من أنت من نسل هارون أخي موسى، كما يقال للتميمي: يا أبا تميم، وقيل: هارون هذا رجل صالح في ذلك الوقت، أنت من بيت طيب طاهر معروف بالصلاح والعبادة، فكيف تأتين بمثل هذا؟

ما كان أبوك بالفاجر، وما كانت أمك بالزانية البغي، فمن أين يأتيك السوء، ومن أين لك هذا الولد؟!²

فعلى الأب المسلم أن يختار لأبنائه الأم المسلمة التي تعرف حق ربها، وحق زوجها، وحق ولدها، والأم التي تعرف رسالتها في الحياة، الأم التي تعرف موقعها في هذه المحن، الأم التي تغار على دينها، وعلى سنة نبيها صلى الله عليه وسلم، وذلك لأن الأم هي المصنع الذي سيصنع فيه الأبناء، وهي المدرسة التي سيتخرجون منها، فإن كانت صالحة أروضتهم الصلاح والتقوى، وإن كانت غير ذلك فذلك. وصدق الشاعر حافظ إبراهيم³:

الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعباً طيب الأعراق

(1) سورة مريم آية 28.

(2) انظر الرازي، مفاتيح الغيب، 530/21، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 82/16، مرجع سابق، وانظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 231/3، مرجع سابق.

(3) حافظ إبراهيم: محمد حافظ بن إبراهيم فهمي المهندس، الشهير بحافظ إبراهيم، ولد في ذهبية بالنيل، عام 1287هـ/1871م، شاعر مصر القومي، ومدون أحداثها نيفاً وربع من القرن، لقب بشاعر النيل، وعين رئيساً للقسم الأدبي في دار الكتب المصرية سنة 1911م/1329 هـ فاستمر إلى قبيل وفاته، وكان قوي الحافظة راوية، سميراً، مرحاً، حاضر النكتة، جهوري الصوت، بديع الإلقاء، كريم اليد في حالي بؤسه ورخائه، مهذب النفس، له ديوان حافظ، واليؤساء، وغير ذلك، توفي بالقاهرة عام 1351 هـ/1932 م انظر الزركلي، الأعلام، 76/6، مرجع سابق، وانظر معجم الشعراء العرب، 1118، مرجع سابق.

الأم روض إن تعهده الحيا ... بالرّي أورك أيما إبراق

الأم أستاذ الأستاذة الألى ... شغلت مآثرهم مدى الآفاق.⁽¹⁾

فإن للمرأة دوراً كبيراً أكبر من دور الأب، في تربية الأبناء على الدين فالابن منذ كان طفلاً رضيعاً وهو ينظر إلى أمه ويشرب من سلوكها فتجده يقلدها في كثير مما تفعله، بل إن أفعالها تؤثر فيه حتى قبل ولادته. فلو أكلت الحرام .. فيخرج جنينها إلى الدنيا وعينه تتطلع إلى السرقة وأكل الحرام .. والعكس إذا خرجت المرأة من بيتها محتشمة في ثيابها وغضت طرفها وأكلت الحلال فكل ذلك يؤثر في جنينها.

- وقال أبو الأسود الدؤلي² لبنيه : "قد أحسنت إليكم صغارا وكبارا، وقبل أن تولدوا، قالوا : وكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ قال : اخترت لكم من الأمهات من لا تسيون بها".

وأنشد الرياشي³ :

فأول إحساني إليكم تخيري *** لماجدة الأعراق باب عفافها.⁴

باب:ورد أيضاً:باد.

-وقد رأى بعض علماء النفس والتربية أن الإصابة بمرض الزهري أو وجود أي نوع من العيوب الوراثية بين الزوجين يؤدي إلى إنجاب أطفال يحملون المرض نفسه كما أن الأطفال الذين يولدون لأبوين يدمنان السكر والمخدرات بأنواعها خاصة في ساعات التلقيح كثيرا ما يصابون بأمراض عقلية

(1) حافظ إبراهيم، ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وصححه وشرحه ورتبه:أحمد أمين وأحمد الزين إبراهيم الأنباري، ص282، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط، ت1997م.

(2) أبو الأسود الدؤلي: أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس بن نفثة ابن عدي بن الدليل بن بكر الديلي، ويقال: الدؤلي، كان من سادات التابعين وأعيانهم، صحب علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وشهد معه وقعة صفين، وهو بصري، وكان من أكمل الرجال رأياً وأسداهم عقلاً، وهو أول من وضع النحو، تُؤفّي سنّة تسعٍ وسبّتين، وله خمس وثمانون سنة انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 2، 535، مرجع سابق، وانظر الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 735/2، مرجع سابق.

(3) الرياشي: أبو الفضل العباس بن الفرّج الرياشي النحوي اللغوي البصري كان عالماً راوية ثقة عارفاً بأيام العرب كثير الاطلاع، روى عن الأصمعي وأبو عبيدة معمر بن المثنى وغيرهما، وروى عنه إبراهيم الحربي وابن أبي الدنيا وغيرهما، مات في البصرة سنة سنة سبع وخمسين ومائتين، انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، 373/12، مرجع سابق، وانظر ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 28/3، مرجع سابق.

(4) الماوردي، أدب الدين والدنيا، ص196، مرجع سابق.

وعصبية قل أن يشفوا منها لأن الأبوين لا يورثان الصفات الجسمية فقط بل الصفات النفسية؛ ولذلك فالتربية قبل الولادة هي التي يطلبها الإسلام في زوجة سالحة وامرأة منجبة خالية من الأمراض والعيوب وزوج يتميز بالاستقامة وحسن الرعاية والإنفاق وحسن المعاملة وحسن التربية لأنه مسئول عنها أمام الله سبحانه وتعالى. (1)

أخرج ابن حبان: أَخْبَرَنَا أَحْسَنُ فِي عَقِبِهِ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ قَالَ: أَخْبَرَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ قَتَادَةَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرَعَاهُ: أَحْفَظَ أَمْ ضَيَّعَ حَتَّى يَسْأَلَ الرَّجُلَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ). (2)

المسألة الثانية: بيان كيفية تأثير الأم في تربية ابنها من خلال مقارنة بين زوجة سيدنا إبراهيم عليه السلام وزوجة سيدنا نوح عليه السلام.

هاجر زوجة سيدنا إبراهيم عليه السلام: الزوجة المؤمنة الصابرة المحتسبة المتوكلة على الله المتيقنة به الطائعة لله، ولزوجها المبتلاة في بيتها وفي زوجها، وفي ولدها الوحيد ما أقوى قلبها؟! .. وما أرسخ إيمانها؟! عندما يتركها زوجها هي وولدها بوادٍ غير ذي زرع تسأله بسؤال يظهر متانة العقيدة في قلبها ورسوخ الإيمان فيه: آله أمرك بهذا؟! قال نعم، فقالت: إذهب فإن الله لن يضيعنا.

فهذا ظنها بزوجها المؤمن أنها في وسط جبال لا زرع فيها ولا ماء صحراء قاحلة يتركها ورضيعها فيها ..

(1) انظر بن زينو، مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع، 343/3، مرجع سابق، وانظر محبوب عباس التربية الإسلامية ومراحل النمو، ص115_116، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط السنة 13 / العدد 52- 1401 هـ، انظر <http://fuqaha.islammessage.com/showthread.php?56> ، وانظر محبوب، التربية الإسلامية ومراحل النمو، ص117، مرجع سابق، وانظر بن زينو مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع، 501/2، مرجع سابق.

(2) ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبُدٍ، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، باب ذِكْرُ الْإِخْبَارِ بِسُؤَالِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا كُلِّ مَنْ اسْتَرْعَى رَعِيَّةً، حديث رقم 10، 344/4492، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1408 هـ - 1988 م، حكم عليه الألباني صحيح، الألباني أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، مؤلف الأصل: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبُدٍ، التميمي، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيم من صحيحه، وشاذه من محفوظه، باب في الخلافة والإمارة، حديث رقم 4476، 465/6، دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، ط1، 1424 هـ - 2003 م

وما هو إلا قليل حتى نفذ منها الماء، وجفت عروق وليدها فتلوى من العطش والألم وتمرغ في الأرض، فهربت إليّ الجبل كراهية أن تراه، فصعدت الصفا ثم استقبلت الوادي فسعت سعي الخائف الباحث ثم أتت المروة فقامت عليه فنظرت فلم تر أحدا فعلت ذلك سبع مرات ..

ثم جاءت ملائكة الرحمن تشق زمزم فانفجرت وسالت وأصابت بركتها العالم إليّ يوم الدين، ببركة : " إن الله لن يضيعنا" ، كم سنة صحبت هاجر إبراهيم عليه السلام حتى تحصلت على هذا اليقين!!؟ إنّه يقين هاجر عليها السلام بريها عزوجل .⁽¹⁾

قال تعالى : {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفِيدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ } .⁽²⁾

يا ربنا إني أسكنت بعض ذريتي، وهم إسماعيل ومن ولد منه، بواد لا زرع فيه وهو وادي مكة، عند بيتك المحرم الممنع من تناول الأيدي إياه بما يفسده أو يضر أهله بما جعل الله له في نفوس الأمم من التوقير والتعظيم، وبما شاهدوه من هلكة من يريد فيه بالحاد بظلم، وجعلته محرما ليتمكن أهله من إقامة الصلاة عنده، فاجعل قلوب بعض الناس تسرع إليه شوقا ومحبة، وتحن وتميل إلى رؤيته، وارزق ذريتي من أنواع الثمار الموجودة في سائر الأقطار، ليكون ذلك عوناً لهم على طاعتك، وكما أنه واد غير ذي زرع، فاجعل لهم ثمارا يأكلونها، وقد استجاب الله دعاءه، وتحقق فضل الله ورحمته وكرمه، فبالرغم من أنه ليس في البلد الحرام: «مكة» شجرة مثمرة، فإنه تجبى إليها ثمرات ما حولها من البلاد، من أنواع ثمار الفصول الأربعة، استجابة لدعاء الخليل عليه السلام.⁽³⁾

أخرج البخاري قال: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ، وَكَثِيرِ بْنِ كَثِيرِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَبِي وَدَاعَةَ، يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ الْمِنْطِقَ مِنْ قَبْلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ، اتَّخَذَتْ مِنْطِقًا لِتُعْفِيَ أَثَرَهَا عَلَى سَارَةِ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبَابْنُهَا إِسْمَاعِيلُ وَهِيَ تُرْضِعُهُ، حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ، فَوْقَ

(1) محمد إمام محمد علي صلاح البيوت في جهد الرسول - صلى الله عليه وسلم، ص21، مطبعة السلام - ميث غمر، مصر، ط1، ت2009م

(2) سورة إبراهيم آية 37.

(3) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 241/13، مرجع سابق، وانظر معالم التنزيل في تفسير القرآن، 44_43/3، مرجع سابق، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 369_368/9، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 263/13، مرجع سابق.

زَمَزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَى¹ إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي، الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: اللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ، فَأَنْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ النَّبْتَةِ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهَوْلَاءِ الْكَلِمَاتِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: رَبِّ {إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُرِّيٍّ بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زُرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ}⁽²⁾ - حَتَّى بَلَغَ - {يَشْكُرُونَ} [إِبْرَاهِيم: 37] الخ الحديث (3).

ثم بعد ذلك يأتي سيدنا إبراهيم عليه السلام ليذبح ولده إسماعيل بأمر ربه فماذا تفعل هاجر عند هذا الابتلاء العظيم!؟

هل تقبل هاجر الأم بأمر الله وتقدمه على أمرها وهي ترى زوجها يأخذ بيد ولدها الوحيد ليذبحه وحتى أن الشيطان اللعين لم يتركها وحالها بل جاء إليها ليثير ما بداخلها من أشجان وآلام ويبدل جهده حتى يخرجها عن تقواها لتثور على إبراهيم إنفاذاً لولدها!؟

إنها تقدم أمر ربه وتستعين به على الصبر في هذه اللحظة العظيمة على النفوس وكذلك هي دفعت وساوس الشيطان ومحاولته إبعادها عن أمر ربه برجمه بسبع حصيات، واستعانت بالله منه ، فابتعد عنها ، وكذلك فعل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فكان رمي الجمرات في الحج .

فهذه هاجر الزوجة المؤمنة والأم الصابرة عند البلاء فإن تقواها لله وطاعتها له وإيمانها به ثبتها في هذه اللحظات العصيبة الشديدة فكان بعد ذلك الفرج والمكافئة من الله فدخل عليها زوجها ليبشرها بالبشرى ويسعدها بالخبر، ورفع الله البلاء، وفدى إسماعيل بذبح عظيم بعد ما نجحت الأسرة كلها في

(1) قفى: من التقفية وهو الإعراض والتولي. الكرمانى، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، 20/14، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط2، ت1401هـ - 1981م.

(2) سورة إبراهيم، الآية 37

(3) البخاري صحيح البخاري، حديث رقم 3364، 142/4، مرجع سابق.

الاختبار قال تعالى: ﴿وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ بَجَزَى الْمُحْسِنِينَ

﴿١٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُحِينُ ﴿١٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٧﴾﴾¹.

فلما أسلما وتله للجبين أي فلما استسلما وانقادا لأمر الله وأطاعاه، وفوضا أمرهما إلى الله، وأكب إبراهيم ابنه على وجهه حتى لا تأخذه العاطفة فيتردد في الذبح، أو ألقاه على جنبه، فوقع جبينه (جانب الجبهة) على الأرض والموضع الذي أراد ذبحه فيه: هو المنحر بمنى عند الجمار.

قال مجاهد: قال إسماعيل لأبيه: لا تذبحني وأنت تنظر إلى وجهي، عسى أن ترحمني، فلا تجهز علي، اربط يدي إلى رقبتني، ثم ضع وجهي للأرض، ففعل.

روى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لما أمر إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام بالمناسك، عرض له الشيطان عند السعي، فسابقه فسبقه إبراهيم عليه السلام، ثم ذهب به جبريل عليه السلام إلى جمرة العقبة، فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حصيات، حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى، فرماه بسبع حصيات، وثم تله للجبين، وعلى إسماعيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام قميص أبيض، فقال له: يا أبت، إنه ليس لي ثوب تكفني فيه غيره، فاخلعه حتى تكفني فيه، فعالجه ليخلعه، فنودي من خلفه: أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا فالتفت إبراهيم، فإذا بكبش أبيض أقرن أعين، قال ابن عباس: لقد رأيتنا أن نتبع ذلك الضرب من الكباش.²

ونادينا أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا لما أضجعه للذبح ناداه من خلفه من الجبل ملك: قد حصل المقصود من رؤياك، وتحقق المطلوب وصرت مصدقا بمجرد العزم، وإن لم تذبح، وأتيت بما أمكنك.⁽³⁾

(1) سورة الصافات، الآية 103_107.

(2) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، باب مسند عبد الله بن عباس، حديث رقم 4، 336/2707، مرجع سابق. رجاله رجال الصحيح، الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، 8/201، مكتبة القدسي، القاهرة، ط 1414 هـ، 1994 م

(3) انظر الرازي، مفاتيح الغيب، 26/349، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 23/152، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 23/121، مرجع سابق.

لقد فرحت هاجر بنجاة ابنها، وشكرت ربها وحمدته، فنعمة الطاعة والبر والأدب، فالزوجة هاجر المؤمنة أطاعت زوجها في طاعته الله عندما تركهما في الصحراء، ثم يخرج الابن البار إسماعيل عليه السلام طائعا لأبيه قال تعالى عنه: ﴿قَالَ يَكَّابُ أَفْعَلَ مَا تُمَرُّ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾¹.

فأم بهذا اليقين بالله تعالى كيف ستكون تربيته لولدها؟؟

لقد كانت تربيةً صالحة وطيبة فنشأ هذا الابن صالحاً طائعا لله عزوجل، وباراً بأمه، وأبيه حتى من تمام بره بأبيه يضرب به المثل في الولد البار الطائع لأبيه.

زوجة نوح:

امرأة نوح لم يُذكر اسمها في القرآن الكريم، وإنما أشار الله جلّ وعلا إليها مرة واحدة بصفتها على أنها "امرأة نوح". وقد ذُكرت مع "امرأة لوط"

ذهب معظم المفسرين على أن المرأة التي أشار لها القرآن على أنها "امرأة نوح" كان اسمها "والعة".

وكانت "والعة" ممن أغرقوا من قوم نوح عليه السلام! أبت أن تدخل السفينة، وآثرت البقاء مع قومها الذين أغرقوا فأدخلوا نارا!! وكذلك ولده "يام" الذي ظن أنه ناج إذا اعتلى جبلا!.

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يَغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾⁽²⁾.

جعل الله مثلا لحال الكفار في مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم أنه لا يغني أحد عن أحد، وأن ذلك لا يجدي عنهم شيئا، ولا ينفعهم عند الله إن لم يكن الإيمان حاصلًا في قلوبهم، فمجرد الخلطة أو النسب أو الزوجية لا فائدة فيها ما دام الشخص كافرا.

وذلك المثل أن امرأة نوح وامرأة لوط عليهما السلام، كانتا في عصمة نكاح نبيين رسولين، وفي صحبتهما ليلا ونهارا، يؤاكلانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط، لكنهما خانتاهما في الإيمان والدين، فلم تؤمنا بهما، ولا صدقاهما في الرسالة، فلم ينفعهما نوح ولوط بسبب كونهما زوجتين لهما

(1) سورة الصافات، آية 102.

(2) سورة التحريم آية 10

شيئا من النفع، ولا دفعا عنهما من عذاب الله، ولا دفعا عنهما محذورا، مع كرامتهما على الله، وحق بهما سوء العذاب والعقاب.

قيل: كانت امرأة نوح تقول للناس: إنه مجنون، وكانت امرأة لوط تخبر قومه بأضيافه ليفجروا بهم. وقيل للمرأة في الآخرة عند دخول النار: أدخلنا النار مع الداخلين فيها من أهل الكفر والمعاصي، جزاء كفرهما وسيئاتهما.⁽¹⁾

فهذه امرأة نوح لم تكن مؤمنة بالله، ولا برسوله ولم تصدقه وهي ربت ولدها على ذلك الكفر، والعصيان وعدم الاستجابة لأمر الله وعدم طاعة والده النبي فهو عندما طلب منه أبوه النبي الإيمان بالله والنجاة، والركوب في السفينة لم يستجب لأمر الله ولم يطع والده فكان من المغرقين الهالكين قال تعالى مخبرا عن ذلك: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قَالَ سَاوِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَْعَصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٤﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأْ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٥﴾ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٨﴾﴾

واستولت الشفقة وعاطفة الأبوة على نوح، فنادى ابنه: وابنُ نوحِ هَذَا هُوَ ابْنُ رَابِعٍ فِي أَبْنَائِهِ مِنْ رَوْحٍ ثَانِيَةٍ لِنُوحٍ كَانَ اسْمُهَا وَعِلَّةٌ غَرِقَتْ، وَأَنَّهَا الْمَذْكُورَةُ فِي آخِرِ سُورَةِ النَّحْرِيمِ، وَقِيلَ كَانَ اسْمُ ابْنِهِ يَامُ أَوْ كِنَعَانُ، وَهُوَ غَيْرُ كِنَعَانَ بْنِ حَامٍ جَدِّ الْكُنَعَانِيِّينَ وَكَانَ فِي مَكَانٍ مَنَعَزَلٍ عَنْهُ، وَكَانَ كَافِرًا دَعَاهُ أَبُوهُ عِنْدَ رُكُوبِ السَّفِينَةِ أَنْ يُؤْمِنَ وَيُرْكَبَ مَعَهُمْ، وَلَا يَغْرُقَ مِثْلَ مَا يَغْرُقُ الْكَافِرُونَ، نَادَاهُ بِقَوْلِهِ: يَا بَنِي أَرْكَبْ مَعَنَا الْفُلَكَ، وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ الْهَالِكِينَ، فَرَدَّ الْإِبْنُ الْعَاصِي عَلَيْهِ قَائِلًا: سَاوِيَ وَأَصِيرُ إِلَىٰ جِبَلٍ

(1) انظر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 874، مرجع سابق، وانظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 123/5، مرجع سابق، وانظر الرازي، مفاتيح الغيب، 574/30، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 325/28، مرجع سابق.

(2) سورة هود الآيات 42_47.

يحفظني من الغرق في الماء، ظنا منه أنه ماء سيل عادي يمكن النجاة منه بالتحصن في مكان عال أو جبل شامخ فأجابه نوح عليه السلام: ليس شيء يعصم اليوم من أمر الله وعذابه.

وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾. (1) فكان هذا الولد مِمَّنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ بِالْغَرَقِ لِكُفْرِهِ وَمُخَالَفَتِهِ أَبَاهُ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذه الآية تقتضي أن نوحاً عليه السلام ظنَّ أن ابنه مؤمناً، فبين الله أنه ذو عمل غير صالح، فإنه كافر، ولا نجاة للكافرين، فهو تتكر لدعوة الهدى والصالح، وانضم مع الكافرين. (2)

_مقارنة بين نداء الأبوين: إبراهيم لإسماعيل عليهما السلام بالذبح، ونوح عليه السلام لابنه بالنجاة؟
إبراهيم عليه السلام يطلب من ابنه إسماعيل في أمر الرؤيا أنه يذبحه: فكانت الاستجابة السريعة من ابنه إسماعيل مسلماً أمره الله تعالى.

بينما نوح عليه السلام ينادي ابنه ليركب معه في سفينة النجاة: فلم يستجيب الابن لأمر أبيه بل خالفه ورفض وكان من المغرقيين. فمن هنا نرى الفارق بين التريبتين ولتأثير كل الأمين أم إسماعيل عليه السلام. وأم ابن سيدنا نوح عليه السلام.

المطلب الثاني: النبات الحسن (البيئة الصالحة)

إن الإنسان إذا نشأ في بيئة صالحة، وأسرته متدينة، وتربية إيمانية صالحة، كان شخصاً مثالياً صالحاً محباً لدينه ومجتمعه. أما إذا وجد في بيئة سيئة، وأسرته غير ملتزمة بأوامر الله وتربية فاسدة كان شخصاً فاسداً. وينعكس ذلك على مجتمعه، وهذا مصداق لقول الله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ

بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَآيَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾. (3)

(1) سورة هود آية 40.

(2) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير 76/12، مرجع سابق، وانظر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 382_382، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 78_76/12، مرجع سابق، وانظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم، 326_325/4، مرجع سابق.

(3) سورة الأعراف آية 58.

هَذَا مِثْلُ ضَرَبِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُؤْمِنِ، وَالْكَافِرِ، فَمِثْلُ الْمُؤْمِنِ: مِثْلُ الْأَرْضِ الْعِذَاءِ¹ الْكَرِيمَةِ التَّرْبَةِ يُصْبِيئُهَا الْمَطَرُ فَتَخْرُجُ نَبَاتُهَا بِإِذْنِ رَبِّهَا، فَيَحْصُلُ مِنْهَا أَنْوَاعُ الْأَزْهَارِ وَالشَّمَارِ، فَالْمُؤْمِنِ الَّذِي إِذَا سَمِعَ الْقُرْآنَ وَعَاةً وَعَقْلَهُ وَانْتَفَعَ بِهِ، وَيَسْمَعُ الْمَوْعِظَةَ، فَيَنْتَفِعُ بِهَا وَالثَّانِي: مِثْلُ الْكَافِرِ مِثْلُ الْأَرْضِ السَّبْخَةِ² الَّتِي فِي تَرْتَبِهَا حِجَارَةٌ أَوْ شَوْكٌ، لَا يُتَبَيَّنُ أَثَرُ الْمَطَرِ فِيهَا، إِذَا أَنْزَلَ عَلَيْهَا الْمَاءَ لَمْ تَخْرُجْ مَا أَخْرَجَتْ الْأَرْضُ الطَّيِّبَةُ فَلَا تَنْبَتُ إِلَّا النَّزْرَ الْقَلِيلَ، وَبَعْسَرِ وَصَعُوبَةِ، فَالْكَافِرِ يَسْمَعُ الْقُرْآنَ فَلَا يُؤْتِرُّ فِيهِ، فَالرُّوحُ الطَّاهِرَةُ النَّقِيَّةُ مِنْ شَوَائِبِ الْجَهْلِ وَالْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ إِذَا اتَّصَلَ بِهَا نُورُ الْقُرْآنِ، ظَهَرَتْ فِيهَا أَنْوَاعُ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَارِفِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ، وَالرُّوحُ الْخَبِيثَةُ وَإِنْ اتَّصَلَ بِهَا نُورُ الْقُرْآنِ، لَمْ يَظْهَرْ فِيهَا مِنْ الْمَعَارِفِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ إِلَّا الْقَلِيلُ.⁽³⁾

وهذا المثل بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه البخاري قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ أَسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مِثْلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمِثْلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَبَاتٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَفَنَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرَبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مِثْلُ مَنْ فَفَعَهُ فِي دِينِ اللَّهِ، وَفَنَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعِلْمٌ وَعِلْمٌ، وَمِثْلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يُقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ) قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: قَالَ إِسْحَاقُ: وَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ، قَاعٌ يَغْلُوهُ الْمَاءُ، وَالصَّفْصَفُ⁴ الْمُسْتَوِي مِنَ الْأَرْضِ.⁵

(1) الأرض العذاء: هي الأرض الطيبة التربة الكريمة المنبت والبعيدة من الماء والوخم والوباء. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى وآخرون، ص 590، المكتبة الإسلامية القاهرة، دط، ت 1972م.

(2) السبخة: أرض ذات ملح ونز لا تكاد تنبت. مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط، ص 413، مرجع سابق.

(3) انظر ابن قيم الجوزية، تفسير القرآن الكريم، 1/287، مرجع سابق، وانظر قطب، في ظلال القرآن، 3/1300، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 8/244_247، مرجع سابق، وانظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 3/239، مرجع سابق، وانظر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 2/112، مرجع سابق، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 7/231، مرجع سابق.

(4) الصفصاف: الأملس الذي لاتنبت فيه. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي فتح الباري شرح صحيح البخاري، 8/433، دار المعرفة - بيروت، دط، ت 1379.

(5) البخاري، صحيح البخاري، باب فضل من علم وعلم، حديث رقم 79، 1/27، مرجع سابق.

أثبت علماء الوراثة أن الصفات الجسمية والخلقية والعقلية والنفسية لدى الآباء تكون استعداداً لدى الأبناء بما في آبائهم (1).

إن البيئة الصالحة والمنبت الحسن يؤثر في صاحبها، وفي ذريته، ودليل ذلك مريم ابنة عمران عليها السلام أم سيدنا عيسى عليه السلام عندما نشأت في بيئة صالحة وهي بيعة سيدنا زكريا عليه السلام كيف أثرت فيها وفي ذريتها قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾. (2)

فتقبل الله مريم من أمها بأبلغ قبول، ورضي أن تكون محررة خالصة للعبادة وخدمة البيت على صغرها وأنوتتها، ورباها ونماها بما يصلح أحوالها تربية عالية، تشمل الجسد والروح، كما يربى النبات في الأرض الصالحة بعد تعهد الزارع إياه بالسقي والتسميد، والعزق وقلع الأعشاب الضارة من حوله. وَالْقِيَامُ بِشَأْنِهَا، فَسَوَّى خَلْقَهَا مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ، فَكَانَتْ تَنْبُتُ فِي الْيَوْمِ مَا يَنْبُتُ الْمَوْلُودُ فِي عَامٍ وَاحِدٍ، وَأَنْشَأَهَا إِنْشَاءً صَالِحًا، وَذَلِكَ فِي الْخُلُقِ وَنَزَاهَةِ الْبَاطِنِ، وجعل زكريا عليه السلام وكان زوج خالتها وكان معروفا بالخلق والتقوى كافلا لها وراعياً لمصالحها حتى شبت وترعرعت.

وإنما قدر الله كون زكريا كفيها لسعادتها، لتقتبس منه علماً جماً نافعاً وعملاً صالحاً فهو نبي صالح. (3)

المطلب الثالث: تحصين الولد

المسألة الأولى: التحصين بذكر الله تعالى، وفضل "ما شاء الله لا قوة إلا بالله".

(1) محجوب، عباس بيئات التربية الإسلامية، ص119، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط2، ت1400هـ

(2) سورة آل عمران آية 37.

(3) انظر السعدي تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص128، مرجع سابق، وانظر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 358/1، مرجع سابق، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 69/4، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 235/3، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 214/3، مرجع سابق.

إن ذكر الله تعالى خير حافظ للإنسان فهو بمثابة الحصن المنيع له من كل أذى ومن أنواع الذكر التي بها حفظ للإنسان "ما شاء الله لا قوة إلا بالله"، فهذه الكلمة لم تقل على شيء إلا حفظته ولم يمسه أذى بإذن الله تعالى، ودليل ذلك ما ورد في قصة صاحب الجنة في سورة الكهف في قوله تعالى ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (٣٨) ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۗ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (٣٩). (1)

قال صاحب المؤمن ناصحاً صاحبه: هلا إذا أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها، حمدت الله على ما أنعم به عليك، وأعطاك من المال والولد ما لم يعط غيرك، وقلت: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، أي الأمر ما شاء الله، والكائن ما قدره الله، ولا أفدِّرُ على حفظ مالي أو دفع شيء عنه إلا بالله، وهذه الكلمة دليل على عبودية المرء لله، والاعتراف بالعجز، ولهذا قال بعض السلف: من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده، فليقل: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، عملاً بهذه الآية، ورؤي عن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان إذا رأى من ماله شيئاً يعجبه أو دخل حائطاً من حيطانه، قال: "ما شاء الله، لا قوة إلا بالله".

قال الإمام مالك: ينبغي لكل من دخل منزله أن يقول: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله. (2) وهذه الكلمة هي كنز من كنوز الجنة: ثبت في صحيح مسلم عن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له: (أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ، فَقُلْتُ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: (قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)).³

المسألة الثانية: التحصين من الشيطان الرجيم :

ويكون التحصين: 1_ عند الزواج قبل الدخول.

1_ عند الزواج قبل الجماع.

(1) سورة الكهف، آية 38، 39.

(2) انظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم، 5/158، مرجع سابق، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 10/406، مرجع سابق، وانظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 3/193، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 15/254، مرجع سابق.

(3) مسلم، صحيح مسلم، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، حديث رقم 2704، 2076/4، مرجع سابق.

يجب تحصين المولود قبل مجيئه ووهوفي رحم أمه، وبعد مجيئه من الشيطان الرجيم لقوله تعالى ﴿وَقُلْ

رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾. (1)

أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنِينَ بِالْتَّعَوُّدِ مِنَ الشَّيَاطِينِ مِنْ هَمَزَاتِهِمْ، لِأَنََّّهُمْ لَا تَنْفَعُ مَعَهُمُ الْحِيلُ، وَلَا يَنْفَادُونَ بِالْمَعْرُوفِ.

ومعنى الدعاء: يا رب أمتنع وأعتصم بك، من نزغات الشياطين ونفخهم ونفثهم، وأعوذ بك رب أن يحضرون في شيء من أموري .

ولهذا أمر بذكر الله في ابتداء الأمور لطرد الشيطان عند الأكل والجماع والذبح وغير ذلك من الأمور، فإنهم إذا حضروا الإنسان حدث الهمز، وإذا لم يكن حضور، فلا همز. (2)

أخرج مسلم، قال: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ أَبِي سُوَيْبَانَ، عَنِ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ، حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ، فَإِذَا سَقَطَتْ مِنْ أَحَدِكُمُ اللَّفْمَةُ، فَلْيَمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَدَى، ثُمَّ لِيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدَعُهَا لِلشَّيْطَانِ، فَإِذَا فَرَعَ فَلْيَلْعَقْ أَصَابِعَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ تَكُونُ الْبِرْكَةُ).³

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يرقى نفسه وأهل بيته بالمعوذات؛ لأن فيها تحصيناً من الشيطان الرجيم فقد أخرج مسلم قال: حَدَّثَنِي سُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ، وَيَحْيَى بْنُ أَبِي بُرَيْدٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا عَبَادُ بْنُ عَبَّادٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِالْمَعُودَاتِ، فَلَمَّا مَرِضَ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، جَعَلَتْ أَنْفُثُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحَهُ بِيَدِ نَفْسِهِ، لِأَنَّهَا كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكََةً مِنْ يَدِي).⁴

فمما سبق نستنتج أنه يجب تحصين الولد:

أولاً: عند الحمل أي عند وضع البذرة:

(1) سورة المؤمنون، الآية 97، 98.

(2) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 492/5، مرجع سابق، وانظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 373/3، مرجع سابق، وانظر الرازي، مفاتيح الغيب، 292/23، مرجع سابق، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 149/12، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 276/14، مرجع سابق وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 97/18، مرجع سابق.

(3) مسلم، صحيح مسلم، باب استحباب لعق الأصابع، حديث رقم 2033، 1607/3، مرجع سابق.

(4) مسلم صحيح مسلم، باب رقية المريض بالمعوذات والنفث، حديث رقم 2192، 1723/4، مرجع سابق.

فمن السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو الرجل قبل الجماع حتى يجنب ولده أذى الشيطان أخرج البخاري قال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ كُرَيْبٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، يَبْلُغُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنَّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنَّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقَضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ).⁽¹⁾ كما أشرت إلى ذلك في السابق عند الدعاء للذرية عند الحمل والولادة.

ثانياً:تحصين المولود :عند الولادة من أذى الشيطان والعين :قالت امرأت عمران لما وضعت مريم: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۗ﴾.⁽²⁾

قالت :إِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ، وَهِيَ بِلُغَتِهِمُ الْعَابِدَةُ وَالْخَادِمَةُ، وَإِنِّي أَمْنَعُهَا وَأُجِيرُهَا، بِكَ وَأَوْلَادَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الطَّرِيدِ اللَّعِينِ وَالْمَرْمِيِّ بِالشُّهُبِ.

أخرج البخاري قال: حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعُنُ الشَّيْطَانَ فِي جَنْبِهِ بِإِصْبَعِهِ حِينَ يُولَدُ، غَيْرَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَهَبَ يَطْعُنُ فُطْعَنَ فِي الْحِجَابِ).³

تَضَرَّعَتْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي أَنْ يَحْفَظَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَأَنْ يَجْعَلَهَا مِنَ الصَّالِحَاتِ الْقَائِمَاتِ، وَأَنَّهُ تَعَالَى عَصَمَهَا وَعَصَمَ وَلَدَهَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ. عَوَّدَتْهَا بِاللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ، وَعَوَّدَتْ ذُرِّيَّتَهَا، وَهُوَ وَلَدُهَا عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهَا ذَلِكَ.⁽⁴⁾

فإن كل مولود ينخزه الشيطان فيصيح عند ميلاده إلا عيسى ابن مريم استجابة لدعاء جدته، فقد أخرج مسلم: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا نَحَسَهُ الشَّيْطَانُ، فَيَسْتَهْلُ صَارِحًا

(1) البخاري، صحيح البخاري، باب التسمية على كل حال وعند الوقاع، حديث رقم 141، 40/1، مرجع سابق.

(2) سورة آل عمران آية 36.

(3) البخاري، صحيح البخاري، بابُ صِفَةِ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ، حديث رقم 3286، 125/4، مرجع سابق.

(4) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 34/2، مرجع سابق، وانظر البيهقي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 432/1، مرجع سابق، وانظر الرازي، مفاتيح الغيب، 204/8، مرجع سابق، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 68/4، مرجع سابق.

مِنْ نَخْسَةِ الشَّيْطَانِ، إِلَّا ابْنَ مَرْيَمَ وَآمَةَ) ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَفْرَعُوا إِنْ شِئْتُمْ: لِرَوَّايِ أُعِيدُهَا بِكَ وَدُرِّتَهَا مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}.⁽¹⁾

فلما كان أذى الشياطين وتسلطهم على بني آدم لا يستثنى الصغير ولا الكبير فقد شرع تعويد الأبناء من همزاتهم ومن أذى العين والأنفس الخبيثة فقد أخرج البخاري: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنِ الْمِنْهَالِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّدُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، وَيَقُولُ: (إِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ يُعَوِّدُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ).⁽²⁾

"فهذه سنة نبينا والأنبياء قبله وهم المربون والقوة ! وفيها حفظ للأبناء في نفوسهم وعقولهم وعافيتهم وكل نعمة أصبغها الله عليهم ليكتمل بها بناؤهم ونشأتهم على الوجه الأفضل وكل شر قد يمكن دفعه ومدافعتة إلا شر هذه المخلوقات الشريرة فما من شيء يدفعه سوى الاستعاذة بالله من ذلك".⁽³⁾

المطلب الرابع: تعليم الولد الآداب الشرعية

المسألة الأولى: آداب الاستئذان

حث الإسلام على إنشاء السلام وتبادل التحية بصفة عامة لإشاعة السلام والأمن، ونشر المحبة، والتعاون على البر والتقوى، لا الإثم والعدوان، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾.⁴

الْمُرَادُ بِالتَّحِيَّةِ هَاهُنَا السَّلَامُ، يَقُولُ: إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ مُسَلِّمٌ فَأَجِيبُوا بِأَحْسَنَ مِمَّا سَلَّمَ أَوْ رُدُّوهَا أَي رَدُّوا كَمَا سَلَّمَ، فَإِذَا قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقُلْ: وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، وَإِذَا قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَقُلْ: وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ، وَإِذَا قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ، فَرُدِّ مِثْلَهُ.

(1) مسلم، صحيح مسلم، باب فضائل عيسى عليه السلام، حديث رقم 2366، 1838/4، مرجع سابق.

(2) البخاري، صحيح البخاري، باب التعوذ، حديث رقم 3371، 147/4، مرجع سابق.

(3) انظر العدوي، مصطفى، فقه تربية الأبناء وطائفة من نصائح الأطباء، ص41، دار ماجد عسيري، ط1، ت1419هـ، 1998م.

(4) سورة النساء آية 61.

رُويَ أَنَّ رَجُلًا سَلَّمَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، ثُمَّ زَادَ شَيْئًا، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «إِنَّ السَّلَامَ يَنْتَهِي إِلَى الْبِرْكَاتِ». فَاللَّهُ تَعَالَى أَمَرَ الْكُلَّ بِأَنَّهُمْ إِذَا حَيَّاهُمْ أَحَدٌ بِتَحِيَّةٍ أَنْ يُقَابِلُوا تِلْكَ التَّحِيَّةَ بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ بِأَنْ يَزِدُّوَهَا، وَكَلِمَا كَانَ الرَّدُّ أَفْضَلَ كَانَ الثَّوَابُ أَكْثَرَ، فَالسَّلَامُ وَحْدَهُ مِنَ الْمُسْلِمِ وَالْمَجِيبِ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَضَمُّ الرَّحْمَةِ إِلَيْهِ: لَهُ عَشْرُونَ حَسَنَةً، وَضَمُّ: «وَبَرَكَاتِهِ» لَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً، وَالسَّنَةُ أَنْ يَسْلُمَ الْقَادِمُ، وَالرَّاكِبُ - لَعَلُّهُ مَرْتَبَتَهُ - عَلَى الْمَاشِي، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ لَوْقَارِهِ وَسُكُونِهِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ، وَالصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ مِرَاعَاةً لِشَرَفِ الْجَمْعِ وَأَكْثَرِيَّتِهِمْ¹

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ، أَخْبَرَنَا مَخْلَدٌ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي زَيْدٌ، أَنَّهُ سَمِعَ ثَابِتًا، مَوْلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ: أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يُسَلِّمُ الرَّكَّابُ عَلَى الْمَاشِي، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ).²

وَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أَفْضَلَ الْإِسْلَامِ وَخَيْرَهُ إِفْشَاءُ السَّلَامِ عَلَى مَنْ عَرَفْنَا وَمَنْ لَمْ نَعْرِفْ، لِأَنَّ فِي ذَلِكَ نَشْرَ الْمَحَبَّةِ بَيْنَ النَّاسِ، وَسَبَبًا لِلتَّعَارُفِ وَالتَّوَالُفِ، فَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي الْخَيْرِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: (تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتُقْرِئُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ).⁽³⁾

ثُمَّ إِنَّ السَّلَامَ تَحِيَّةَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَالسَّنَةُ التَّحِيَّةُ لِكُلِّ قَادِمٍ عَلَى غَيْرِهِ، وَهِيَ السَّلَامُ.

وَعِنْدَمَا قَدِمَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ أَلْقَتْ عَلَيْهِ السَّلَامَ، فَبَادَلَهُمُ التَّحِيَّةَ هُوَ وَرَدَ عَلَيْهِمُ بِالسَّلَامِ كَذَلِكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَّمَ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾.⁽⁴⁾

السَّنَةُ التَّحِيَّةُ لِكُلِّ قَادِمٍ عَلَى غَيْرِهِ، وَهِيَ السَّلَامُ، يَخْبِرُنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ ضَيُوفِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُمْ مِنْ الْمَلَائِكَةِ، وَهُمْ جِبْرِيْلُ وَمِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي صُورَةِ شَبَانِ حَسَانِ

⁽¹⁾ انظر الرازي، مفاتيح الغيب، 500/3، مرجع سابق، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 297/5، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 186_185/5، مرجع سابق، وانظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 669/1، مرجع سابق.

⁽²⁾ البخاري، صحيح البخاري، بَابُ تَسْلِيمِ الرَّكَّابِ عَلَى الْمَاشِي، حديث رقم 6232، 52/8، مرجع سابق.

⁽³⁾ البخاري، صحيح البخاري، بَابُ: إِفْشَاءِ السَّلَامِ مِنَ الْإِسْلَامِ، حديث رقم 28، 15/1، مرجع سابق.

⁽⁴⁾ سورة الذاريات، آية 25.

عليهم مهابة عظيمة، فهم عندما دخلوا عليه قالوا: نسلم عليك سلاما، فأجابهم إبراهيم عليه السلام بأحسن من تحينهم، فقال: سلام عليكم، أي سلام دائم ثابت لا يزول، أنكروهم إبراهيم عليه السلام للسلام الذي هو علم الإسلام والذي لم يكن شائعا في قومه الكفرة، ولأنهم عليهم السلام غرباء غير معروفين. (1)

لَمَّا خَصَّصَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بَنِي آدَمَ الَّذِي كَرَّمَهُمْ وَفَضَّلَهُمْ بِالْمَنَازِلِ وَسَتَرَهُمْ فِيهَا عَنِ الْأَبْصَارِ، وَمَلَكَهُمْ الْإِسْتِمْتَاعَ بِهَا عَلَى الْإِنْفِرَادِ، وَحَجَرَ عَلَى الْخَلْقِ أَنْ يَطَّلِعُوا عَلَى مَا فِيهَا مِنْ خَارِجٍ أَوْ يَلْجُوهَا مِنْ غَيْرِ إِذِنْ أَرْبَابِهَا، أَدَبَهُمْ بِمَا يَرْجِعُ إِلَى السُّتْرِ عَلَيْهِمْ لِئَلَّا يَطَّلِعَ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى عَوْرَةِ، فَأُوجِبَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ لَا يَدْخُلَ الْمَرْءُ بَيْتَ غَيْرِهِ إِلَّا بَعْدَ الْإِسْتِئْذَانِ وَالسَّلَامِ، لِأَنَّ فِي الدُّخُولِ بغيرِ الْإِسْتِئْذَانِ وَالسَّلَامِ يُوْدِي إِلَى وَفُوعِ التُّهْمَةِ، وَفِي ذَلِكَ مِنَ الْمَضَرَّةِ مَا لَا حَفَاءَ بِهِ، وَمِمَّا يُؤْذِي الْعَرَضَ وَالنَّفْسَ مِنْ انْكِشَافِ مَا لَا يُحِبُّ السَّاكِنُ ااطَّلَاعِ النَّاسِ عَلَيْهِ، فَإِذَا كَانَ فِي بَيْتِهِ وَجَاءَهُ أَحَدٌ فَهُوَ لَا يُدْخِلُهُ حَتَّى يُصْلِحَ مَا فِي بَيْتِهِ وَلَيْسَتْ مَا يَحِبُّ أَنْ يَسْتَرَهُ ثُمَّ يَأْذَنَ لَهُ أَوْ يَخْرُجَ لَهُ فَيُكَلِّمُهُ مِنْ خَارِجِ الْبَابِ، فَلَا بَدَّ إِذِنْ مِنَ الْإِسْتِئْذَانِ قَبْلَ الدُّخُولِ وَالسَّلَامِ خَارِجِ الْبَابِ لِمَعْرِفَةِ الدَّاخِلِ لِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى : حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا، وَتَسْتَأْذِنُوا مِنَ الْإِسْتِئْذَانِ بِمَعْنَى الْإِسْتِعْلَامِ مِنْ آنَسِ الشَّيْءِ إِذَا أَبْصَرَهُ، فَإِنَّ الْمَسْتَأْذِنَ مُسْتَعْلِمًا لِلْحَالِ مُسْتَكْشَفًا أَنَّهُ هَلْ يَرَادُ دُخُولُهُ أَوْ يُؤْذَنُ لَهُ، أَوْ مِنَ الْإِسْتِئْذَانِ الَّذِي هُوَ خِلَافُ الْإِسْتِحَاشِ فَإِنَّ الْمَسْتَأْذِنَ مُسْتَوْحِشًا خَائِفًا أَنْ لَا يُؤْذَنَ لَهُ فَإِذَا لَهُ اسْتَأْذِنَ، أَوْ تَتَعَرَّفُوا هَلْ تَمَّ إِنْسَانٌ مِنَ الْإِنْسَانِ، وَتَسَلَّمُوا عَلَى أَهْلِهَا بِأَنْ تَقُولُوا السَّلَامَ عَلَيْكُمْ أَدْخَلَ. (2)

(1) انظر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 401/4، وانظر الرازي، مفاتيح الغيب، 176/28، مرجع سابق، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 45/17، مرجع سابق، وانظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 420/7، مرجع سابق، وانظر قطب، في ظلال القرآن، 3382/6، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 26/27، مرجع سابق.

(2) انظر الرازي، مفاتيح الغيب 356/23، مرجع سابق، وانظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 398/3، مرجع سابق، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 212/12، مرجع سابق، وانظر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 103/4، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 197/18، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 204/18_205، مرجع سابق.

وكذلك يسن السلام عند الدخول على الأهل والأقارب في البيوت المسكونة، وكذا غير المسكونة،
فيسلم المرء فيها على نفسه. (1)

ثم من السنة الاستئذان ثلاث فإن أذن للمرء وإن لم يؤذن له يرجع، فقد أخرج مسلم قال: حَدَّثَنَا حُسَيْنُ
بْنُ حُرَيْثٍ أَبُو عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا طَلْحَةُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى
الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: جَاءَ أَبُو مُوسَى إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ، فَلَمْ
يَأْذُنْ لَهُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ هَذَا أَبُو مُوسَى، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ هَذَا الْأَشْعَرِيُّ، ثُمَّ انصرفت، فَقَالَ: رُدُّوا
عَلَيَّ رُدُّوا عَلَيَّ، فَجَاءَ فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى مَا رَدَّكَ؟ كُنَّا فِي شُغْلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (الِاسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ، فَإِنْ أُنِزَ لَكَ، وَإِلَّا فَارْجِعْ).²

وكذلك أدب الإسلام الأبناء والأطفال بأدب الاستئذان في الدخول على آباءهم وأمهاتهم داخل البيوت
وعلى غيرهم من باب أولى، فقد صورته القرآن الكريم تصويراً بلاغياً معجزاً ليحدده في أوقات ثلاث
فقط، وما عداها فمجاله مفتوح غير مقيد به في غير ذلك من الأوقات، لأن هذه الأوقات الثلاثة يجنح
الإنسان فيها إلى عدم المكاشفة ويميل إلى التكتم والراحة ويتخفف من ثيابه، ويفضي إلى نفسه بأسرار
لا يحب أن يتطلع عليها غيره أو يستغرق في النوم، فيكره أن يزعبه أحد بالدخول ولو ابنه، ليتجدد
نشاطه بعد ذلك، ويعيد إلى الجسد طاقاته وحيويته، فيباشر أعماله في دأب ونشاط، لذلك كان من
الواجب على الأطفال أن يتأدبوا بأدب الإسلام ويتخلقوا بخلق القرآن الكريم والسنة الشريفة، يقول الله
تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيْسَ عَلَيْكُمُ الدِّينُ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ
مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ
عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوْفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ

(1) انظر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 258/3، مرجع سابق، وانظر الرازي، مفاتيح الغيب،
423/24، مرجع سابق، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 319/12، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور، التحرير
والتنوير، 304/18، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 306/18، مرجع
سابق.

(2) مسلم صحيح مسلم، بابُ الاستئذان، حديث رقم 2154، 1696/3، مرجع سابق.

وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾¹

لقد أمر الله سبحانه وتعالى بأن نرشد أولادنا بنين وبنات الذين لم يصلوا إلى سن البلوغ أن يستأذنوا على أهلهم في ثلاثة أحوال فقال سبحانه أيها المؤمنون والمؤمنات بالله ورسوله يطلب من خدمكم مما ملكت أيمانكم من العبيد والإماء، وأطفالكم الصغار أن يستأذنوكم في ثلاثة أحوال أو أوقات:

الأول: من قبل صلاة الفجر لأنه وقت النوم في الفراش واليقظة من المضاجع وتغيير ثياب النوم وارتداء ثياب اليقظة، ويحتمل انكشاف العورة.

الثاني: حين تخلعون ثياب العمل وتستعدون للنوم وقت الظهيرة أو وقت القيلولة لأن الإنسان قد يضع ثيابه في تلك الحال مع أهله.

الثالث: من بعد صلاة العشاء لأنه وقت خلع ثياب اليقظة، ولبس ثياب النوم.

وَإِنَّمَا خَصَّ هَذِهِ الْأَوْقَاتِ لِأَنَّهَا سَاعَاتُ الْخُلُوةِ وَوَضَعَ الثِّيَابِ قَرِيبًا يَبْدُو مِنَ الْإِنْسَانِ مَا لَا يُحِبُّ أَنْ يَرَاهُ أَحَدٌ، مِنَ الْعَبِيدِ وَالصَّبِيانِ فَأَمَرَهُمْ بِالِاسْتِئْذَانِ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ، وَأَمَّا غَيْرُهُمْ فَلْيَسْتَأْذِنُوا فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ.

ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ لَكُمْ، سُمِّيَتْ هَذِهِ الْأَوْقَاتُ عَوْرَاتٍ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَضَعُ فِيهَا ثِيَابَهُ فَيَبْدُو عَوْرَتَهُ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ، جُنَاحٌ، وَلَا عَلَيْهِمْ، يَعْنِي الْعَبِيدَ وَالْخُدَمَ وَالصَّبِيانَ، جُنَاحٌ فِي الدُّخُولِ عَلَيْكُمْ مِنْ غَيْرِ اسْتِئْذَانٍ، بَعْدَهُنَّ، أَيُّ بَعْدَ هَذِهِ الْأَوْقَاتِ الثَّلَاثَةِ، طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ، أَيُّ الْعَبِيدِ وَالْخُدَمِ يَطُوفُونَ عَلَيْكُمْ فَيَتَرَدَّدُونَ وَيَدْخُلُونَ وَيَخْرُجُونَ فِي أَشْغَالِكُمْ بِغَيْرِ إِذْنٍ، بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ أَيُّ يَطُوفُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ.⁽²⁾

وأما إذا بلغ الأطفال الحلم؛ فيجب عليهم الاستئذان على كل حال في هذه الأوقات الثلاث وغيرها.

المسألة الثانية: الصدق

(1) سورة النور، آية 58-59

(2) انظر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 253/3، مرجع سابق، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 302/12، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 293_291/18، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 296_292/18، مرجع سابق، وانظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 428/3، مرجع سابق.

الصدق: وهو "التزام الحقيقة قولاً وعملاً".⁽¹⁾

الصدق من أعظم الأخلاق، وأكرم الصفات الإنسانية، وهو أساس الإيمان، وبه تظهر الرفعة في الدنيا والآخرة، وبه يتصف الأنبياء، والصالحون من المؤمنين، فأبو بكر الصديق رضي الله عنه سمي صديقاً لأنه صدق النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكذب كذبة في حياته، وبين الله سبحانه وتعالى أنه لا ينجي العبد في الدنيا، ويوم القيامة إلا بالصدق، قال سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽²⁾

قال المفسرون: هذا تصديق لعيسى فيما قال، وذلك أنه كان صادقاً في الدنيا، ولم يقل للنصارى: اتخذوني إلها فنفعه صدقه في الدنيا، وفي الآخرة للصادقين جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً لهم من الله عز وجل على ما كان من صدقهم الذي صدقوا الله فيما وعده، فوفوا به الله، فوفى الله عز وجل لهم ما وعدهم من ثوابه فهم باقون في الجنات التي أعطاهم دائماً، لهم فيها نعيم لا ينتقل عنهم ولا يزول.⁽³⁾

لقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم الوالدين بالتزام الصدق قولاً وعملاً لأنهما قدوة للأبناء في الصدق والأخلاق الحسنة ونهى النبي صلى الله عليه وسلم الوالدين عن الكذب على الأبناء لأن منهم يتعلمون الكذب فالوالدان قدوة في الخير والشر، وهذا ما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المرأة من الكذب على ولدها فقد أخرج أبو داود قال: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَجُلًا، مِنْ مَوَالِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ الْعَدَوِيِّ حَدَّثَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّهُ قَالَ: دَعَانِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ

(1) بنت الجريبة، ليلي بنت عبد الرحمن، كيف تربى ولدك، ص18، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، دط، دت.

(2) سورة المائدة، آية 119.

(3) انظر الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، 244/11، مؤسسة الرسالة، ط1، ت1420 هـ - 2000 م، وانظر الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، 248/2، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، ت1415 هـ - 1994 م، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 6، 379، مرجع سابق.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيَهُ؟) قَالَتْ: أُعْطِيَهُ تَمَرًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكَ كِذْبَةٌ).⁽¹⁾

يقول ابن القيم: "ما أنعم الله على عبد بعد الإسلام بنعمة أفضل من الصدق الذي هو غذاء الإسلام وحياته، ولا ابتلاه ببليّة أعظم من الكذب الذي هو مرض الإسلام وفساده".⁽²⁾

فلازم الصدق في قولك وفعلك لتلحق برتبة الصديقين في الجنة.⁽³⁾

يقول الحق سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾⁽⁴⁾.

أمر تعالى بالصدق بعد هذه الأوصاف، وهو خطاب لجميع المؤمنين يأمر فيه تعالى التزام مذهب الصادقين وسبيلهم وهذه الآية دالة على فضل الصدق، وكمال درجته.

أَنَّه تَعَالَى أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْكَوْنِ مَعَ الصَّادِقِينَ، هذا الأمر بالكون مع أهل الصدق حسن بعد قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة العسرة حيث نفعهم الصدق وذهب بهم عن منازل المنافقين.

قَالَ مُطَرِّفٌ: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ يَقُولُ: قَلَّمَا كَانَ رَجُلٌ صَادِقًا لَا يَكْذِبُ إِلَّا مُتَّعَ بِعَقْلِهِ وَلَمْ يُصِْبْهُ مَا يُصِيبُ غَيْرَهُ مِنَ الْهَرَمِ وَالْخَرَفِ.

كُونُوا مَعَ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا مَعَ الْمُنَافِقِينَ. قَوْمٌ اتَّقُوا اللَّهَ فَصَدَقُوا فِي إِيْمَانِهِمْ وَجِهَادِهِمْ فَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَذَكَرَ قَوْمٌ كَذَبُوا فِي ذَلِكَ وَاخْتَلَفُوا الْمَعَادِيرَ وَحَلَفُوا كَذِبًا فَعَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَقَوْمٌ تَخَلَّفُوا عَنِ الْجِهَادِ وَصَدَقُوا فِي الْإِعْتِرَافِ بِعَدَمِ الْعُدْرِ فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا كَانَ سَبَبُ فَوْزِ الْفَائِزِينَ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ كُلِّهَا هُوَ الصِّدْقُ لَا جَرَمَ أَمَرَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ بِتَقْوَاهُ وَبِأَنْ يَكُونُوا فِي رُؤْمَةِ الصَّادِقِينَ فِي إِيْمَانِهِمْ وَعَهْوَدِهِمْ، أَوْ فِي دِينِ اللهِ نِيَّةً وَقَوْلًا وَعَمَلًا، تَكُونُوا فِي الْآخِرِينَ مَعَ الصَّادِقِينَ فِي الْجَنَّةِ.

(1) سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، باب في التَّشْدِيدِ فِي الْكُذْبِ، حديث رقم 4991، 298/4، مرجع سابق، حكم عليه الألباني وقال حديث حسن، الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، حديث رقم 373/2 748، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، ت 1415 هـ - 1995 م.

(2) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، زاد المعاد في هدي خير العباد، 517/3، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط27، ت1415هـ/1994م.

(3) القحطاني، خطوات إلى السعادة، ص111، مرجع سابق.

(4) سورة التوبة، آية 119.

والصدق: الثبات على دين الله وشرعه، وتنفيذ أوامره، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وأن الصدق في المواقف طريق النجاة والفلاح.⁽¹⁾

بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الصدق سبب النجاة في الدنيا والآخرة فقد أخرج مسلم: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، وَوَكَيْعٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، ح وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا).⁽²⁾

لقد مدح الله سيدنا إسماعيل لأنه كان صادق الوعد وصدق الوعد هذا نوع من أنواع الصدق، قال تعالى: ﴿وَإِذْ ذُكِّرُوا فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾.⁽³⁾

واذكر يا محمد في القرآن الكريم، هذا النبي العظيم، الذي خرج منه الشعب العربي، أفضل الشعوب وأجلها، وهو إسماعيل بن إبراهيم، فاقصص خبره إنه كان لا يكذب وعده، ولا يخلف، فكان إذا وعد ربه، أو عبداً من عباده وعداً وفى به ولهذا لما وعد من نفسه الصبر على ذبح أبيه له وقال: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ وفى بذلك، ومكن أباه من الذبح، الذي هو أكبر مصيبة تصيب الإنسان، وهذا أعظم وعد صدقه، وَخَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِصِدْقِ الْوَعْدِ وَإِنْ كَانَ مُوجُودًا فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ تَشْرِيفًا لَهُ وَإِكْرَامًا، ولأن هذه الصفة كانت بارزة في إسماعيل بدرجة تستدعي إبرازها والتتويه بها بشكل خاص، وَتَرَكَهَا خُلْفًا فِي ذُرِّيَّتِهِ.⁽⁴⁾

(1) انظر ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، 95/3، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، ت1422 هـ، وانظر الرازي، مفاتيح الغيب، 166/16، مرجع سابق، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 288/8، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 54/11، مرجع سابق

(2) مسلم صحيح مسلم بابُ فُبِحِ الْكَذِبِ وَحُسْنِ الصِّدْقِ وَفَضْلِهِ، حديث رقم 2607، 2013/4، مرجع سابق.

(3) سورة مريم آية 54.

(4) انظر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 496، مرجع سابق، وانظر قطب، في ظلال القرآن، 2313/4، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور التحرير والتنوير 129/16، مرجع سابق، وانظر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 211/18، مرجع سابق، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 114/11، مرجع سابق.

المسألة الثالثة: الصبر

الصَّبْرُ: وهو حبس النفس على المكروه وإيجاد العزيمة على احتمال المشاق في أعمال الخير.¹ وهو أنواع ثلاثة وهي: أولاً: الصبر على الطاعة، ثانياً: الصبر على أقدار الله تعالى، ثالثاً: الصبر عن المعصية.

أوصى لقمان ابنه بالصبر؛ لِأَنَّ الصَّبْرَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِ، وَسِمَةٌ مِنْ سِمَاتِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْأَجْرِ الْعَظِيمِ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.⁽²⁾

وقال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.⁽³⁾

الصبر على الأذى والشدائد والأوامر الإلهية، فإن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر يؤدي عادة، فطلب منه الصبر، ولأن الصبر أساس المداومة على الطاعات، وعماد رضوان الله، فقال له: واصبر على ما أصابك من الناس في ذات الله، إذا أنت أمرتهم بالمعروف، ونهيتهم عن المنكر، ولا يصدنك عن ذلك ما نالك منهم، إن ذلك مما أمر الله به من الأمور عزمًا منه.⁽⁴⁾

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.⁽⁵⁾

إن كل من يتقي الله حق التقوى فيما أمر به فيراقبه بأداء فرائضه وفيما نهى باجتناب معاصيه=ويصبر، يقول: ويكف نفسه، فيحبسها عما حرم الله عليه من قول أو عمل وعند مصيبة نزلت به من الله، ويصبر على طاعة الله وعلى المحن التي يتعرض لها، فإن الله حسبه وكافيته من كل

(1) المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، 107/1، مكتبة مصطفى

البابي الحلبي - مصر، ط3، ت1388 هـ - 1968 م

(2) سورة الزمر، آية 10.

(3) سورة لقمان آية 17.

(4) انظر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 142/20، مرجع سابق، وانظر الزمخشري، الكشاف عن حقائق

غوامض التنزيل، 496/3، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 165/21، مرجع سابق، وانظر

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 68/14، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،

150/21، مرجع سابق.

(5) سورة يوسف آية 90.

سوء، ومنجيه من كل مكروه، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا في الدنيا والآخرة، فإن الله لا يُبطل ثواب إحسانه وجزاء طاعته إِيَّاه فيما أمره ونهاه.⁽¹⁾

وبالتالي ومن هنا فعلينا أن نربي الأبناء والذريات على الصبر لما فيه صلاحهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة.

المسألة الرابعة: الخوف من الله

إن الخوف من الله: فرض من الله تَعَالَى عَلَى عباده قال تعالى: ﴿وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١٧٥) وَقَالَ ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ﴾^(١٥١).⁽²⁾

الرُّهْبُ وَالرَّهْبُ وَالرَّهْبَةُ الْخَوْفُ، وَخَافُونَ : أمرهم بخشية الله وحده وَأَنَّ الْمَرْءَ يَجِبُ أَنْ لَا يَخَافَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ تَعَالَى، وَلَا تَخَافُوا أَحَدًا سِوَى اللَّهِ فَهُوَ بِيَدِهِ الْخَيْرُ كُلَّهُ.⁽³⁾

** إن الخوف من الله تعالى صفات الأبرار كما قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ هُمْ مِنَ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾^(٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ^(٢٨).⁽⁴⁾

وَالْإِشْفَاقُ يَكُونُ مِنْ أَمْرَيْنِ، إِمَّا الْخَوْفُ مِنْ تَرْكِ الْوَاجِبَاتِ أَوْ الْخَوْفُ مِنَ الْإِقْدَامِ عَلَى الْمَحْظُورَاتِ، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى أَكَّدَ ذَلِكَ الْخَوْفَ، {إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ}، وَالْمُرَادُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُمْكِنُهُ الْقَطْعُ بِأَنَّهُ أَدَى الْوَاجِبَاتِ كَمَا يَنْبَغِي، وَاحْتَرَزَ عَنِ الْمَحْظُورَاتِ بِالْكُلِّيَّةِ، بَلْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَدْ وَقَعَ مِنْهُ تَقْصِيرٌ فِي شَيْءٍ

(1) انظر البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، 207/10، وانظر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 244/16، مرجع سابق، وانظر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 502/2، مرجع سابق، وانظر الرازي، مفاتيح الغيب، 505/18، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 49/13، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 57/13، مرجع سابق.

(2) سورة البقرة آية 40.

(3) انظر الرازي، مفاتيح الغيب، 482/3، مرجع سابق، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 332/1، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 151_150/1، مرجع سابق، وانظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 87/1، مرجع سابق.

(4) سورة المعارج، الآيات 26_28.

مِنْ ذَلِكَ، فَلَا جَزَمَ يَكُونُ خَائِفًا أَبَدًا لِأَنَّ عَذَابَ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَأْمَنُهُ أَحَدٌ، بَلِ الْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَخَافَهُ وَيُشْفِقَ مِنْهُ إِلَّا بِأَمَانٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.⁽¹⁾

** إنَّ الخوف أنواع: فهناك خوف من أمور الدنيا : مثل الخوف من الفقر أو الموت أو المستقبل، أو الخوف من أذى الناس والمرض والمجهول، والخوف الآخر هو الخوف من الله تعالى، ويكون ذلك بتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه، وترك معاصيه.

والخوف من الله أصل كل خير في الدنيا والآخرة فهو سبب لحفظ الإنسان ونصره وهدايته وتوفيقه.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ۗ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾⁽²⁾.

فَإِذَا سَوَّلَ لَكُمْ وَأَوْهَمَكُمْ فَتَوَكَّلُوا عَلَيَّ وَالْجِوْءَا إِلَيَّ، فَأَنَا كَافِيكُمْ وَنَاصِرُكُمْ عَلَيْهِمْ.

إنَّ الإيمان يقتضى أن تؤثروا خوف الله على خوف الناس ولا تخافوا أولياء الشيطان وأنصاره، لأن الخوف يجب أن يكون من الله فقط، لا من الأعداء، وأن أولياء الله لا يخافون الشيطان إذا خوفهم، وإنما يخوف أولياءه المنافقين، ليقعدوا عن قتال المشركين، فالإيمان الصادق يحمل صاحبه على الخوف من الله وحده، وقد مدح الله المؤمنين بالخوف، لما مدحهم بكثرة الطاعة والخضوع لله، مدحهم بالخوف من الله، فقد قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾⁽³⁾ أي وجوب الخوف من الله وحده، وأنه من لوازم الإيمان، فعلى قدر إيمان العبد يكون خوفه من الله، والخوف المحمود: ما حجز العبد عن محارم الله.⁽³⁾

يجب على الآباء أن يلزموا أبنائهم الخوف من الله والعمل لإرضائه وتجنب سخطه وترك المعاصي، وصحبة الأشرار، لأن في ذلك صلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة وقد كان صلى الله عليه وسلم أخوف الناس من الله، وكان يصلي ويدوم العبادة، ويصوم، ويقرأ القرآن، ويستغفر ربه، ويدعوه، وهذه

(1) انظر الرازي، مفاتيح الغيب، 645/30، مرجع سابق، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 291/18، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 172/29، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 123/29، مرجع سابق.

(2) سورة آل عمران، آية 175.

(3) انظر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 157، مرجع سابق، وانظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم، 172/2، مرجع سابق، وانظر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 443/1، مرجع سابق، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 283/4، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 173_172/4، مرجع سابق.

هي صفات القدوة كما تمثلت في النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبهذه الصفات الجامعة استطاع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يغرّس القيم الإسلامية في نفوس أصحابه، وهذه الصفات يجب أن نغرّسها في نفوسنا ونفوس أبنائنا ليتحقق لنا سعادتهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة.

المسألة الخامسة: الوفاء بالعهد

الوفاء بالعهد من خُلق الأنبياء، ومن صفات المؤمنين ولذلك أوجب الله تعالى الوفاء بالعهد: وهو يشمل كل حقوق الله وفرائضه وحقوق العباد، وحرّم نقض المواثيق الإلهية والبشرية، فإذا عقد الإنسان عهدا في طاعة الله، أو مع الناس، لم يجز نقضه.

أمر الله سبحانه بالوفاء بالعهد وحرّم نقضها حيث قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (1).

وأوفوا بعهد الله، وذلك بإنجازه وتنفيذه، وإطاعة الله فيما أمر ونهى، والعمل بكتاب الله وسنة رسوله وأوفوا بميثاق الله إذا واثقتموه، وعقده إذا عاقدتموه، فأوجبتم به على أنفسكم حقا لمن عاقدتموه به وواثقتموه عليه، والعهد: لَفْظٌ عَامٌّ لِجَمِيعِ مَا يُعْقَدُ بِاللِّسَانِ ويلتزمه الإنسان من بيع أو صلة أو موثقة في أمر موافق للديانة، ولا تخالفوا الأمر الذي عقدتم فيه الأيمان، يعني بعد ما شددتم الأيمان على أنفسكم، فتحنثوا في أيمانكم وتكذبوا فيها وتنقضوها بعد إبرامها، وقد جعلتم الله بالوفاء بما تعاقدتم عليه على أنفسكم راعياً يرعى الموفى منكم بعهد الله الذي عاهد على الوفاء به والناقض، والوفاء بالعهد هو الضمان لبقاء عنصر الثقة في التعامل بين الناس، وبدون هذه الثقة لا يقوم مجتمع، ولا تقوم إنسانية. (2)

(1) سورة النحل آية 91.

(2) انظر الطبري جامع البيان في تأويل القرآن، 281/17، مرجع سابق، وانظر الرازي، مفاتيح الغيب، 263/20_264، مرجع سابق، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 169/10، مرجع سابق، وانظر قطب، في ظلال القرآن، 2191/4، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور، التحرير و التتوير، 262/14، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 219/14، مرجع سابق.

وقد بين الله سبحانه أن الوفاء بالعهد من صفات المؤمنين المخلصين قال تعالى ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ (1).

عليكم بوفاء العهد، ولا تنقضوا هذا الميثاق، وهذا من صفة ذوي الألباب، الذين يوفون بعهد الله، بما أمرهم الله تعالى به وفرضه عليهم فلا يخالفونه، ولا ينقضون الميثاق. وعهد الله مطلق يشمل كل عهد، وميثاق الله مطلق يشمل كل ميثاق. والعهد الأكبر الذي تقوم عليه العهود كلها هو عهد الإيمان والميثاق الأكبر الذي تتجمع عليه المواثيق كلها هو ميثاق الوفاء بمقتضيات هذا الإيمان.

وعهد الإيمان قديم وجديد قديم مع الفطرة البشرية المتصلة بناموس الوجود كله المدركة إدراكاً مباشراً لوحدة الإرادة التي صدر عنها الوجود، ووحدة الخالق صاحب الإرادة، وأنه وحده المعبود، وهو الميثاق المأخوذ على الذرية في ظهور بني آدم فيما ارتضيناه لها من تفسير، ثم هو جديد مع الرسل الذين بعثهم الله لا لينشئوا عهد الإيمان ولكن ليجددوه ويذكروا به ويفصلوه، ويبينوا مقتضياته من الدينونة لله وحده والانخلاع من الدينونة لسواه، مع العمل الصالح والسلوك القويم، والتوجه به إلى الله وحده صاحب الميثاق القديم، ثم تترتب على العهد الإلهي والميثاق الرباني كل العهود والمواثيق مع البشر، سواء مع الرسول أو مع الناس.

ذوي قرابة أو أجنب، أفراداً أم جماعات، فالذي يرضى العهد الأول يرضى سائر العهود، لأن رعايتها فريضة والذي ينهض بتكاليف الميثاق الأول يؤدي كل ما هو مطلوب منه للناس، لأن هذا داخل في تكاليف الميثاق. (2)

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الوفاء بالعهد من الإيمان وأن من يخلف العهد ليس بمؤمن، وهو من المنافقين.

أخرج ابن حبان: أَخْبَرَنَا أَبُو يَعْلَى حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْبَرَّازِيُّ حَدَّثَنَا مُؤَمَّلُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ فِي الْخُطْبَةِ:

(1) سورة الرعد الآية 20.

(2) انظر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 419/16، مرجع سابق، وانظر البيهقي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 15/3، مرجع سابق، وانظر الرازي، مفاتيح الغيب، 33/19، مرجع سابق، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 307/9، مرجع سابق، وانظر قطب، في ظلال القرآن، 2057/4، مرجع سابق.

(لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ).⁽¹⁾

وأخرج البخاري: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ أَبُو الرَّبِيعِ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ أَبُو سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ).⁽²⁾

فلذلك يجب أن يحرص الآباء أن يعلموا أبناءهم الوفاء بالعهد وأن يكونوا أوفياء معهم ويعلموهم عقوبة الخلف بالعهد.

فإذا وعد الوالد أو الوالدة أحدا من أبنائهما وعداً يجب أن يتمه ويفي به، وإن حال بينه وبين إتمامه حائل اعتذر من الولد.

المسألة السادسة: العدل

أمر الله سبحانه وتعالى العدل بين الأبناء في كل شيء، وعدم تفضيل أي من الأبناء على الآخر، فأمر بالعدل في العطية والطعمة والكسوة والنظرة حتى في القبلة لما يترتب على ذلك من خير أو شر، ومن صلاح للأبناء أو فساد أو يترتب عليه من بر أو عقوق.

قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.⁽³⁾

إن الله يأمر في هذا الكتاب الذي أنزله إليك يا محمد بالعدل، وهو الإنصاف، يعني بالعدل في الأفعال، والإحسان في الأقوال، فلا يفعل إلا ما هو عدل، ولا يقول إلا ما هو حسن، و«العدل» هو فعل كل مفروض من عقائد وشرائع وسير مع الناس في أداء الأمانات، وترك الظلم، والإنصاف وإعطاء الحق، والإحسان هو فعل كل مندوب إليه، فمن الأشياء ما هو كله مندوب إليه، ومنها ما هو فرض، إلا أن حد الاجزاء منه داخل في العدل، والتكميل الزائد على حد الاجزاء داخل في الإحسان،

(1) الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان باب فرض الإيمان، حديث رقم 194، 276/1، حكم الألباني: صحيح.

دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، ط1، ت1424 هـ - 2003 م

(2) البخاري، صحيح البخاري، بابُ عَلَامَةِ الْمُنَافِقِ، حديث رقم 33، 16/1، مرجع سابق.

(3) سورة النحل الآية 90.

«بِالْعَدْلِ» الذي يكفل لكل فرد ولكل جماعة ولكل قوم قاعدة ثابتة للتعامل، لا تميل مع الهوى، ولا تتأثر بالود والبغض، ولا تتبدل مجارة للصرح والنسب، والغنى والفقر، والقوة والضعف، إنما تمضي في طريقها تكيل بمكيال واحد للجميع، وتزن بميزان واحد للجميع.⁽¹⁾

قال تعالى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.⁽²⁾

أَمْرُهُم بِالْعَدْلِ وَالصِّدْقِ فِي أَفْعَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ، والعدل أقرب إلى التقوى، وأدخل في مناسبتها، أو أقرب إلى التقوى لكونه لطفا فيها.⁽³⁾

لقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالعدل بين الأبناء في كل شيء ومن ذلك أمر بالعدل في الهبات التي تعطى للأولاد، فقد أخرج البخاري: حَدَّثَنَا حَامِدُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ حُصَيْنِ، عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَهُوَ عَلَى الْمُنْبَرِ يَقُولُ: أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةَ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي أُعْطِيتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرْتَنِي أَنْ أَشْهَدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (أَعْطِيتُ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟)، قَالَ: لَا، قَالَ: (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ)، قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ.⁽⁴⁾

(1) انظر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 279/17، مرجع سابق، وانظر الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، 79/3، مرجع سابق، وانظر ابن عطية، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، 415/3، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، ت1422 هـ، وانظر قطب، في ظلال القرآن، 2190/4، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 255_254/14، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 217/14، مرجع سابق.

(2) سورة المائدة الآية 8.

(3) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 96/10، مرجع سابق، وانظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 28/2، مرجع سابق، وانظر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 613/1، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 36/26، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 118/6، مرجع سابق.

(4) البخاري، صحيح البخاري، باب الإشهاد في الهبة، حديث رقم 2587، 158/3، مرجع سابق.

** يجب على الوالدين العدل بين الأولاد حتى تسلم الأسرة من الغيرة والحسد والعقوق: قال تعالى ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْنَا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾﴾ (1).

قال إخوة يوسف: إن أبانا يحب يوسف وأخاه أكثر منا، فهذا حيفٌ ظاهر، وهو في ضلال إذ يؤثر غلاماً وصبيّاً صغيرين على مجموعة الرجال النافعين الدافعين! ثم يغلي الحقد ويدخل الشيطان، فيختل تقديرهم للوقائع، وتتضخم في حسهم أشياء صغيرة، وتهون أحداث ضخام، تهون الفعلة الشنعاء المتمثلة في إزهاق روح، روح غلام بريء لا يملك دفعاً عن نفسه، وهو لهم أخ، وهم أبناء نبي وإن لم يكونوا هم أنبياء يهون هذا، وتضخم في أعينهم حكاية إيثار أبيهم له بالحب، حتى توازي القتل، أكبر جرائم الأرض قاطبة بعد الشرك بالله:

«أَقْتُلُوا يُوسُفَ. أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا»، ثم ذكر الله تعالى مؤامرتهم بقوله: اقتلوا.. أي ومما قالوا، أي قال بعض إخوة يوسف لبعض: اقتلوا يوسف حسما للمشكلة، أو انبذوه في أرض مجهولة عن العمران، فلا يستطيع الرجوع إلى أبيه، فإن فعلتم ذلك تستريحوا منه، ويصف لكم وجه أبيكم، وتخلوا أنتم مع أبيكم، والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركونهم فيها وينازعونهم إياها، وتكونوا من بعد يوسف أو بعد قتله أو طرحه أرضا قوماً تائبين إلى الله مما جنيتم عليه، أو يصلح ما بينكم وبين أبيكم بعذر تمهدونه، أو تصلح دنياكم وتنتظم أموركم بعده، بخلو وجه أبيكم، فيرضى عنكم ربكم وأبوكم.

وَالسَّبَبِ الَّذِي لِأَجْلِهِ قَصَدُوا إِبْدَاءَ يُوسُفَ، وَذَلِكَ أَنَّ يَعْقُوبَ كَانَ يُفَضِّلُ يُوسُفَ وَأَخَاهُ عَلَى سَائِرِ الْأَوْلَادِ فِي الْحُبِّ وَأَنَّهُمْ تَأَدُّوا مِنْهُ لَوَجُوهِ: الْأَوَّلُ: أَنَّهُمْ كَانُوا أَكْبَرَ سِنًا مِنْهُمَا. وَثَانِيهَا: أَنَّهُمْ كَانُوا أَكْثَرَ قُوَّةً وَأَكْثَرَ قِيَامًا بِمَصَالِحِ الْأَبِ مِنْهُمَا. وَثَالِثُهَا: أَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّا نَحْنُ الْقَائِمُونَ بِدَفْعِ الْمَفَاسِدِ وَالْآفَاتِ، وَالْمُسْتَعْلُونَ بِتَحْصِيلِ الْمَنَافِعِ وَالْحَيْرَاتِ.

روي أنه كان أحب إليه لما يرى فيه من الصفات الفاضلة، وكان إخوته يحسدونه، فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه، فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له.

(1) سورة يوسف، الآية 8_9.

أخرج البخاري قال: حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي).¹

الجليس والصاحب الصالح يحفظ صاحبه في غيبته، ويظهر الود له إذا حضر، ويقربه من ربه ويهديه للخير، ويذكره إذا نسي، ولا يسمع منه إلا قولاً طيباً وفعلاً حسناً، وهذا ما دعا إليه القرآن في مجالسة الصالحين، وصحبهم فقد قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِيَّةِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا ۗ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنِ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۝﴾.⁽²⁾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه، ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه، ويسألونه بكرة وعشيّاً ويطيعون بالأعمال الصالحة من الصلوات المفروضة وغيرها من عباد الله، سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء يريدون بفعلهم ذلك وجه الله تعالى وطاعته ولا يريدون عرضاً من عرض الدنيا.

ولا تعد عينك عنهم ولا يجاوزهم نظرك إلى غيرهم، ولا تطع من جعلنا قلبه غافلاً. فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل فلينظر هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين؟ وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي؟ فإن كان الحاكم عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة، فإن الله سبحانه وتعالى نهى عن طاعة من جمع هذه الصفات. فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه وقدوته ومتبوعه، فإن وجده كذلك فليبعد منه وإن وجده ممن غلب عليه ذكر الله تعالى عز وجل واتباع السنة، وأمره غير مفروط عليه، بل هو حازم في أمره فليستمسك بعرزته.⁽³⁾

فالواجب الإكثار من مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والبعد عن أهل السوء والمعاصي لأن لهم تأثيراً على جلسائهم فقد أخرج أبو داود: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ

(1) البخاري، صحيح البخاري، باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا)، حديث رقم 3656، 4/5، مرجع سابق.

(2) سورة الكهف، آية 28.

(3) انظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم، 152/5، مرجع سابق، وانظر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 5/18، مرجع سابق، وانظر الرازي، مفاتيح الغيب، 456/21، مرجع سابق، وانظر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 279/3، مرجع سابق، وانظر ابن قيم الجوزية، تفسير القرآن الكريم، 366/1، مرجع سابق،

بشار، حدّثنا أبو عامرٍ وأبو داود، قالوا: حدّثنا زهيرُ بنُ محمدٍ، حدّثني موسى بن وِزْدَانَ عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ).⁽¹⁾

لقد نهى القرآن عن مجالسة، ومصاحبة أهل السوء لأن لجليس السوء تأثيراً على صاحبه في دينه، وسلوكه، وأخلاقه، وطموحاته وأن صاحب يندم على مجالسة صاحبه السيئ يوم القيامة فقد قال تعالى ﴿يَوْمَ لَيْتَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾⁽²⁾ يقول جلّ ثناؤه مخبراً عن هذا النادم على ما سلف منه في الدنيا، من معصية ربه في طاعة خليله: لقد أضلني عن الإيمان بالقرآن، وهو الذكر، بعد إذ جاءني من عند الله، فصدّني عنه.⁽³⁾

وهذا واجب للأبناء على آبائهم أن يحثوهم على اختيار الصديق واختيار الجليس واختيار الأئیس، ويبينوا لهم المنافع في الدنيا والآخرة من وراء مجالسة الصالحين ومصادقتهم وبين مخاطر أصدقاء السوء وجلساء السوء.⁽⁴⁾

وقد بين القرآن الكريم أن الأصحاب أعداء لبعضهم البعض إلا ما كان لله وعلى تقوى فقد قال تعالى: ﴿الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾.⁽⁵⁾

كُلُّ صِدَاقَةٍ وَصَحَابَةٍ لِعَیْرِ اللَّهِ فَإِنَّهَا تَنْقَلِبُ یَوْمَ الْقِیَامَةِ عَدَاوَةً إِلَّا مَا كَانَ لِلَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّهُ دَائِمٌ بِدَوَامِهِ، وَالْأَصْدِقَاءُ فِي الدُّنْيَا الْمُتَحَابُونَ فِيهَا یُعَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا یَوْمَ الْقِیَامَةِ فَهَم مَخْتَالُونَ عَلَى الْكُفْرِ

(1) أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمّد كامل قره بللي، باب مَنْ يُؤْمَرُ أَنْ يُجَالِسَ حَدِيثِ رَقْم 4833، 204/7، دار الرسالة العالمية، ط1، ت1430 هـ - 2009 م، قال أبو داود إسناده حسن.

(2) سورة الفرقان الآية 28، 29.

(3) انظر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 375/13، مرجع سابق، وانظر سيد قطب في ظلال القرآن، 2560/5، مرجع سابق، وانظر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 263/19، مرجع سابق، وانظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 444_443/3، مرجع سابق، وانظر الرازي، مفاتيح الغيب، 455/24، مرجع سابق، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 26/13، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 54_52/19، مرجع سابق.

(4) انظر القحطاني، خطوات إلى السعادة، ص100، 103، مرجع سابق.

(5) سورة الزخرف، الآية 67.

والتكذيب ومعصية الله، ولأن خلتهم ومحبتهم في الدنيا لغير الله، فانقلبت يوم القيامة عداوة إلا المتقين فإن صداقاتهم تستمر في الآخرة.⁽¹⁾

وتتجلى الصحبة اليوم أكثر في محاضن التربية المقصودة ومنها رياض الأطفال والمدارس والجامعات ومراكز الترفيه وغيرها فينبغي على الآباء حسن اختيار البيئة التي سيكون فيها أبنائهم.

المسألة الثامنة: الرفق في المعاملة

إن العلاقات الأسرية بين الآباء والأبناء، يجب أن يسودها الرفق واللين؛ للمحافظة على تماسك وبنیان الأسرة المسلمة وصفاء أجوائها، والرفق في المعاملة مع الأبناء يكون بالإحسان إلى صغيرهم والتجاوز عن هفواتهم وعض البصر عن زلاتهم، ومعاملتهم بين الشدة واللين، لأن الأبناء أولى الناس بالمودة والعطف والرحمة، ولأن ذلك يؤدي إلى صلاحهم.

إن الله سبحانه وتعالى أمر الرفق في الخطاب، واجتناب الكلمات الجافية، لما له الأثر القوي في تأليف القلوب، وإصغاء الأسماع لما يريد المتكلم قوله؛ ولهذا أمر الله سبحانه وتعالى موسى وأخاه هارون حين بعثهما إلى أشد طغاة الأرض بليين الكلام؛ وعلل ذلك لهما فقال سبحانه: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْتَشِرُ﴾².

فهذا الرفق في الخطاب واجتناب الكلمات النابية والجارحة والسيئة يجب أن يكون من باب أولى مع الأبناء لأن الآباء يرجون صلاحهم ونفعهم ولأن الرفق واللين وعدم الشدة تُدْعِنُ له الأرواح، وتتقأ له القلوب، وتخضع له النفوس، لذلك قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْتَشِرُ﴾⁽³⁾.

(1) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 237/7 وانظر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ص769، مرجع سابق، وانظر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 637/21، مرجع سابق، وانظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 168/4، مرجع سابق، وانظر الرازي، مفاتيح الغيب، 641/27، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير 252/25، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 182/25، مرجع سابق.

(2) سورة طه آية 44.

(3) سورة طه آية 44.

يقول الله سبحانه وتعالى مخاطباً سيدنا موسى وهارون عليهما السلام عندما أرسلهما لدعوة فرعون وهو طاغية: فقولا لفرعون قولاً ليّناً، ذُكر أن القول اللين الذي أمرهما الله أن يقوله له، هو أن يكنياه، والدعوة في لين من القول، قولاً سهلاً لطيفاً، برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فحش ولا صلف، ولا غلظة في المقال، أو فظاظة في الأفعال وقوله لَعَلَّهُ معناه على رجائكما وطمعكما فالتوقع فيها إنما هو راجع إلى جهة البشر أَمَرَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى بِالرَّفْقِ مَعَ فِرْعَوْنَ مَعَ جَلَالَتِهِمَا وَنَهَايَةَ كُفْرِ فِرْعَوْنَ وَتَمَرُّدِهِ وَعُتُوَّهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فإن القول اللين داع لذلك، والقول الغليظ منفر عن صاحبه.⁽¹⁾

أخرج مسلم قال: حَدَّثَنَا حَزْمَةُ بْنُ يَحْيَى التُّجِيبِيُّ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي حَيُّوَةُ، حَدَّثَنِي ابْنُ الْهَادِ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ، عَنْ عَمْرَةَ يَعْنِي بِنْتَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (يَا عَائِشَةُ) إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ).²

وأخرج مسلم قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ سُفْيَانَ، حَدَّثَنَا مَنْصُورٌ، عَنْ تَمِيمِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ جَرِيرٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (مَنْ يُحْرِمِ الرَّفْقَ، يُحْرِمِ الْخَيْرَ).³

لذلك يجب على الآباء أن يعاملوا أبناءهم برفق ولين ويبعدوا عن العنف والفظاظة في الفعل والقول، وعليهم كذلك أن يكونوا حكماء مع الأبناء فيعاملونهم بين الشدة واللين فيستخدمون الشدة في المواقف التي تتطلب منهم الشدة لا من أجل الشدة ولكن من أجل تربيتهم وتوجيههم وصلحهم، ويستخدمون اللين في المواقف التي تتطلب منهم اللين.

⁽¹⁾ انظر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 506، مرجع سابق، وانظر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 313/18، مرجع سابق، وانظر ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 46/4، مرجع سابق، وانظر الرازي، مفاتيح الغيب، 589/3، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 215/16، مرجع سابق.

⁽²⁾ مسلم صحيح مسلم، بابُ فَضْلِ الرَّفْقِ، حديث رقم 2593، 2003/4، مرجع سابق.

⁽³⁾ مسلم، صحيح مسلم، بابُ فَضْلِ الرَّفْقِ، حديث رقم 2592، 2003/4، مرجع سابق.

المطلب الخامس: اجتناب الشهوات

إن اجتناب الشهوات والمعاصي هو سبيل الصلاح والسعادة والفلاح، وذلك لأن الشهوات والمعاصي سبب كل فساد، وكل شر في الدنيا والآخرة، فلذلك أخبر الله سبحانه وتعالى أن المعاصي سبب العذاب ودخول النار.

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾﴾. (1)

لَمَّا وَصَفَ اللهُ سبحانه وتعالى الأنبياءَ بِصِفَاتِ الْمَدْحِ تَرْغِيبًا لَنَا فِي النَّاسِي بِطَرِيقَتِهِمْ ذَكَرَ بَعْدَهُمْ مَنْ هُوَ بِالضَّدِّ مِنْهُمْ فَقَالَ: فجاء خلف سوء من بعد أولئك السعداء وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم القائمون بحدود الله وأوامره، المؤدون فرائض الله، التاركون لزواجه، أولئك الخلف يدعون الإيمان واتباع الأنبياء، وهم مخالفون مقصرون كاليهود والنصارى وفساق المسلمين الذين تركوا الصلاة المفروضة عليهم، وآثروا شهواتهم من المحرمات على طاعة الله، فاقترفوا الزنى، وشربوا الخمر، وشهدوا شهادة الزور، ولعبوا الميسر، ورضوا بالحياة الدنيا، واطمأنوا بها، فهؤلاء جزاؤهم أنهم سيلقون غيا، أي شرا وخيبة وخسارا يوم القيامة، لارتكابهم المعاصي، وإهمال الواجبات لكن من تاب مما فرط منه من ترك الصلوات، واتباع الشهوات، فرجع إلى طاعة الله وآمن به وعمل عملا صالحا، فأولئك يدخلهم ربهم الجنة، ويغفر لهم ذنوبهم لأن التوبة تجب ما قبلها، وأولئك أيضا لا ينقص من أجورهم شيء، وإن كان العمل قليلا لأن أعمالهم السابقة ذهبت هدرًا، وصارت منسية، تفضلا ورحمة من الله الكريم اللطيف الحليم. (2)

(1) سورة مريم الآية 58_60.

(2) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 123/11، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 135/16، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 135_131/16 مرجع سابق، وانظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 239/3، مرجع سابق، وانظر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 25/3، مرجع سابق، وانظر الرازي، مفاتيح الغيب، 552_550/21، مرجع سابق.

ويلاحظ: أن في الآية قال: {خَلْفُ} وذلك لأن هنالك فرق في المعنى بين خَلْفٍ، وخَلْفٍ، وذلك أن خَلْفٍ: تعني الذرية الصالحة أما خَلْفٍ: فهي العقب السيء. فقد جاء عند ابن منظور قال: والخَلْفُ: الولدُ الصَّالِحُ يَبْقَى بَعْدَ الْإِنْسَانِ، وَالْخَلْفُ وَالْخَالِفَةُ: الطَّالِحُ. فلما كان الكلام عن الأنبياء قال: خَلْفٍ ومن يكون على طريقهم يسمى خَلْفٍ أيضاً. ولما تكلم عن الذين ضيعوا الصلاة وهم الطالحن السيؤون قال خَلْفٍ فقد قال تعالى: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا}.¹ لأنهم إِذَا أَضَاعُوا الصَّلَاةَ فَهُمْ خَلْفٌ سُوءٌ لَا مَحَالَةَ.²

وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الشهوات والمعاصي سبب دخول النار حيث أخرج مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، وَحُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (حُقَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُقَّتِ النَّارُ بِالشَّهْوَاتِ).³

حُقَّتِ النَّارُ بِالشَّهْوَاتِ: ما استدارَ وأَحْدَقَ بالنَّارِ من الشهوات، وهي عبارة عن الدنيا ومستلذاتها ومرادات النفس، كشرب الخمر والزنا وغير ذلك من المحرّمات الشرعية، فإن النفوس مائلةٌ إليها طبعاً، والشيطانُ مساعدٌ لها طوعاً.⁴

قال تعالى: {زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهْوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمَسُومَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ}.⁽⁵⁾

يخبر الله سبحانه و تعالى أنه زَيْنٌ للناس حب الشهوات الدنيوية، وخص هذه الأمور المذكورة؛ لأنها أعظم شهوات الدنيا وغيرها تبع لها، وهذه هي التي يحدث فيها الإفراط أو المغالاة أو التي تكون سببا للتفريط في الواجبات الدينية، بما فيها من الدواعي المثيرات، تعلقت بها نفوسهم ومالت إليها قلوبهم، فإن قصدت ضمن الحدود المعتدلة المعقولة لم تكن وبالأعلى صاحبها، وقد تكون سببا للثواب وزيادة

(1) سورة مريم آية 59.

(2) انظر ابن منظور لسان العرب، فصل الخاء المعجمة، 84/9، مرجع سابق.

(3) مسلم صحيح مسلم، باب كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةَ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، حديث رقم 2822، 2174/4، مرجع سابق.

(4) الزَّيْدَانِيُّ، الحسين بن محمود بن الحسن، المفاتيح في شرح المصابيح، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين

بإشراف: نور الدين طالب، 43/6، دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية - وزارة الأوقاف الكويتية،

ط1، ت1433 هـ - 2012 م

(5) سورة آل عمران، الآية 14.

الأجرة إن قصد بها الخير، والصون والعفاف وتسخيرها في سبيل الله ومرضاته فعندما زينت لهم هذه المذكورات وانقسموا بحسب الواقع إلى قسمين:

القسم الأول: جعلوها هي المقصود، فصارت أفكارهم وخواطرهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة لها، فشغلتهم عما خلقوا لأجله، وصحبوها صحبة البهائم السائمة، يتمتعون بلذاتها ويتناولون شهواتها، ولا يبالون على أي وجه حصلوها، ولا فيما أنفقوها وصرفوها، فهؤلاء كانت زاداً لهم إلى دار الشقاء والعناء والعذاب.

والقسم الثاني: عرفوا المقصود منها وأن الله جعلها ابتلاء وامتحاناً لعباده، ليعلم من يقدم طاعته ومرضاته على لذاته وشهواته، فجعلوها وسيلة لهم وطريقاً يتزودون منها لآخرتهم ويتمتعون بما يتمتعون به على وجه الاستعانة به على مرضاته، قد صحبتها بأبدانهم وفارقوها بقلوبهم، وعلموا أنها كما قال الله فيها {ذلك متاع الحياة الدنيا} فجعلوها معبراً إلى الدار الآخرة ومتجراً يرجون بها الفوائد الفاخرة، فهؤلاء صارت لهم زاداً إلى ربهم.

ثم بين الله تعالى أن هذه الشهوات: ما يتمتع به فيها ثم يذهب ولا يبقى، على تزهيد الناس في الدنيا وتحقيرها، والترغيب في الآخرة.⁽¹⁾

نستنتج من الآية: أَنَّ النَّارَ لَا يُنْجَى مِنْهَا إِلَّا بِتَرْكِ الشَّهَوَاتِ المحرمة، ويجب تَقْلِيلُ الدُّنْيَا وَتَحْقِيرُهَا وَالتَّرْغِيبُ فِي حُسْنِ الْمَرْجِعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وقد بين الله حال زينة الحياة الدنيا للمسلمين حتى لَا يَغْتَرُّوا بِحَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَتُنْعِبَهُمْ زِينَةُ الدُّنْيَا، وتُلْهِيَهُمْ عَنِ الْعَمَلِ لِلْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ حَتَّى يَكُونُوا عَلَى أَشَدِّ الْحَدَرِ مِنْ هَذِهِ الشَّهَوَاتِ التي قد يطغى حبه لها ويسرف فيها فيقع في المحرمات ويشتغل بها عن طاعة الله، حتى تطغى على العقيدة والدين، ويهمل أمر الآخرة، فالمطلوب الاعتدال في هذه

⁽¹⁾ انظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 14/2، مرجع سابق وانظر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 123، مرجع سابق، وانظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 417/1، مرجع سابق، وانظر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 342/1، مرجع سابق، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 27/4، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 178/3، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 163/3، مرجع سابق.

الشهوات المذكورة في الآية وأن لا تشغل الإنسان عن طاعة الله وعن الدار الآخرة وهو الزهد في الدنيا، فلا يكون الإنسان كل همه الدنيا فقط ويترك العمل للآخرة .

الفصل الثالث

نماذج من القرآن الكريم في صلاح الذرية، وفيه أربعة مباحث.

المبحث الأول: قصة إبراهيم عليه السلام وشفقته على والده

وهذا إمام الموحدين إبراهيم الخليل عليه السلام يخاطب أباه بلطف شفاف، وإشفاق بالغ، وحرص أكيد؛ رغبة في هدايته ونجاته، وخوفاً من غوايته وهلاكه فيقول كما أخبر الله عنه: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ٤٥﴾¹

اذكر إبراهيم حين قال بلطف وعقل واع وبرهان قاطع لأبيه آزر: يا أبت، لم تعبد ما لا يسمع دعائك إياه، ولا يبصر ما تفعله من عبادته، ولا يجلب لك نفعاً، ولا يدفع عنك ضرراً، وهي الأصنام الجمادات.

يا أبت، إنني قد جاءني من العلم ما لم يأتك، فاتبعني أهدك صراطاً سويماً أي يا أبي، وإن كنت من صلبك، وتراني أصغر منك لأنني ولدك، فاعلم أنني قد اطلعت من العلم من الله، على ما لم تعلمه أنت ولا اطلعت عليه ولا جاءك، فاتبعني في دعوتي أرشدك طريقاً سويماً مستقيماً موصلاً إلى نيل المطلوب، منجياً من كل مرهوب ومكروه ولا تطع الشيطان، فإن عبادة الأصنام، هي من طاعة

(1) سورة مريم الآيات 41_45.

الشیطان، والشیطان کثیر العصیان مخالف مستکبر عن طاعة ربه، حين ترک ما أمره به من السجود لآدم، والعاصي حقیق بأن تسلب عنه النعم، وتحل به النقم، لذا طرده ربه وأبعده من رحمته، فلا تتبعه تصر مثله، فإن عبادة الأصنام لا يتقبلها عقل، ولكنها تنشأ من وسوسة الشیطان وإغوائه، فكانت عبادتها عبادة له، وطاعة لإغوائه، والشیطان عدو آدم وذريته، لا يريد لكم إلا الشر.

یا أبت، إني أخشى أن يصيبك عذاب الله على شركك وعصيانك لما أطلبه منك، فتكون بذلك موالياً للشیطان، وقریناً معه في النار، بسبب موالاته.¹

لقد خاطب والده بتلك الكلمات المؤثرة، والعبارات المشفقة، التي تصل إلى الأعماق، ولولا أنها وجدت قلباً قاسياً عاصياً أغلف أسود - لأثرت به، وكانت سبباً في هدايته ونجاته.⁽²⁾

(1) انظر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 204_202/18، مرجع سابق، وانظر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 18/3، مرجع سابق وانظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 236/3، مرجع سابق، وانظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 110/11، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 106_105/16، مرجع سابق.

(2) انظر بن أحمد الحمد، محمد بن إبراهيم عقوق الوالدين: أسبابه - مظاهره - سبل العلاج، ص54، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، دط، دت.

المبحث الثاني: قصة نبي الله إسماعيل عليه السلام وطاعته لأبيه

وهذا إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام يضرب أروع أمثلة البر والصلاح في تاريخ البشرية؛ وذلك عندما قال له أبوه: ﴿يَبْنِيْٓ إِنِّيْٓ أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّيْٓ أَذْبَحُكَ﴾¹. فماذا كان رد ذلك الولد الصالح؟ هل تباطأ أو تكاسل، أو تردد وتثاقل؟ لا، بل قال كما أخبر الله تعالى عنه: ﴿يَا بَتِ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيْٓ إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِيْنَ﴾². (3)

وهذه قصة إبراهيم مع ولده إسماعيل كما وردت في القرآن قال تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِيْنَ﴾³ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١١١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَیْٓ إِنِّيْٓ أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّيْٓ أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَآ بَتِ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيْٓ إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِيْنَ ﴿١١٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهِ لِّلْجَبِيْنَ ﴿١١٣﴾ وَتَلَّيْنَاهُ أَن يَآ بُرْهِيْمُ ﴿١١٤﴾ فَدَّ صَدَقْتَ الرَّعِيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِيْنُ ﴿١١٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيْمٍ ﴿١١٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِيْنَ ﴿١١٨﴾ سَلَّمَ عَلَيَّٓ إِبْرَاهِيْمَ ﴿١١٩﴾ (4)

إنه سبحانه وتعالى لما قال: فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ، أَتْبَعُهُ بِمَا يُدُلُّ عَلَى حُصُولِ مَا بُشِّرَ بِهِ وَبُلُوغِهِ، فَقَالَ: فَلَمَّا أَدْرَكَ وَبَلَغَ الْحَدَّ الَّذِي يَقْدَرُ فِيهِ عَلَى السَّعْيِ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا وَعَدَهُ فِي الْآيَةِ الْأُولَى بِكَوْنِ ذَلِكَ الْغُلَامِ حَلِيمًا، بَيَّنَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا يُدُلُّ عَلَى كَمَالِ جَلْمِهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ بِهِ مِنْ كَمَالِ الْحِلْمِ وَفُسْحَةِ الصَّدْرِ مَا قَوَّاهُ عَلَى احْتِمَالِ تِلْكَ الْبَلِيَّةِ الْعَظِيْمَةِ، وَالْإِتْيَانِ بِذَلِكَ الْجَوَابِ الْحَسَنِ.

فلما كبر إسماعيل وشب وبلغ الحد الذي يقدر فيه على السعي والعمل، قال الفراء: «كان يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة» قال إبراهيم لابنه المأمور بذبحه وهو ابنه إسماعيل، يا بني إني رأيت في المنام أني أذبحك، فما رأيك؟ وقد أخبره بذلك ليستعد لتنفيذ أمر الله، ويكتسب المثوبة بالانقياد لأمر الله، وليعلم صبره لأمر الله، وإلا فرؤيا الأنبياء وحي لازم الامتثال، وَلَمْ يَقُلْ لَهُ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الْمُؤَامَرَةِ فِي أَمْرِ اللَّهِ، وَإِنَّمَا شَاوَرَهُ لِيَعْلَمَ صَبْرَهُ لِأَمْرِ اللَّهِ، أَوْ لِنَقَرِّ عَيْنَهُ إِذَا رَأَى مِنْ ابْنِهِ طَاعَةً فِي أَمْرِ اللَّهِ.

(1) سورة الصافات آية 102.

(2) سورة الصافات آية 102.

(3) بن أحمد الحمدي، عقوق الوالدين: أسبابه - مظاهره - سبل العلاج، ص56، مرجع سابق.

(4) سورة الصافات، الآية 100_109.

فأجابه إسماعيل معلنا الطاعة قائلاً:

قال إسماعيل: امض لما أمرك الله من ذبحي، وافعل ما أوحى إليك، سأصبر على القضاء الإلهي، وأحتسب ذلك عند الله عز وجل، وهذا مصداق وصفه السابق بالحلم، وبدأ تنفيذ أمر الله، فلما استسلما وانقادا لأمر الله وأطاعاه، وفوضا أمرهما إلى الله، وأكب إبراهيم ابنه على وجهه حتى لا تأخذه العاطفة فيتردد في الذبح، أو ألقاه على جنبه، فوقع جبينه (جانب الجبهة) على الأرض والموضع الذي أراد ذبحه فيه: هو المنحر بمنى عند الجمار.

قال مجاهد: قال إسماعيل لأبيه: لا تدبحني وأنت تنظر إلى وجهي، عسى أن ترحمني، فلا تجهز علي، اربط يدي إلى رقبتني، ثم ضع وجهي للأرض، ففعل.

وتم تله للجبين، وعلى إسماعيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام قميص أبيض، فقال له: يا أبت، إنه ليس لي ثوب تكفني فيه غيره، فاخلعه حتى تكفني فيه، فعالجه ليخلعه، فنودي من خلفه: أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا فالتفت إبراهيم، فإذا بكبش أبيض أقرن أعين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا لما أضجعه للذبح ناداه من خلفه من الجبل ملك: قد حصل المقصود من رؤياك، وتحقق المطلوب وصرت مصدقا بمجرد العزم، وإن لم تدبح، وأتيت بما أمكنك.

فَإِنَّهُ بَعْدَ أَنْ حَتَّهُ عَلَى فِعْلٍ مَا أُمِرَ بِهِ وَعَدَهُ بِالْإِمْتِنَالِ لَهُ وَبَيَّأَهُ لَا يَجْزَعُ وَلَا يَهْلَعُ بَلْ يَكُونُ صَابِرًا، وَفِي ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ عَبَاءِ مَا عَسَى أَنْ يَعْرِضَ لِأَبِيهِ مِنَ الْحُزْنِ لِكَوْنِهِ يُعَامِلُ وَلَدَهُ بِمَا يَكْرَهُ، وَهَذَا وَعْدٌ قَدْ وَفَّى بِهِ حِينَ أَمَكَّنَ أَبَاهُ مِنْ رَقَبَتِهِ، وَهُوَ الْوَعْدُ الَّذِي شَكَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى فِي قَوْلِهِ: {وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ}.¹ وَقَدْ قَرَنَ وَعْدَهُ بِإِنْ شَاءَ اللَّهُ اسْتِعَانَةً عَلَى تَحْقِيقِهِ.

ولما كان خطاب الأب يا بُنَيَّ على سبيل الترحم قال هو يا أَبَتِ على سبيل التوقير والتعظيم ومع ذلك أتى بجواب حكيم لأنه فوض الأمر حيث استشاره فأجاب بأنه ليس مجازها وإنما الواجب إمضاء الأمر.

(1) سورة مريم آية 54.

سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ذَبْحًا كَانَ أَوْ غَيْرِهِ، وَلَعَلَّهُ وَفَّقَ لِلصَّبْرِ بِبِرْكَتِهِ مَعَ بَرَكَةِ الْإِسْتِثْنَاءِ، وَفِيهِ أَيْضًا إِغْرَاءٌ لِأَبِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الصَّبْرِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ شَفَقَتِهِ عَلَيْهِ مَعَ عَظَمِ الْبَلَاءِ حَيْثُ أَشَارَ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عِبَادًا صَابِرِينَ.¹

المبحث الثالث: قصة نبي الله ورسوله يحيى مع والديه

قال تعالى ﴿يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ۗ ﴿١٣﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ۗ ﴿١٤﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ۗ ﴿١٥﴾ وَسَلَّمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۗ ﴿١٦﴾﴾.⁽²⁾

دل الكلام السابق على ولادة يحيى، وشبابه، وتربيته، فلما وصل إلى حالة يفهم فيها الخطاب أمره الله أن يأخذ الكتاب بقوة، أي: بجد واجتهاد، وذلك بالاجتهاد في حفظ ألفاظه، وفهم معانيه، والعمل بأوامره ونواهيه، هذا تمام أخذ الكتاب بقوة، فامتثل أمر ربه، وأقبل على الكتاب، فحفظه وفهمه، وجعل الله فيه من الذكاء والفتنة، ما لا يوجد في غيره ولهذا قال: {وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا} أي: معرفة أحكام الله والحكم بها، وهو في حال صغره وصباه.

وَأَتَاهُ اللَّهُ رَحْمَةً وَرَأْفَةً، تيسرت بها أموره، وصلحت بها أحواله، واستقامت بها أفعاله، وَالْحَنَانُ: الشَّفَقَةُ، وَمِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى الْحَنَانُ، وَمِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ: حَنَانِيكَ، أَي حَنَانًا مِنْكَ بَعْدَ حَنَانٍ وَجُعِلَ حَنَانٌ يَحْيَىٰ مِنْ لَدُنِ اللَّهِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ مُتَجَاوِرُ الْمُعْتَادِ بَيْنَ النَّاسِ.

وَأَتَاهُ اللَّهُ طَهَارَةً مِنَ الْآفَاتِ وَالذُّنُوبِ، فطهر قلبه وتزكى عقله، وذلك يتضمن زوال الأوصاف المذمومة، والأخلاق الرديئة، وزيادة الأخلاق الحسنة، والأوصاف المحمودة، ولهذا قال: {وَوَكَانَ تَقِيًّا} أي: فاعلا للمأمور، تاركا للمحظور، ومن كان مؤمنا تقيا كان لله وليا، وكان من أهل الجنة التي أعدت للمتقين، وحصل له من الثواب الدنيوي والأخروي، ما رتبته الله على التقوى.

(1) انظر الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، 12/124، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415 هـ، وانظر البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن 4/36-37، مرجع سابق، وانظر الرازي مفاتيح الغيب 26/346، مرجع سابق وانظر القرطبي الجامع لأحكام القرآن 15/103، مرجع سابق وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 23/120-121، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 23/152، مرجع سابق .

(2) سورة مريم، الآية 12_15.

وكان أيضا بَرًّا بِوَالِدَيْهِ مسارعا في طاعتها ومحبتهما واسع الأخلاق محسناً بوالديه جبلة وطبعاً ولم يكن جباراً عليهما ولا على غيرهما، ولم يكن عاقا، ولا مسيئاً إلى أبويه، بل كان محسناً إليهما بالقول والفعل، وكثير البر والطاعة لوالديه، متجنباً عقوقهما قولاً وفعلًا، أمراً ونهياً، فهو مطيع لله ولأبويه، ولم يكن مستكبراً عن طاعة ربه وطاعة والديه، ولكنه كان لله ولوالديه متواضعا متذللاً ياتمر لما أمر به، وينتهي عما نُهي عنه، لا يَعْصِي ربه، ولا والديه، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا عِبَادَةَ بَعْدَ تَعْظِيمِ اللَّهِ تَعَالَى مِثْلُ تَعْظِيمِ الْوَالِدَيْنِ، وَلِهَذَا السَّبَبُ قَالَ: { وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا }¹.

ولم يكن متجبراً متكبراً عن عبادة الله، ولا مترفعاً على عباد الله، ولا على والديه، ولم يكن يفعل فعل الجبارين من الغلظة والقتل والبطش بمن يستحق ذلك، فكان مطيعاً لله قائماً بحقوقه وحقوق عباده على ما ينبغي فكان متواضعا، متذللاً مطيعا، أوبا لله على الدوام، فجمع بين القيام بحق الله، وحق خلقه، فكان مباركا للناس، يهديهم إلى الخير، مطهرا من الدنس والرجس والآثام والذنوب، وكان متجنباً لمعاصي الله، مطيعا له، ولهذا حصلت له السلامة من الله، في جميع أحواله، مبادئها وعواقبها.⁽²⁾

(1) سورة الإسراء، آية 23.

(2) انظر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص490، مرجع سابق، وانظر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 160/18، مرجع سابق، وانظر الرازي، مفاتيح الغيب، 518/21، مرجع سابق، وانظر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 179/12، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 76/16، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 63/16، مرجع سابق.

المبحث الرابع: قصة نبي الله ورسوله عيسى وبره بأمه

وهذا عيسى بن مريم عليه وعلى أمه السلام يأتيه الثناء العطر، والتبجيل العظيم من ربه وهو ما يزال في المهد بأنه بار بأمه، ويقرن هذا بعبوديته لربه عز وجل قال سبحانه عنه ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾¹.

لقد ذكر الله سبحانه وتعالى قصته في القرآن وبره بأمه فقال تعالى عنه: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾⁽²⁾.

إن سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام عندما تكلم في المهد كان من قوله: (وَبَرًّا بِوَالِدَتِي) أي: وأمرني ربي ببر والدي والإحسان إليها غاية الإحسان، وأقوم بما ينبغي له، لشرفها وفضلها، ولكونها والدة لها حق الولادة وتوابعها، وذلك امتثالاً لأمر الله الذي أمرني بهذا البر، فهي السبب في وجودي في هذه الدنيا بعد مشيئة الله تبارك وتعالى، فمع ما آتاني الله من الوحي والمعجزات وما جعل لي من الفضل والتشريف فإني ألزم برها.

وَأَمْرَنِي بِبِرِّ وَالِدَتِي، ذَكَرَهُ بَعْدَ طَاعَةِ اللَّهِ رَبِّهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَثِيرًا مَا يُفْرِنُ بَيْنَ الْأَمْرِ بِعِبَادَتِهِ وَطَاعَةِ الْوَالِدَيْنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}.³، وَقَالَ أَيْضًا: {أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ}.⁴

وَلَمْ يَجْعَلْنِي مُتَعَاظِمًا عَاصِيًا مُسْتَكْبِرًا عَنِ عِبَادَةِ رَبِّي وَطَاعَتِهِ وَبِرِّ وَالِدَتِي، فَأَشْفَىٰ بِذَلِكَ، وَقَدْ خَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ بِذَلِكَ بَيْنَ قَوْمِهِ، لِأَنَّ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ كَانَ ضَعْفًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يَوْمَئِذٍ، وَبِخَاصَّةِ الْوَالِدَةِ لِأَنَّهَا

(1) سورة مريم آية 32.

(2) سورة مريم آية 30_32.

(3) سورة الإسراء آية 23.

(4) سورة لقمان آية 14.

تُسْتَضَعَفُ، لِأَنَّ فَرْطَ حَنَانِهَا وَمَشَقَّتَيْهَا قَدْ يُجَرِّئَانِ الْوَلَدَ عَلَى التَّسَاهُلِ فِي الْبِرِّ بِهَا، وَهَذَا أَيْضًا دَلِيلٌ عَلَى نَفِي الزِّنَى عَنْهَا، إِذْ لَوْ كَانَتْ زَانِيَةً، لَمَا كَانَ الرَّسُولُ الْمَعْصُومَ مَأْمُورًا بِتَعْظِيمِهَا.

قال ابن عباس: لما قال: وبراً بوالدتي ولم يقل وبراً بوالدي، علم أن هذا الصغير شيء من جهة الله تعالى.

وفي ذلك تأكيد لطهارة أمه، وقرىء وبراً بكسر الباء على أنه مصدر وصف به مبالغة كأنه نفس البر.⁽¹⁾

(1) انظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم، 229/5، مرجع سابق، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، 100/16، مرجع سابق، وانظر الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 83/16، مرجع سابق، وانظر مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، 963/6، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط1، ت(1393 هـ = 1973 م) - (1414 هـ = 1993 م)، وانظر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 492، مرجع سابق.

الخاتمة:

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه على أن أعانني على إنجاز هذه الأطروحة وأسأله تعالى أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم.

وبعد الثناء لا بد من ذكر أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها في هذه الأطروحة.

-النتائج:

1.الأسس الذي قام عليها هذا البحث أسس سهلة وميسورة لكن بحاجة إلى صبر ومصابرة على الصغار حتى يكونوا صالحين للإنسانية وليس لأوطانهم فقط.

2.إن التربية الغير اسلامية تهتم بالنشء ؛ليكون صالحاً لمجتمعه فقط بينما التربية الإسلامية تهدف لإيجاد الإنسان الصالح لدينه ومجتمعه وللإنسانية جمعاء.

3.إن التربية الإسلامية تتبثق من عمل البر الذي يرجو المربي الثواب من الله تعالى فلذلك يكون عنه الإخلاص.

4.إن الذرية من نعم الله الكبيرة على الوالدين ويجب أن يشكروا هذه النعمة وشكرها بإصلاحهم.

5.أن الله يحاسب الوالدين على أبنائهم وهم أمانة سوف يسألون عنها.

6.يجب السعي في إصلاح الذرية.

7.إن صلاح الذرية له أسباب يجب الأخذ بها بعد توفيق الله تعالى.

8.أن من أهم أسباب صلاح الأبناء صلاح الآباء، وأن يكونوا قدوة للأبناء.

9.من الأسباب العملية لصلاح الأبناء الدعاء لهم قبل إنجابهم وبعد إنجابهم، وسؤال الله الاستعانة على تربيتهم، والطلب من الله تثبيتهم على الصلاح إن كانوا صالحين.

10.أن من أسباب الصلاح تقوى الله تعالى وهي وصية الله للأولين والآخرين، وهي سبب سعادة المرء في الدنيا والآخرة.

11. إن خروج المرأة غير المنضبط لمعركة الحياة وبعدها عن أبنائها وعدم توجيههم أثر سلبياً على النشء الصالح وعلى وظيفتها الأساسية فخرج جيل لا ينتمي للإسلام إلا من رحم ربي.

التوصيات:

1. استكمالاً لهذا البحث الدقيق والمهم للتعامل مع الإنسان ليكون صالحاً عابداً نافعاً لإخوانه من بني البشر أوصي ببحث في: أسباب صلاح الذرية في السنة النبوية. لأن هنالك أساليب كثيرة في صلاح الذرية وردت في السنة النبوية من خلال تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع أولاده ومع الأطفال وتوجيهاته صلى الله عليه وسلم للصحابة رضي الله عنهم مع أبنائهم.

2. أوصي بعقد الندوات والمؤتمرات التي تتناول هذا الموضوع من وجهة النظر النفسية والتربوية بالإضافة إلى القرآنية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين.

فهرس الآيات القرآنية

رقم الصفحة	رقم الآية	اسم السورة	الآية
34	4-1	البقرة	آلَمْ * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ
30	5-4	البقرة	وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ
20	138	البقرة	صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ
67	172	البقرة	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ
52	186	البقرة	وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
71	221	البقرة	وَلَا تَتَّخِطُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَآئِمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تَتَّخِطُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ
13	277	البقرة	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
33	2	آل عمران	قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
111	14	آل عمران	زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرَبِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ
29	32	آل عمران	قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ
7	34	آل عمران	ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ
85	37	آل عمران	فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا

			مَرِيَمَ أَمْرًا لَكَ هَذَا قَالَتُ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ
14	38	آل عمران	رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً
27	97	آل عمران	وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا
73	34	النساء	فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ لَلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ
61	36	النساء	وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا
89	61	النساء	وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا
35	131	النساء	وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ
83	58	الاعراف	وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا
13	142	الاعراف	اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ
7	172	الاعراف	وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ
45	-172 174	الاعراف	وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا
14	179	الاعراف	وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ
13	-189 190	الاعراف	لئن آتَيْنَا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا
105	40	التوبة	إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا
6	102	التوبة	خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا
36	109	التوبة	أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شِقَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
95	119	التوبة	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ
36	64-62	يونس	أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

6	81	يونس	إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ
83	40	هود	وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ
82	47-42	هود	وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا
44	52	هود	وَبَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ
6	62	هود	يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا
13	88	هود	إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ
13	117	هود	وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ
104	9-8	يوسف	إِذْ قَالُوا لْيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْبَانًا مِمَّا وَخَجْنَا عَصَبَهُ إِنَّ أَبَانَا لِنَافِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨﴾ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾
97	90	يوسف	إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ
101	20	الرعد	الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾
12	23	الرعد	وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ
23	29	الرعد	الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ
27	39-35	ابراهيم	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
78	37	ابراهيم	رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ
20	41	ابراهيم	رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ
هـ	72	النحل	وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ
102	90	النحل	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ

			وَيَهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ
100	91	النحل	وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا
38	97	النحل	مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
66	114	النحل	فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ
36	128	النحل	إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ
8	3	الاسراء	ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ
62	24-23	الاسراء	وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ
19	24	الاسراء	وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا
13	25	الاسراء	إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ
106	28	الكهف	وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ
86	38	الكهف	لَٰكِنَّمَا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾
14	45	الكهف	فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ
هـ	46	الكهف	الْمَالِ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
13	82	الكهف	وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا
12	85-84	الكهف	وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَاتَّبَعِ سَبَبًا
118	15-12	مريم	يَلِيحِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَاَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَدِيًّا ﴿١٣﴾
60	14	مريم	وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا
75	28	مريم	﴿يَتَأَخَذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾
60	32	مريم	وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا
28	50-49	مريم	فَلَمَّا اعْتَرَاهُمُ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا

111	60-58	مريم	أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا * فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا
12	15	الحج	فَلْيُمَدِّدْ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ
14	100	المؤمنون	لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ
67	51	المؤمنون	يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ
64	21	النور	﴿يَتَّيَّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾
92	59-58	النور	﴿يَتَّيَّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيْسَتْ ذُنُوبُهُمْ لِيَلْعَنَهُمُ اللَّهُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَعْنَةُ اللَّهِ الْكَلْبَاتِ﴾
107	29-28	الفرقان	يَوَيْلٌ لِيَ لِيَتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾
19	74	الفرقان	وَالَّذِينَ يُقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا
42	45	العنكبوت	وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ
27	67	العنكبوت	أُولَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا
70	21	الروم	وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ
46	30	الروم	فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
47	17	لقمان	يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ
48	21	الاحزاب	لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ
6	71	الاحزاب	وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ

14	41	يس	وَأَيُّهُ لَهْمٌ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ
116	-103 109	الصفات	فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ
12	10	ص	فَلْيُرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ
3	37-36	غافر	لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ
6	15	الاحقاف	وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي
6	2	محمد	وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ
90	1	الذاريات	وَالذَّارِيَاتِ ذُرْوًا
19	21	الطور	وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ
47	3-2	الصف	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ.
33	4	التغابن	فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ
34	3-2	الطلاق	وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ
15	6	التحريم	يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ
81	10	التحريم	ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوْحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ ^ط كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ
43	12-10	نوح	فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا
39	132	نوح	وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا ^ط حَرًّا نَزْرُوكَ ^ف وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى
14	7	الزلزلة	فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

فهرس الأحاديث النبوية

رقم الصفحة	الحديث
و	كلكم راع
20	إذا مات الإنسان
31	احفظ الله
35	اتق الله
46	ما من مولود
46	اجعلوا من صلاتكم
68	الصلاة قربان
72	تنكح المرأة لأربع
59	من هذا اللاعن بغيره
88	قال باسم الله
89	إن أباكما
103	فرد عطيته

فهرس الاعلام

الصفحة	العلم
2	زهير بن ابي سلمى
8	العسكري
5	الراغب الاصفهاني
10	الزحيلي
8	ابو البقاء
9	السمين الحلبي
9	البغوي
10	الفيروزبادي
35	ابن حنبل
16	المناوي
18	الغزالي
21	ابن القيم
32	طلق بن حبيب
32	ابو العتاهية
45	ابو هريرة

فهرس الاشعار

الصفحة	القائل	الشطر
3	زهير	وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنِيَّةِ يَلْقَهَا
3	زهير	لَئِنْ كُنْتَ فِي جُبِّ ثَمَانِينَ قَامَةً
3	زهير	لَيْسْتُدْرِيكَ الْأَمْرُ حَتَّى تَهْرَهُ
9	ابن مالك	بنونا بنو أبنائنا وبناتنا
16	سبط ابن التعاويذي	إذا كان رب البيت بالدف ضارب
16	-	مشى الطاووس يوماً باعوجاج
17	-	أما تعرف أبانا كل فرع
17	-	وينشأ ناشئ الفتيان
17	الامام علي	قد ينفع الأدب الأحداث في صغر
17	الامام علي	أدب بنيك صغارا قبل كبرتهم
17	الامام علي	إن الغصون إذا قومتها اعتدلت
29	الوراق	تَعْصِي إِلَهَهُ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ
32	ابو العتاهيه	ألا إنما التقوى هو العز والكرم
75	حافظ ابراهيم	الأم مدرسة إذا أعددتها
76	الرياشي	فأول إحساني إليكم تخيري

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، ط1، ت1424 هـ - 2003 م
2. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، صحيح أبي داود - الأم مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، ت1423 هـ
3. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، ت1415 هـ
4. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله صحيح البخاري تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ط1، ت1422 هـ
5. البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، كتاب الذكر والدعاء في ضوء الكتاب والسنة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط1، ت1422 هـ
6. البغوي، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء معالم التنزيل في تفسير القرآن تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، ت1420 هـ
7. أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، ت1420 هـ
8. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ط1، ت1420 هـ
9. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ط1، ت1416 هـ/1995 م
10. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين كتاب التعريفات، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1، ت1403 هـ - 1983 م
11. الدامغاني، الحسين بن محمد، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، دار العلم للملايين بيروت لبنان، ط3، ت1980 م.

12. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن جمهرة اللغة تحقيق: رمزي منير بعلبكي0، دار العلم للملايين - بيروت، ط1 ت1987م
13. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي مفاتيح الغيب = التفسير الكبير دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط3، ت1420 هـ
14. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط1، ت1412 هـ
15. الربيعي، خالد بن سليمان بن علي الربيعي، مِنْ عَجَائِبِ الدُّعَاءِ، دار القاسم للنشر، الرياض، ط1، ت1423 هـ - 2002 م
16. الزحيلي، وهبة بن مصطفى التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط2، ت1418 هـ
17. ابن زينو، محمد بن جميل مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع، دار الصميعة للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط9، ت1417هـ، 1997م، وانظر http://www.alukah.net/sharia/0/39330/#ixzz3nn5VrC3V9_
18. سبتي عباس، النظام التربوي في الإسلام، من كتب التربية في التراث الإسلامي، http://tarba6.blogspot.com/2015/11/1_2.html
19. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، ت1420هـ - 2000 م
20. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، دط، دت.
21. سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، دار الشروق - بيروت - القاهرة، ط17، ت1412 هـ.
22. الشعراوي، محمد متولي تفسير الشعراوي - الخواطر، طابع أخبار اليوم، دط، دت.
23. الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، ت1420 هـ - 2000 م.
24. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر - تونس، دط، ت1984 هـ

25. العدوي، مصطفى، فقه تربية الأبناء وطائفة من نصائح الأطباء، دار ماجد عسيري، ط1، ت1419هـ، 1998م.
26. ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين الدراري في ذكر الدراري، تحقيق: علاء عبد الوهاب محمد، دار السلام، دار الهداية، ط1، ت1404 هـ - 1984 م
27. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهرا ن الوجوه والنظائر حقه وعلق عليه: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، ت1428 هـ - 2007 م
28. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد إحياء علوم الدين، دار المعرفة - بيروت، د.ط، دت.
29. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان مؤسسة الرسالة - بيروت، ط2، ت1406 هـ - 1986 م
30. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون دار الفكر، دت1399هـ - 1979م.
31. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ط.د.
32. القحطاني، الهدي النبوي في تربية الأولاد، ، د.ط ت1431هـ،
33. القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخرجي شمس الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، ت1384هـ - 1964 م
34. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين تحفة المودود بأحكام المولود، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة دار البيان - دمشق، ط1، ت1391 - 1971.
35. ابن كثير القرشي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر تفسير القرآن العظيم تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، ت1420هـ - 1999 م
36. لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر، طبع مؤسسة الأهرام، ط18، ت1416 هـ - 1995 م
37. محجوب، عباس، التربية الإسلامية ومراحل النمو الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط السنة

38. المرسي، كمال الدين عبد الغني من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، ط1، ت 1419هـ / 1998م
39. مرسي، محمد سيعد فن تربية الأولاد في الإسلام 11/2، دط، دت.
40. مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، دط، دت.
41. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب دار صادر - بيروت، ط3، ت 1414 هـ
42. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط1، ت 1415 هـ.

فهرس الموضوعات

أ	إقرار:
ب	الشكر والتقدير
ج	الملخص بالعربية
د	الملخص بالانجليزية
هـ	المقدمة
ح	أهمية الموضوع :
ح	أسباب كتابة البحث:
ط	أهداف البحث:
ط	منهج البحث:
ك	الدراسات السابقة:
م	خطة البحث:

الفصل الأول

مفهوم أسباب صلاح الذرية وأهميته

1	المبحث الأول: تعريف أسباب صلاح الذرية لغة واصطلاحاً وفيه ثمانية مطالب.
1	المطلب الأول: معنى الأسباب لغةً
5	المطلب الثاني: معنى الأسباب اصطلاحاً
5	المطلب الثالث: معنى الصلاح لغةً.
6	المطلب الرابع: معنى الصلاح اصطلاحاً.
6	المطلب الخامس: معنى الذرية لغةً.
10	المطلب السابع: صلاح الذرية كمفهوم تربوي.
11	المطلب الثامن: الألفاظ ذات العلاقة لأسباب وصلاح وذرية.
15	المبحث الثاني: أهمية صلاح الذرية.

المطلب الأول: في المجال الأسري. 17

المطلب الثاني: في المجال الاجتماعي 20

الفصل الثاني

عوامل صلاح الذرية

المبحث الأول:العوامل الإيمانية(الوجدانية) لصلاح الذرية وفيه عشرة مطالب. 23

المطلب الأول:الإيمان بالله تعالى. 23

المطلب الثاني: محبة وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم. 29

المطلب الرابع: التقوى 31

المطلب الخامس: العمل الصالح. 39

المطلب السادس:القدوة 45

المطلب السادس:صلاح الأبوة 50

المطلب السابع: المطلب الثاني:الدعاء 53

المطلب الثامن: طاعة الوالدين 61

المبحث الثاني:العوامل المادية لصلاح الذرية 71

المطلب الأول: اختيار الزوج والزوجة وفيه عدة مسائل وهي: _ 71

المطلب الثاني:النبات الحسن(البيئة الصالحة) 85

المطلب الثالث: تحصين الولد 87

المطلب الرابع: تعليم الولد الآداب الشرعية 91

الفصل الثالث

نماذج من القرآن الكريم في صلاح الذرية

المبحث الأول:قصة إبراهيم عليه السلام وشفقته على والده 116

المبحث الثاني: قصة نبي الله إسماعيل عليه السلام وطاعته لأبيه 118

124-النتائج:
125التوصيات:
126 فهرس الآيات القرآنية
134 فهرس الأشعار
135 فهرس المصادر والمراجع
139 فهرس الموضوعات